

الموسوعة الشامية في تاريخ الجزر والصلبيية

الروايات الأوروبية اللاتينية والاغريقية

الملاحم

١ - نشيد رولاند

٢ - رتشارد قلب الأسد

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤١٤ - ١٩٩٣

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

كلما تعمق الباحث في ميادين تاريخ الحروب الصليبية ، يجد نفسه وسط مجموعة هائلة من الاسئلة التي تحتاج الى اجابات موثقة ، ويبقى على رأس الاسئلة: ما هو سر الاستجابة الشعبية الهائل للنداء الذي اطلقه البابا اوربان الثاني؟ ما الذي حرك مئات الالوف من الاوربيين للزحف نحو الشرق وتحمل مخاطر الحملة؟ ثم ما سبب الحقد المرعب الذي حمله افراد الحملة الاولى تجاه المسلمين في المشرق الى حد انهم لم يكتفوا بابطالهم بل اكلوا لحومهم بعد قتلهم؟.

لقد عرف التاريخ عددا من موجات هجرات الشعوب ، وجلها كانت هجرات شعوب بدوية ، لكن ان يهجر الناس مدنهم وقراهم ويرحلون نحو الشرق باسم الحج وتخليص الأماكن المقدسة من ايدي المسلمين فهذه ظاهرة فريدة من نوعها تحتاج الى البحث عن اسبابها البعيدة والقريبة.

وعبثا يحاول المرء ان يجد الاجابات الكاملة المقنعة في الروايات عن تعذيب الحجاج ، او في ازيمات نظام الاقطاع الاوربي وتراكماته ، يضاف الى هذا ان الحديث عن الرغبات في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية لا يقنع ، لاسيما ان ايا من زعماء الحملة الاولى لم يثر هذا الموضوع مع اركان الكنيسة الارثوذكسية او مع الامبراطور البيزنطي. هذا وإن الحديث عن دور الدول الايطالية والاهداف الاقتصادية سيكون متأخرا يرتبط بما حدث بعد

- ٤٠٧٤ -

الحملة الثالثة ، وتبقى المسألة ليست معلقة بما إرادته البابا اوربان الثاني او غيره لكن بالاستجابة الشعبية الهائلة لنداء الزحف نحو المشرق.

وعندي ان افراد الحملة الاولى عندما اكلوا لحوم العرب المسلمين فعلوا برغبة الانتقام والتشفي وليس بسبب الجوع والحاجة الى الطعام ، فما سر هذا الحقد الدفين لدى الاوربيين ، ومتى وكيف تكون؟

من المؤسف ان المصادر التاريخية لاتحمل الاجابة ، لكنها تساعد على رسم الاجواء التي عاشها الغربيون منذ القرن الثامن للميلاد حتى اواخر القرن الحادي عشر.

المجتمع الاوربي كان مغلقا الى حد بعيد ، شغلت فيه الكنيسة الدور القيادي الموجه مثلما شغلت دور مقر الثروة والثقافة والقيادة الشعبية ، واذا ما عدنا الى اخبار نشاط الفتوحات العربية في اوربا الغربية نجد انها استهدفت الكنائس والابيرة ، وذلك في كثير من الحالات.

ومع هذا لانجد في مدونات الكنائس والابيرة ما نبحث عنه من اجابات ، اننا نجد ذلك في الملاحم الشعبية ، فالشعوب الصانعة الفعلية للتاريخ عبرت ان ارادتها ورغباتها وتصوراتها لاحداث التاريخ وعن مشاعر العدا او الصداقة من خلال الملاحم الشعبية ، وكتب التاريخ ، وإن لم تزل من بعض المانة عن الجماهير ، هي بالاصل سجلات لأعمال القادة والحكام.

وفوائد الملاحم كبيرة وكذلك عيوبها ، فالملاحم لاتتقيد بالتاريخ بدقة ولا تعطي الزمن قيمة كبيرة ، ولعل مرد ذلك ان التغييرات التي تنال الشعوب بعمق هي دوما بطيئة الحركة لاتتوافق ولا تتماشى مع التغييرات السياسية.

ولا يجوز لأي باحث تجاهل الملاحم والتمنع عن التعامل معها ،
لوجودها ولأنه لسوء الحظ لم يتوفر للجماهير من يؤرخ لها جماعة
أو فردا فردا ، وكان على رأس الملاحم القتي اسمهم في صياغة
الرأي الجماهيري العام في غربي أوروبا تجاه الاسلام والمسلمين ،
وذلك بشكل عدواني رهيب فيه روح التعصب والانتقام : ملحمة
نشييد رولاند .

ولن اتحدث عن محتويات هذه الملحمة فقد جاء هذا في مقدمة
الترجمة ، ولقد بحثت عن نظير لهذه الملحمة في أوروبا الشرقية فلم
أجد ، وتعاملت مطولا مع ملحمة « دايجيس اكريتس » فلم أجدها
تفني بالغرض.

ومع نشيد رولاند قدمت ملحمة رتشارد قلب الاسد ، لقوة
الترايط ، ولأن شعراء هذه الملحمة ساروا على الطريق الذي عبده
شعراء نشيد رولاند وتفوقوا عليهم تعصبا.

وانه لا امر مثير للدهشة ان نجد صورة الاسلام والمسلمين لدى
شعوب أوروبا الغربية كما هي مرسومة في الملاحم ، على قرب أوروبا
الغربية من الاندلس وصقلية ، واعظم اثاره واشد غرابة استمرار
هذه الصورة مع الجهالة بعد مضي قرن على قيام الحروب الصليبية ،
فهذا ما نراه لدى وليم الصوري وسواه من كتاب الغرب
المسيحي - لابل حتى عند الشرقيين - ومرد هذا ان جل الكتاب هم
من رجال الكنيسة ، ورجال الدين لا يرغبون دوما في تغيير قناعاتهم
الموروثة وتصوراتهم ، وهم ابعد الناس عن استخدام المحاكمة
العقلية الصحيحة ، وهم في أوروبا مثلوا الثقافة والعقيدة ووجهوا
الجماهير وقادوها ، وقد يساعد هذا على تفهم جذور اسباب بعض
الحركات الاصلاحية التي استهدفت تدمير الكنيسة.

ومما لا ريب فيه ان الحروب الصليبية اثرت على أوروبا الغربية
والكنيسة فيها ، ومع ان أوروبا هزمت في نهاية هذه الحروب عسكريا

- ٤٠٧٦ -

في المشرق لكنها كانت قد حققت انتصارات هائلة في الغرب ، لانها استعارت الخبرة الحضارية العربية لاسيما في مجالات التعامل مع العقل ، وبذلك اتيح لها ملكة المستقبل ، لكن وقتها فقد العرب المستقبل لانهم منذ ايام الحروب الصليبية شرعوا بالتخلي عن العقل تدريجيا ، فالجند الغرباء وقفوا دوما ضد العقل وكذلك شجعهم جل الذين تحالفوا معهم من رجال الدين ، فضلا عن ان التصوف كان قد تحول من حركة تفكر الى استسلام وغيبنيات وطقوس غناء وطعام ورقص جنوبي

سيعثر القارئ العربي على كنوز من صور المشاعر في ملحمتي نسيدي رولاند ورتشارد قلب الاسد ، واملي عظيم في ان يساعد هذا على دراسة اوفى لظاهرة الحروب الصليبية ، والله الموفق للاسداد وهو من وراء القصد ، له الحمد والشكر - والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القاهرة ٢٦ / ١١ / ١٩٩٤

سهيل زكار

نشيد رولاند

مدخل

الشعر :

جاء في سنة ٧٧٧ وقد يمثل أمراء مسلمين من الأندلس الى الامبراطور شارلمان لطلب مساعدته ضد واحد من أعدائهم ، الذي كان أيضا مسلما مثلهم ، وكان شارلمان مشغولا بالحرب ضد السكسون ، ومع هذا تقبل دعوتهم ، وبعد تركيزه بعض الحاميات لتقوية حدوده زحف الى الأندلس ومعه جميع قواته التي توفرت له ، وقد قسم جيشه الى قسمين ، قام قسم منهما بعبور جبال البرانس الشرقية باتجاه جرنده ، وعبر الآخر تحت قيادته جبال البرانس البشكنسية (الباسك) وأخذوا اتجاه بمبيلونا ، وسقطت المدينتان والتقى الجيشان واتحدا معا أمام سرقةسطة التي حاصرها بدون نجاح ، وأرغمت تجدد أعمال القتال في بلاد السكسون شارلمان على التخلي عن حملته الأندلسية ، وفيما هو راجع يعبر جبال البرانس هوجمت ساقة جيشه من قبل طائفة متآمرة من البشكنس الذين كانوا قد زرعوا عدة كمائن على طرفي الممر الواقع بين الشعاب الجبلية الكثيفة الأشجار ، واستغل هؤلاء تعرجات الأرض وخفة أسلحتهم فاذقوا على جذود الساقة فقتلواهم حتى آخر رجل ، ونهبوا قطار الأمتعة والمعدات ثم اختفوا تحت جناح الظلام ، وخدم المؤرخ ايكنهارد الذي روى هذه الحادثة التاريخية المحزنة في كتابه « حياة شارلمان » الذي كتبه حوالي سنة ٨٣٠ م ، ختم حديثه بقوله : « وقتل في هذه الواقعة ايغهارد حاجب الملك ، وأنسلم كونت القصر ، ورولان دوق تخوم بريتاني مع أعداد أخرى كبيرة » ، وزودتنا مخطوطة أخرى من القرن التاسع حوت بالشعر اللاتيني ماكتب عن وفاة الحاجب ايغهارد ، بتاريخ المعركة بأنه كان ١٥ - آب ٧٧٨ ، وجرى ذكر هذه الواقعة مجددا

في سنة ٨٤٠ من قبل مؤرخ آخر ، كان قد قام أولا باختصار الرواية المعطاة في كتاب « حياة شارلمان » ثم أضاف : « بما أن أسماء الذين سقطوا مدونة على السجلات لأجد حاجة لاعادة ذكرهم في روايتي »

واختفت بعد هذا حكاية روزسيفو لمدة تقارب المائتي سنة ، وعندما ظهرت ثانية الى الوجود كانت قد مرت بعمليات تحول كانت بلاشك ستدهشنا لولا أننا رأينا الشيء نفسه يقع في حكاية حروب الملك آرثر ، فقد فعل سحر الاسطورة فعلة وتضخمت الحوادث التاريخية الصغيرة حتى غدت ملحمة واسعة ذات أجزاء بطولية وأهمية عقائدية عالية ، فشارلمان الذي كان في الثامنة والثلاثين من عمره أيام الحملة الى الاندلس ، أصبح الآن شخصية عالية التقديس ، له مائتي سنة من العمر ، ملك لحيته بيضاء كالثلج ، انه الامبراطور المقدس ، بطل المسيحية والمحامي عنها ضد المسلمين ، وأمير الحرب الذي امتدت أعماله التوسعية فعمت العالم المتمسك ، وغدت الحملة حدثا رئيسا في الصراع بين الهلال والصليب ، وتحول المغيرون البشكنس وتعاضم حجمهم وباتوا الآن عبارة عن جيش عملاق ضم آلاف مؤلفة من المسلمين ، واختفى اسم كل من ايغهارد وأنسلم من الساقية وبقي رولاند ، وبات الآن ابن أخت الامبراطور « والساعد الايمن له » وأعظم المحاربين في العالم يمتلك قوى خارقة وطاقات ، وهو بطل انجازاته الرائعة لاتعد ولا تحصى ، ويرافقه أولفر صديقه الحميم مع عشرة آخرين من الأتراب ، وهي عصبة مختارة من الفرسان الذين لا يوجد من يباريهم شجاعة ، انهم نخبة فرسان فرنسا ، وظل الكمين الذي ساقهم الى الموت نتيجة عمل خياني من الجانب الفرنجي ، غير أنه أصبح الآن قد كشف الغطاء عن أنه كان مؤامرة دبرها الملك مارسليون المسلم والكونت غانلون وهو نبيل فرنسي ، كان زوجا لام رولاند ، وكان الهدف الكامل من المؤامرة تدمير رولاند نفسه وأترابه ، ونشأت المؤامرة وتأسست نتيجة للغيرة الحقدوة التي شعر بها غانلون تجاه ابن زوجته ، وقد صيغت روايتها بشعور

درامي وشعور أخلاقي مع زوائد سيكولوجية ، يمكن أن تمتن عملية مقارنة مع دسائس ايغو المشوهة ، وباختصار بدأنامع كارثة عسكرية من النوع العادي ، ولها أهمية صغيرة الى حد ما ، وحصلنا بشكل ما خلال قرنين من الزمن على ملحمة درامية رائعة ، لقد وصلنا الى نشيد رولاند .

وحسب معلوماتنا يبدو أن الشعر وصل الى شكله النهائي مع نهاية القرن الحادي عشر ، وليس من الصعب رؤية السبب الذي جعل الأسطورة تأخذ الشكل الذي أخذته ، وأيضا لماذا كانت شعبية في هذه الأونة ، فقد أصبح الخطر الاسلامي على المسيحية مزعجا مع نهاية القرن العاشر ، وقاد الى عدد من الحملات ضد مسلمي الأندلس مما كانت دوافعه بكل تأكيد دوافع دينية ، وفي الوقت نفسه أخذت سلسلة من الأقايصيص البطولية والأشعار تطرح بالتداول على طول مختلف طرق التجارة ، وسبل الحجاج في اوروبا ، وهي أقايصيص ارتبطت بأسماء بعض الأبطال المحليين وتعايشت مع المدن الهامة والأديرة المنتشرة على كل طريق ، وقاد طريق الحج الى معبد القديس جيمس الهام في كومبوستيلا الى الممر نفسه الذي عبرته ساقه جيش شارلمان وعانت فيه ما عانت ، فما الذي يمكن أن يكون أفضل موافاة للرحالة من أن يتعايشوا ويتسلوا بالنصوص التي تمجد المأساة المحلية ، زد على هذا لقد كان القرن العاشر هو القرن الذي شهد ذروة ازدهار النظام الاقطاعي وتطور قاذون الفروسية الذي ربط التابع بروابط أداء خدمات دينية لسيده ، وبالاخلاص نحو أتباعه ، وأخيرا ألهب التبشير بالحملة الصليبية المسيحية كلها بحماس منقطع النظير لممارسة الحرب المقدسة ضد المؤمنين برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ولينا القليل من البيانات الخارجية حول نشيد رولاند وكما هي قائمة الآن يبدو أنها تتوافق مع البيانات الداخلية (المتعلقة باللغة ، والأعراف الاقطاعية والأسلحة ، والمحاكمات ، وربطت أسماء الشخصيات التاريخية بشكل خاطيء بأسطورة شارلمان

ومسحت كل ما بدا معلومات أصلية عن المسلمين وبلادهم) التي أخذت أماكنها في نشيد رولاند - كما هو لدينا الآن - بعد وقت قليل من الحملة الصليبية الأولى ، واقد قلت كما هو لدينا الآن لأن اسطورة رولاند لا بد وقد وجدت في وقت أبكر بكثير ، وقد افترض شاعرنا وتصور لدى شروعه بحكاية قصته أن جمهور المستمعين كانوا يعرفون كل شيء حول شارلمان وأترابه وحول صداقة رولاند أولفر ، وحول غاذلون ، وكان مثله مثل هومر يحكي حكاية موجودة في قلوب الرجال وذاكرتهم ، والأمر الذي لم يستطع الباحثون تتبعه بعد هو المراحل التي حول التاريخ فيها نفسه الى أقاصيص ، والأقاصيص الى ملحمة ، ولابد أن رولاند دوق تخوم بريتاني كان شخصية هامة ، لكننا لانمتلك المزيد من الاماعات التاريخية حوله ، فلماذا وقع الاختيار عليه ليشغل دور البطل في الملحمة وتم اقضاء الآخرين الذين قاتلوا وقتلوا معه ؟ كيف تبدلت الحكاية وتحولت وبأي شكل ؟ أناشيد شعبية ؟ الأغاني ذات النوعية الملحمية البدائية ؟ نحن لانعرف وكل ما يمكننا فعله هو الارتكاء على العبارة الغامضة لكن المفيدة : « تقاليد شفوية » ، وأن نشير اذا شئنا الى كتاب السير موريس بورا الرائع الذي حمل عنوان « شعر البطولة » الذي أظهر كيف أنه يمكن بسرعة وبشكل غريب ، حتى في هذه الأيام في أجزاء من أوروبا الوسطى ، أن يتلى تاريخ هذه الأيام ليكون ملحمة للغد ، وشيء واحد مؤكد هو أن نشيد رولاند القائم بين أيدينا ليس تصنيفا عابرا لمجموعة من القصص الشعبية ، إنه عمل قام عن سابق تصميم ، وهو قطعة فنية رائعة ، ذات شكل واحد ، وراءها عقل بناء ، ساق جميع أحداثها وسماتها وفق نظام واضح ومتوازن بشكل جميل على العموم .

ولنترك بسرور الى العلماء النقاش حول الأصول ، فعملنا مرتبص بالشعر نفسه ، فنشيد رولاند ، يعد واحدا من أقدم الملاحم الفرنسية التي تعرف باسم « أناشيد الأعمال » وأكثرها شهرة ، وأعظمها مكانة ، وباختصار في الملحمة مايزيد على أربعة آلاف بيت من الشعر ، وهذا يعني أنها بدون شك ثروة أدبية

كبيرة ، لكنها ليست أدبا بالمرة ، ويمكن لقوتها بالذات وبساطتها ومظهرها غير الفني أن تخدعنا وتجعلنا نراها أنها ليست بدائية فقط (وهي حقا كذلك) ولكنها فجأة أو بالحري ساذجة ، لكنها ليست حقا كذلك ، ففي تصميمها توازن ذبيل بين الأجزاء ، وإذا ما سائرناها فقرة فقرة وبخنا إلى مشاهد المعارك نجد تحت السطر براعة سيكولوجية ذات أخلاق وحركة ، وهذا كله قد ترك لنا لنكتشفه ، فقد كان الشاعر يندش ويغني إلى جمهور مزيج بشكل واسع ، جمهور يطلب قصة سريعة مثيرة فيها الكثير من الأفعال ، وهو لم يمتلك الوقت ليهدره في سبيل تحليل أدبي طويل على طريقة هذري جيمس أو ماريسيل براوست .

إن أسلوب الملحمة في الحقيقة أشبه ما يكون بأسلوب الدراما ، يدخل كل واحد من الممثلين فيتكلم ويمثل وفق دور مسرحي مرسوم وتعليقات من القصاص ، وذلك من وقت لآخر كنوع من التوجيهات المسرحية في إخبارنا أن ذلك الإنسان « متسرع » وذلك الآخر « عاقل » وتلك الحالة كذا وتلك الأمور كيت ، أو فلان « حزين أو » غاضب » أو « لديه اعتبارات مأكرة الذي سيوله » ، لكن في الجزء الأعظم علينا أن نراقب وأن نصغي وأن نستخرج لأنفسنا المحرضات التي حركت الممثلين ، والعلاقات فيما بينهم ، ونادرا ما أرينا ما فكروا به أو أخبرنا حول ذلك ، مما ليس له علاقة مؤكدة مع الدور ، وهناك بعض النقاط التي لم توضح أبدا ، وهكذا لم نخبر عن السبب الأصلي للنزاع بين رولاند وزوج أمه ، و فقط في نهاية الملحمة يلمح غاندلون بأن « رولاند أخطأ بحقه في المال والأموال » وتركنا نخمن ماهي طبيعة الحكاية الأصل وكانت معروفة بشكل جيد من قبل الجمهور ، أو أن مسألة الغيرة بين ابن الزوجة وزوج الأم ، وهي أمور مطروحة في التقاليد الشعبية ، اتخذت أساسا لحكاية النزاع ، لكننا في الحقيقة لانحتاج لمعرفة هذه التفاصيل ، فالوضع العام جعل واضحا لنا بما فيه الكفاية من خلال الكلمات الأولى التي تفوه بها رولاند وغاندلون ، وفي الحقيقة إن مشاهد افتتاحية الملحمة هي نموذج لما سيكون العرض

عليه ، وتخبرنا القصيدة الأولى باختصار بصورة الوضع العسكري ، وبدأ مشهد مجلس مارسليون بالعمل ليرينا بأن المسلمين جاهزين للقيام بأي عمل قاتلي ، ويعرض مشهد مجلس شارلمان الكبير كافة الممثلين الرئيسيين في الجانب المسيحي ، ومع عرض سريع موجز يتضمن بشكل مؤكد الخطوط العريضة لسماتهم وأوضاعهم بالنسبة لبعضهم بعضا : فشارلمان هو في الوقت نفسه رجل حذر وحاسم ، وروланд شجاع الى حد التهور ، سهل الاثارة ، متعجرف مع سذاجة ادعاءات بطل ملحمي ، فهو مخلص ، وواثق من نفسه ومذفتح مثل النهار ، وكان أولافر مثله شجاعا ، لكن متعقل وحكيم ومدرك لنقاط الضعف لدى صديقه ، وأما الدوق نايمون ، فكان عجوزا حكيما في مشاوراته ، وأيضا توربين ، رئيس الاساقفة المقاتل ، مع تقديراته للأخريين ومسحة من الدعاية الحادة ، ولم يكن غاذلون جبانا كما برهن مؤخرا في الملحمة ، وقد دعمت نصيحته في ابرام الصلح من قبل جميع رفاقه ، ولكن لسوء الحظ كان عليه بعدما أظهر رولاند ان اقتراح البعثة خطير ولا يمكن الوثوق بمارسليون ، ان يضرب ضربته بالحال ويعلن عن تطوعه ، فقد ترك الأخريين يتقادمون عليه ، وعارض شارلمان الذهاب ، وبذلك أظهر أنه كان أيضا مدركا للمخاطر ويتشكك بمارسليون ، ثم سمى رولاند غاذلون ، وعندما صدر هذا عنه ، حملت الامور رائحة شيء من التحدي ، ولم يعترض شارلمان على برهان غاذلون الغاضب في أنه يقدره أقل من تقديره لنايمون أو توربين وأقل من رولاند أو أي واحد من الأتباع الاثني عشر ، وجاءت ردات فعل غاذلون من موقفه الصعب بالحال عبثا بقوله : « هذه مؤامرة للتخلص مني » وأما رولاند (المؤكد تماما أنه لم يحمل أية فكرة من هذا القبيل في ذهنه البسيط) فقد انفجر ضاحكا ، وهذا أنهاها ، واستبد الغضب والارغام والغيرة والانتقام للاهانة العامة على شخصية هي بالأصل غير مستقرة عاطفيا ، وسقط فريسة لأحزانه الشخصية ، ورأى نفسه قد جرح وأهين ، وتملكته رغبة شديدة بضرورة التخلص من رولاند بأي ثمن دون اقامة اعتبار للشرف والواجب ، وبدون اهتمام مطلق

بالنتائج ، وقد أوجد القرن الثاني عشر كلمة لوصف غاذلون هي « الهلوسة وانفصام الشخصية ، ولم يعرف شاعر القرن الحادي عشر هذه الكلمة ، ومع هذا وصف الحالة بكل صدق وأمانة ».

وما هو مثير للاهتمام ودرامي في منهج الشاعر هو الطريقة التي أظهر بها الحقيقة كاملة حول غاذلون ، فهي قد ظهرت مع مسيرة القصة تدريجيا ، فقد تركنا معلقين حوله ، ولم نكن في البداية متأكدين فيما إذا كان رجلا شجاعا أو جبانا ، وعندما رفض في حركة انفعالية عالية أن يسمح لحاشيته في مرافقته الى سرقسطة قائلا : « الأفضل أن أذهب وحيدا ، لأن أذبح خيرة الرجال معي » أخذنا وقتها كلماته على ظاهرها ، ولم يخطر ببالنا أنه لم يرغب بوجود شهود على المؤامرة الخيانية التي كان يحيكها ، وفي الحقيقة شهر سيفه فقط ، بعدما قام عن سابق تصميم بتحريض المسلمين حتى وصلوا الى حد الانفجار « وأسند ظهره الى جزع شجرة صنوبر » عندها نلاحظ أنه كان بعيدا عن الجبن ، وأنه هادئ الأعصاب ومقامر صعب ، جاهز ليخاطر بحياته في اللعبة الخطيرة التي كان يلعبها ، حتى عندما قدم للمحاكمة بقي متحديا وبكل جلد وهدوء أقر بخيائته مع دعاوى مسوغة بقذفه بالتهم ضد رولاند ، ولم تتخل عنه أعصابه - أن كانت قد تزلت - الا في اللحظة الأخيرة عندما لم يعد رأسه ويده تخدمانه ، وهنا صرخ لقرينه بينابل قائلا : « أتطلع اليك لتخرجني من هذا كله » لقد توفرت شارة لعجزه لكن ليس أكثر ، وبديهي أن تهمة الأولى ضد رولاند قامت على حق : فـ رولاند متسرع ، مثير للخصام ، أرعن ، وسلوكه تجاه زوج أمه يوحي أن الكراهية لم تكن كلها من جانب واحد ، والقصة التي حكاها غاذلون الى بلانكاندريين (الأبيات ٣٨٣ - ٣٨٨) حول رولاند وعجرفته وسوء تصرفه مع التفاحة هي إما سمة مخترعة أو حقيقة ، وليس فيها شيئا غير ممكن ، ولا شك أن تقرير غاذلون العدوانى حول رسالة شارلمان (الأبيات ٤٣٥ ، ٤٣٩) بعيد كل البعد عن الصدق ، لكن

يمكن - بحدود ما نعرف - أنه عبر بصدق عما اعتقده غاذلون أنه نوايا شارلمان ومقاصده ، وحتى التفصيل الزائدة (البيتان ٤٧٤ - ٤٧٥) المختصرة يمكن أن تكون « توقعات ذكية مسبقة » وبناء عليه نعطي غاذلون هنا مزية وأسبقية الشك ، لكنه عندما عاد الى معسكر الامبراطور وبين اخفاقه في احضار الخليفة كرهينة (الايات ٦٨١ - ٦٩١) من خلال خطة مرسومة وبيان أوضاع نعرف أنها كذب من الاول الى الآخر ، عندها نعرف اين نحن ، ولانميل بعد هذا الى تصديق قصة التفاحة ، أو أية تهمة صدرت عن غاذلون ، أو أية كلمة قالها .

ومثل هذا ، من الممكن حتى أن نعجب خلال مشهد الاجتماع والمشاهد مع بلانكاندرين ومارسليون ، دقة غاذلون وغيرته وحرارته في اخلاصه للامبراطور ، وكان ما أعلنه هذا التابع لدى مديحه لسيده : اذا لم يكن شيء ما سيء جدا بالنسبة لروланд مامن شيء سيكون طيب جدا لشارلمان ، ولكن عندما حيكت المؤامرة ، وكانت قيد التنفيذ ، وفيما هو راكب عائدا الى بلاده برفقة شارلمان سمعا صوتا ظن انه لن يسمعه ثانية ، لقد كان نعيق بدوق رولاند ، وهنا قال شارلمان : « اسمع ان رجالنا يحاربون » واجابه غاذلون بوقاحة لانظير لها : « لو أن أحدا غيرك قال هذا ، لكان كاذبا ، وعندما اصر الامبراطور انفجرت الوقاحة تقول بدون اعتبار :

لقد تقدمت بك السدود ، وشعرك شاب وبيض
وعندما تتحدث هكذا تتكلم وكأنك طفل

ليس فيه لايمان ولاصدق ولاأدب ، لأن عقله كله وشجاعته تعفنت ثم تعفنت ، ومع هذا لم يكن هكذا دوما ، فقد كان قد كسب حب رجاله ، وعده الفرديسيون بارونا نبيلًا ، ولا بد أن بعض الخير توفر بالرجل قبل أن تجرفه حرارة الغيرة وتلتهمه :

انتصب أمام الملك الكونت غانلون
بجسم رشيق ولون نقي
وبدا سيدا جيدا ، أو لم يكن هذا زيفا
هكذا وصفه الشاعر بايجاز ثم تركه

ورسمت صورة شارلمان وصنعت من خلال عدد من الاقاصيص
وسمات لاتعد ولا تحصى عزيت الى شخصيته بحكم انه الامبراطور
المقدس ، فالقداسة الامبراطورية هي واعمالها تسلمها شارلمان عبر
الامبراطور قسطنطين ومن خلال الامبراطور جستنيان ، تسلمها
كامبراطور للغرب ، وبه بقيت ، ولشارلمان من العمر مالا يمكن عد
سنه ، أو بالحري هو العمر كله والوقت جميعه ، لأن ولده وابن
أخته من الشباب ، ولحيته البيضاء الكثة وقوته لم تتأثرا « بمائتي
سنة أو أكثر » وهما مثلان علويان ورمزان للأبوة ، فهو خليفة
الرب على الأرض ، ووالد المسيحية كلها ، وهو النموذج الأرضي
للأيام الخوالي ، واليه تتحدث الملائكة وتعطيه القوى العلوية من
عليين وتظله .

ونستخر . من تحت هذه الشخصية العظيمة ، التي هي أعظم
بحجمها من الحياة شخصية أخرى هي صورة الحاكم الدنيوي
المثالي : العادل والحكيم والعظيم والمؤمن ، ولقد بذل الشاعر
ما أمكنه من جهد بالنسبة لشارلمان ليرسم لنا تصور العصور
الوسيطة المبكرة لما ينبغي أن ندعوه في أيامنا هذه
الملك « الدستوري » فهو لم يكن « متسرعا بالاجابة » وما كان
ليقوم بشيء الا بعد الاصفاء الى آراء مستشاريه ، وقد امتلك - كما
يبدو - الحق في الاعتراض على أي اقتراح قبل عرضه على
التصويت ، وما أن ينال الاقتراح الموافقة الجماعية لمجلس
المستشارين حتى يرتبط بذلك القرار ، سواء أوافق عليه شخصا
أم لم يوافق ، وفي هذا كان بكل عناية على عكس مارسليون الملك
المسلم ، الذي قاد بذاته معظم مناقشاته ، وامتنع عند بعض النقاط
بكل صعوبة عن رمي خنجره نحو رسول من الرسل الذي كان

عندما يستدعي مجلس مستشارية يفعل ذلك الذي قال انه سيفعله ، ورأى بعض الكتاب أن سلوك شارلمان الدستوري دليل على الضعف لكنني لا أرى أن ذلك ما عناه الشاعر مطلقا ، فهو قد بدا وهو يعد ذلك صحيحا جدا بالنسبة لسلوك الملك ، مع أننا قد يساورنا الشك حول الحدود التي عكست حقيقة سلوك أي ملك في الفترة الاقطاعية ، وتقرب الصورة المقدمة من حالة الملك الانكليزي في يومنا هذا ، الذي يعطي موافقته على القرار بعد مروره بصورة قانونية على مجلسي العموم واللوردات ، هو يمكن أن يراه غير حكيم ، لكنه لن يحجب لهذا السبب الموافقة ويمتنع عن توقيعه.

ومجددا يقوم تحت هذا كله السمات الشخصية لشارلمان : قدراته السلطوية ، وأدبه ، وشجاعته ، وقوته ، وعمق مشاعره الدينية ، و صداقته مع نايمون ، ومشاعره الحارة تجاه ابن اخته وأترابه مع جميع « الشباب العزابة » الذين دعاهم « بأبنائه » واعتاد ان يركب فرسه وأن يقاتل بين باروناته بمثابة البارون الأكبر بينهم جميعا .

وهنا أيضا ، علينا كما رأى أن نلاحظ وجود نقطة ضعف به ، وذلك عندما غلبه الحزن لدى موت رولاند ، الى حد أنه فقد وعيه وسقط فوق جثته ، وحتى أنه احتاج الى مساندة باروناته ليتمكن من النهوض وهو يتفوه بكلمات النذب والبكاء ، لقد كانت هنالك طرائق ل اظهار المشاعر كما لكل شيء ، ففكرة أن الرجل القوي ينبغي ان تكون ردات فعله تجاه المصائب الشخصية والوطنية بظهور بعض التأثير على شفتيه ، ويرميه بكل هدوء وصمت بسيكارته في قلب موقد النيران هي فكرة ذات أصل حديث ، وبالنسبة لمعايير العصر الاقطاعي كان مسلك شارلمان صحيحا تماما الصحة ، ففقدان الصواب ، والبكاء والنحيب هو ما كان يستدعيه الحال ، وقد حذا جميع الفرسان والبارونات المحتشدين بشكل علني حذوه ، وبكوا وانتحبوا وندبوا مثلما فعل :

شهو مئات الالوف من الفرانسيين حزنا
وما من واحد منهم إلا وبكى وعلا صوته بالنحيب
وفي نهاية هذا الفصل :
ومزق لحيته التي كانت بيضاء كالثلج
واقطع من رأسه شعره الأبيض من الجذور
ومئات الالوف من الفرانسيين انتحبوا مثله وأكثر

ويمكن ان نأخذ هذه الاستجابة على أنها طقوسية
وشعرية ، فالحزن مثل كل شيء في الملحمة تم عرضه بشكل مكشوف
أكثر مما نفع نحن الآن ، ليس هناك من سبب لكي نفترض أنهم
تدربوا على فقدان الوعي بعيدا عن الناس ، وهذه الحركة كانت
تلاقي القبول منهم ، فهذا ما كانوا يرغبون رؤية الناس يقومون
به ، ففي كل عصر يحتفظ لنا الفن بالذموم المحتذى
بالسلوك ، وهو ما تسعى الحياة الحقيقية لتأكيد بكل ما
يمكن ، ولا يمكننا أن نستخلص من بكاء شارلمان وسقوطه مغشيا
عليه أية محصلات حول أخلاقه ، باستثناء أن الشاعر قدمه كمثال
نموذجي حول اظهار الرجل لشاعره ، وفقا لمعايير أحاسيس تلك
الفترة .

ولدى مقارنة أخلاق رولاند وسماته ببراعة وبهاء غانلون ، نجده
بسيطا في ذاته ، متسرعا ، متعجرفا وكريما ، يكره الأخطاء
ويفضحها ، مخلص ، وانفعالي ، متفرد بتفكيره ، إنه حمل جميع
السمات التي أحبها الرجال في قائدهم وتعلقوا بها مع صورة البطل
الرومانسية المقدمة للجمهور ، ولم يكن لديه أدنى مكر ، وكانت
عقول الناس الآخرين بالنسبة له كتابا مغلقا ، ففي البداية رفض أن
يصدق خيانة غانلون ، وعندما تمت مواجهته بالحقيقة ، كل ما
استطاع القيام به هو أنه افترض أن الجريمة قد اقترفت من « أجل
الذهب » وفي الحقيقة لم يفهم مطلقا السبب الذي جعل أولفر غاضبا
منه ، ولم يقدر أبدا القدر الذي اسهم فيه كبرياؤه وحماقته في مأساة
رونسيفو ، لقد امتلك سذاجة أخيل وغروره ، مما سيدمر الحملة

- ٤٠٩٠ -

وذلك من أجل الكبرياء الذاتي ، ولكنه كان انسانا أكثر لطفا من أخيل ، فهو لم يشمت قط أو حمل حقدا ، وقد تحمل انتقادات أولفر بطبع هادئ لطيف ، وكان تحت « جديته المتطرفة » تسامح حقيقي في القلب ، وبساطة كبساطة الاطفال في الحب والاخلاص : للرب وللإمبراطور ، ولأصدقائه ، ولرجالهم ، ولفرسه ، ولدورندال سيفه الطيب ، ومشهد موته مثير بشكل غريب

ولكن الصورة التي تبقى أكثر إشراقا معنا هي صورة الشاب المسرور الذي لا يقهر فما من ملحمة تضرب على هذا الوتر بمثل هذا الوضوح :

مضى رولاند خلال بوابات اسبانيا عابرا على ظهر فرسه
نحو فيلانتف ساق فرسه مسرعا
وكان هو الذي مضى شاكي السلاح
مضى بشجاعة يهز رمحه عاليا
نحو السماء رفع سنان رمحه بعيدا
وربط على قناته ريشة بيضاء كالحليب
وكانت حوافها تلامس يده عند المقبض
وسار مرافقه خلفه مجدين
وأعلن الفرنسيون جميعا أنه حاميههم
وألقي نحو المسلمين نظرة كبرياء
لكن ما ألقاه نحو رجال فرنسا كان لطيفا ناعما
فإليهم تحدث دوما من قلب ودود

وهكذا ساق داخلا الى ذلك العالم المنظف حديثا ، ذي الشمس الواضحة

والألوان البراقة التي ندعوها العصور الوسطى (مع أنها كانت في عمرها الوسيط) لكن لعلها امتلكت حقا أكثر من صيف النهضة المتفجر الذي سيدعى بعصر الولاية الجديدة ، إنه عالم مليء

بالدماء ، والحزن ، والموت ، والوحشية العارية ، ولكن أيضا عالم العواصف الصريحة ، والبساطة البريئة ، والطافح بالثقة بالنفس ، إنه عالم فقدنا الاتصال به كلية الى حد التورط في استخدام كلمات « اقطاع » أو « عصور وسطى » كمجرد عناوين لظلام دامس ، وأي انسان يرى بارقة ضوء في ذلك العالم يتعرض للاتهام بمرض رومانسيه الحنين الى العصر الذهبي الذي لم يوجد قط ، لكن شخصية رولاند تقف هناك لتكذبنا : فقد كان في عصر الشباب كما رأى ذلك العصر نفسه ، وبالمقارنة معه إن مفامري الفضاء والاطفال اللامعين في أيامنا ، ليسوا أقل من الرجال القساة الأشداء في ملحمة من عصور النهضة ، يبدو أنها ولدت وسيطة العمر .

« كان رولاند حادا وكان أولفر عاقلا ، وكان أولفر رفيق رولاند ، نشأ وتربى معه ، ووفقا لتقاليد وممارسات تلك الايام شاركه أعماله وتدريباته ، كما أظهر بعضا من طباع الهدوء والصمت ، والعناد التي هي سمات عامة توجب تقليبها تدويرها في « صديق البطل » وكانت الحكمة بمعنى الممارسة العقلانية ثمينة لكن لم تكن للعرض

أو ربما سمة محبوبة جدا ، فلقد كانت حياة ماري استيورات التاريخية المأساوية ، وليست حياة اليزابيث تيودور الحذرة والماهرة ، هي التي ألهمت طريقها خلال صفحات الاناشيد الشعبية والرومانسيات ، وكان أولفر عسكري أكثر اذقانا من رولاند وأعظم اهتماما وتمسكا بالمستلزمات العسكرية منه بسامعته الشخصية ، فقد كان يعتلي الهضاب قبل المعركة ليستطلع أوضاع الأعداء ويعرف أعدائهم وأوضاعهم ، وهو عمل بالنسبة لمعايير اناشيد الأعمال نادرا ما عد من أعمال السانة ، وكان حين يجد الأمور شائنة وغير معقولة كان يحرض رولاند على طلب المساعدة ، وهو أمر كان البطل يراه مما يحط بكبريائه ، وكان يمضي عابسا وواجما الى عمل كان يعرف مسبقا أنه غير

- ٤٠٩٢ -

ممکن ، وكان لا يرعى الامور الخيالية ولم يكن رومانسيا ليشعر
بالسرور عندما يعرف أن « انسانا ما اقترف خطأ » ، فهو لم يكن
وضعه مشرقا مثل وضع رولاند ، فقد كان قادرا على المثابرة
بالرفض ، وعندما يتبرهن أن ما حذر منه بنات صحيحا ، كان
يخاطب رولاند قائلا بأسف : « لقد أخبرتك بذلك » .

يارفيق انت الذي وضعتنا في هذا الارباك
هناك شجاع حكيم وهناك مهمل
الحكمة أسوا بكثير من حماقة
فمن خلال تعقلك ابك الآن على الفرذسيين المدمرين
إننا لن نكون ثانية قادرين على خدمة شارلمان
لو أنك أصغيت قليلا لما قلته
لجاء مولاي ومضت المعركة على خير ما يرام
وكان الملك مارسليون هو الآن أسيرا أو قتيلا
إن شجاعتك يارولاند لعنة على رؤوسنا

هذا صحيح جدا ، وليس من الكرم أن تمسح الامور هكذا في
ساعة المأساة ، ولعل الذي بات طبيعيا هو أن تقع المسؤولية تحت
نير اللامسؤولية ، وذلك مهما كانت ذكية وعبرت عما في نفسها
هكذا ، وعلى كل حال إن عددا كبيرا من النساء المتزوجات
سيتعاطفن مع أولافر .

وكان له كبرياؤه ، وقد غضب ، وانزعج وتآلم ، عندما قرر
رولاند بعد طول انتظار استدعاء شارلمان وذلك بعدما رأى أن قوات
المؤخرة التي تحت امرته قد نقص عددها من العشرين ألفا الى ستة
الاف رجل فقال له : « عندما طلبت منك فعل ذلك ، لم تستجب ، ولو
أذك فعلت لما خسرت اليوم ولأنقذت رجالنا ، وأن تفعل ذلك الآن
(يعني عندما لم يبق أحد للانقاذ غيرنا) سيكون عارا ، وتدخل
رئيس الاساقفة بقوله : صحيح أنه لا يمكن انقاذ أي انسان
الآن ، إن لشارلمان القدرة على الانتقام لهم ، وأن يدفنهم بشكل

مسيحي لائق ، وخضع أولفر لهذه المناقشة الرائعة بصمت ، فقد كان هناك بالفعل رئيس أساقفة للرايمز اسمه تليبيدوس وذلك في نهاية القرن الثامن ، ولكن لعل صورته في الشعر تدن كثيرا للخيال أكثر منها للحقائق ، وهذا لا يعني مطلقا أنها صورة غير ممكنة ، فرجال الدين المقاتلون عرفوا بشكل جيد في التاريخ المسيحي ، ولكن من المؤكد أن توربين كان بطلا متميزا بشجاعته وبجاذبيته الشخصية ، وقد عامله الشاعر بتدشريف خاص ، فقد أعطي مكانا متميزا في الهجوم الأول الذي قام به المسلمون وذلك بعد كل من رولاند وأولفر مباشرة (البيت ١٢٤٣ وما يليه) وأعطى في الهجوم الثاني شرف « افتتاح المعركة » (البيت ١٤٨٧) وكان هو آخر من ترك ليوقف الى جانب رولاند عندما كان الدقيقة قد قتلوا ، ولقد انتمى توربين الى عصر كان - عندما كتب نشيد رولاند - قد شارف على الانتهاء ، وهو عصر عاش فيه الراهب العلماني قريبا جدا من الراهب الديني ، وفي فترة متأخرة إن إشارة توربين الناقدة لحياة الرهبنة (الأبيات ١٨٨٠ - ١٨٨٢) قد جاءت غريبة جدا بخروجها من شفتي رئيس الأساقفة ، وكما علق مارك بلوخ « يبدو أن الإصلاح الغريغوري لم يكن قد وصل بعد الى شاعرنا » ومع هذا عندما صرخ الفرزي : « حسنا هل يدافع عنا أسقفنا بصولجانه » (أو بحرفية أكثر « بالنسبة لرئيس أساقفتنا صولجانه قوي للاندقاذ ») وقد حملت الكلمات معنى مزدوجا ، أي أن توربين كان مع كل سماته القتالية ومؤهلاته ، رجل كنيسة صالح وكاهنا جيدا ، فقد كان عاقلا في مشاوراته ، ففي منطق قوي طيب وبلطف ، لكن مع سلطة قوية ، تمكن من اجمال الخصام بين رولاند وأولفر ، وجاء خطابه الى العسكر نموذجا للشجاعة والتقوى البسيطة ، وقد تحمل واجباته الكهنوتية بجدية ، وكان آخر عمل قام به قبل أن يموت هو محاولة بطولية لمساعدة انسان آخر ، وهناك لمسة خاصة في بكاء رولاند عليه وندبه له :

انت يا طبيب الذكر رجل جيد وفارس نبيل
إنني أعهد بك الآن الى رب القدرة

- ٤٠٩٤ -

فهو لن يجد عبدا أكثر طاعة منك
فمنذ أيام الرسل لم يكن هناك نبي مثلك
في الحفاظ على العقيدة وكسب الرجال
أرجو الا تلاقى روحك أي عائق في تحليلها
ولتفتح أبواب السماء لاستقبالك

ولعل هذا هو المكان المناسب لنتحدث فيه عن الروح المسيحية
لشعر المحمة ، فهذه المحمة ليست مسيحية في موضوعها
فقط ، إنها مسيحية في كل مفصل من مفاصلها ، ومامن مكان آخر
جرت تحته مجاري العقائد القديمة ثم نبعت على السطح على شكل
مسيحي كما حدث هنا ، وليس هناك خوارق غير الخوارق
المسيحية ، وهدف هذا التأثير فقط (بحكم كونه مسيحيا صرفا)
على عقول الرجال وأعمالهم وليس لتقديس آية حـركة
للقصبة ، والمسيحية هنا هي المسيحية البسيطة غاية البساطة
والمعقنة كثيرا حسبما هي موجودة في أبسط القرى وفي
الكنائس ، ورجال العذف هؤلاء في أعمالهم قد تمت دعوتهم للوفاء
بواجبهم تجاه إيمانهم وتجاه الامبراطور ، وسيؤخذون عندما
يموتون ليستلقون على فرش من الورود بين - بشكل غريب ولكنه
موائم - الأبرياء المقدسين ، وسيسكنون الفردوس مع الرب
وملائكته ، وسيصلون وقتها للرب نفسه مباشرة ، دون تدخل
القديسين ، وكما أرى دون تدخل أم الرب ، فالمسألة باتت على
درجة عالية من البساطة .

والبساطة لا تعني الجهالة أبدا ، ويبدو أن الشاعر لم يكن راهبا
أو منتظما بالسلوك الكهنوتي لأحدى التنظيمات الكبرى ، كان
قسيسا فقط يملك ما يكفي من معرفته بالكتابات المقدسة وآداب
الكنيسة وعقيدته صحيحة كما هو واضح من خلال عمله ، ولكنه
كان مثله مثل غالبية معاصريه المسيحيين يمتلك أفكارا غامضة حول
بيانة المسلمين ، وهكذا كان المسلمون بالنسبة له مجرد (بينميين)
(أي كفار) ولذلك كانوا (بالحري) وثنيين كانوا يعبدون مثلنا

جهنميا كون بشكل غريب عجيب من مهوند (محمد صلى الله عليه وسلم) وتيرماغانت (شخصية عامية ذات أصل مجهول) وبشكل غير متوقع مطلقا - أبولو الذي مسخ في مجريات الحوادث الى « أبوليون الشيطان الاحمق » الذي اعتدنا على معرفته من خلال « تطور الحج » وحملت نصب هذه « الالهة المزيفة » أمام الجيوش الاسلامية وتمت عبادتها بوساطة الجثو على الركب ، وعندما تنزل مصيبة بالكفار ، تراهم يغضبون ويتصرفون بطريقة وحشية مجذونة ، وعقينة (يعني شريعة) « مهوند وتيرماغانت » موجودة في كتاب ، وهنا لا نعرف حقا فيما إذا كان الشاعر قد عرف بوجود القرآن ، أو أنه افترض فقط على أساس شروح الكتاب المقدس - أن كل بيانة لا بد أن يكون لها كتاب مقدس من نوع ما (وكان هذا الجهل متبادلا ، ويمكن أن يرى من قبل أي انسان يحرص على معرفة الروايات عن العبادات المسيحية والعبادات حسبما عرضت جزئيا في ألف ليلة وليلة).

وجرت محاولات لطيفة لتفريق العادات الشرقية عن العادات الغربية ، فمارسيلون ملك الكفار اعتاد على عقد مجلس مستشارية وهم مضجعون على المرافق أو الدواوين ، في حين جلس شارلمان منصبا على مقعد (كرسي أو عرش) ، وانحصر استخدام رمي الحراب وبقيّة أنواع الأسلحة المقدوفة بالجيوش المسلمة ، ويوحى حصار سرقةسطة أن الشاعر حمل في ذهنه صورة المدن الاسلامية ذات الاسوار العظيمة في الأندلس ، حيث كان فن التحصين متقدما كثيرا على نظيره في شمالي أوروبا ، ولعل من المهم أيضا معرفة ان الأمير باليغانت قد وعد عساكره ليس بالغنائم فقط ولكن « بالنساء الشقراوات » وذلك جزاء على شجاعتهم ، ومهما يك من أمر كان المجتمع الاسلامي بشكل عام - سواء أكان في حالة مواجهة للمجتمع الغربي أم لا - يتسم بسمات بناء المجتمع الاقطاعي نفسها ، كما أن الشاعر المسيحي لم يكن غير كريم نحو الأعداء ، فصحيح أن مارسيلون كان مخادعا وأميرا مطلق السلطات بالمقارنة مع ملكية شارلمان « الدستورية » لكنه كان

شجاعا ، وكانت الشجاعة الشخصية متوفرة على كلا الجانبين ، ومع أن عدداً من الأبطال المسلمين اتهموا بالخداع وبالتأمر الرهيب المرتبط بالشياطين والسحر ، إنهم لم يستخدموا قط بشكل غير صحيح الأعمال العسكرية المؤيدة بالسحر ، وكان كل شيء صحيحاً ، والقتال نظيفاً ، ولم تكن شخصية صلاح الدين العظيمة الأفروسية قد قامت بعد لتجذب الإعجاب الفرنجي ، لكن سمعة المقاتل المسلم انتصبت عالية وكانت محط إعجاب غير مشوب

جاء من بالاغويت أمير
شكله شكل نبيل ، عيناه شجاعتان ونقيتان
وعندما يمتطي ظهر حصانه للقيام بمهمة
يحملة بشجاعة شاكي السلاح للمعركة
وكانت شجاعته معروفة من القريب والبعيد
وهو وإن لم يكن مسيحياً ظهر بمظهر فارس صحيح

ولم يتم التغلب على رولاند واتباعه بالعدد المتفوق ، بل واجهوا
عدواً كان كفئاً لسلاحه وجديراً به ، وهذا يعني من بعض الجوانب
أنه لا يمكن صياغة ملحمة حول صراع حيث جميع السمات البطولية
موجودة فيه في جانب واحد

وجاء وصف مشاهد المعركة مزوداً بما لا يحصى عنه من
المقدمات ، ومن وجهة نظرنا بتطويل ممل ، لكن علينا أن نتذكر أن
الأعمال الحربية وفنون القتال كانت بالنسبة لشعب العصور
الوسطى أكثر من مجرد دعوة تسلية ، لقد كانت أعظم الأعمال
الرياضية وأهمها تمتع الشعب بتفاصيل القتال ، وبإحصاء وعد
مختلف المقاتلين الذين اشتركوا بأعمال القتال مثلما نتمتع في أيامنا
هذه في سماع التعليقات المذاعة حول مباراة رياضية أو تصفية
نهائية لكأس ما ، وذلك مع إعطاء ملاحظات حول حياة كل واحد من
اللاعبين .

وتمت الأعمال القتالية كلها من على ظهور الخيل ، وجرى استخدام السلاحان النيبلان فقط وهما الرمح والسييف ، ولم يرد ذكر للرجالة ، أو للنبالة الذي شغلوا دورا هاما في معركة هيسنغ ، وجاء هذا من بعض الجوانب ليتواءم مع صياغة الملحمة ، ولكنه كان صحيحا تاريخيا من جانب آخر ، في أنه في تلك الفترة شغل هجوم الفرسان الدور الاعظم في المعركة ، وما من واحد من الفرقاء توفرت لديه رغبة قوية في اثقال اي جيش بأعداد كبيرة من المشاة ، لاسيما في البلدان الأجنبية حيث سرعة التحرك كانت اساسية ، عندما كان الأمر يتطلب قطع مسافات شاسعة عبر طرق قليلة وسيئة مع تسهيلات فقيرة للتنقل والتزود بالمؤن.

أما بالنسبة لأعمال أصحاب المراتب والأفراد فإن مازونا به قليل ، وفيما عدا ذلك تبادل الفرنديون والمسلمين الضربات أثناء اللقاء بشكل عام ، وتم التركيز في جميع الأماكن على المبارزات الشخصية بين القادة على كلا الجانبين ، وسنلاحظ هذا الشيء نفسه في الروايات التاريخية الجادة حول معارك العصور الوسطى ، وهذا ثانية لم يكن مجرد قانون ، ويظل الأدنى (كما يوبنا بعض الكتاب أن نعتقد) هو اظهر الروح « غير الليموقراطية » أو عدم التقدير للانسان العادي ، ولقد توفر سبب عملي جدا لهذا الحال ، ففي ظل النظام الاقطاعي كان على واحد من البارونات الكبار خدمة الملك في المعركة ، وأن يجلب معه كل ما يتوفر له من الاتباع المسلحين ، الذين جلب كل واحد منهم بدوره ما توفر له من الاتباع الأدنى الخاصين به ، وهكذا نزولا الى أدنى مستويات الطبقة ، وكان كل تابع مرتبطا بيمين الولاء نحو سيده وسيده فقط ، « طرأ استمرار حياتهم » ، ونتيجة لهذا اذا ما قتل سيد كبير في المعركة كان اتباعه يتحررون بشكل آلي من ولاءهم ، وكان بإمكانهم - وهذا ما فعله بعضهم - عدم متابعة القتال والا يأخذوا المزيد من الدور فيه ، ويطبق الشيء نفسه اذا ما وقع بالأسر أو هرب من ميدان المعركة ، فالاتباع وقتها يتركون بلا قائد وقد يميلون الى

التميز وعدم الاندماج بغيرهم ولهذا كان عظيم الأهمية ان يقود السيد رجاله ، وأن يقاتل باقدام ظاهر

وأن يجهد (بقدر الامكان) في أن لا يقتل أو أن يرجل من على ظهر حصانه ، حتى لا يبتعد أتباعه عن مشاهدته فيفقدون شجاعتهم ، ولهذا السبب أصر غاذلون كل الاصرار أنه اذا ما أمكن التخلص من رولاند ، فإن زهرة الجيش الفردي ، الذين كان معظمهم من أتباع رولاند سيتفرقون ، وهذا هو السبب أنه عندما أصيب مارسليون بجراح وهرب ، نكص الجيش المسلم كله على أعقابهم وهرب ، وحدث مثل هذا في المعركة النهائية الكبيرة حين جاء الامبراطور شارلمان والامير باليغانت ، سيد المسلمين جميعا ، للتقابل وجها لوجه ، وتعلقت نتيجة الحرب كلها على مبارزتهما ، وسقط باليغانت ، وهرب الجيش المسلم كله في تلك اللحظة من ميدان المعركة .

وحملت الملحمة اسم « نشيد رولاند » لكن النصف الاول منها هو الذي يتعامل مع انجازات رولاند نفسه ، فهو قد مات (البيت ٢٣٩٦) في نهاية وقفته الكبرى مع قوات المؤخرة ضد هجوم الملك مارسليون الغدار ، وتعلق القسم المتبقي من القصة بالانتقام الذي قام به شارلمان لموته ، ولما قتل الاحد عشر رجلا من الاتباع الآخرين والعشرين ألفا من الفرديين الذين قتلوا معهم ، وبالنسبة لمعايير تلك الايام كانت الحكاية ستتترك غير كاملة بدون الانتقام ، وكان اسم شارلمان سيبقى تحت الرغام لأنه سمح لمقتل واحد من أتباعه أو اقربائه أن يعبر دون أن ينتقم له ، فذلك كان سيبقى شيئا مشينا ، لكن في الملحمة أمر أكبر من هذا ، هناك مسألة تتعلق بمجال الملحمة كله كملحمة وبعملها ، وبحق رولاند في أن يحمل لقب ملكيا .

عندما تعاملت أولا مع نشيد رولاند ، وكنت وقتها تلميذة جامعية ، تقبلت آنذاك الاحكام الرائجة وقتها والتي أطلقت على

الجزء الثاني من الملحمة ، فوقتها قال غوستاف لانسون : « أنا لايمكنني شخصيا الا أن أضع نفسي الى جانب الذين يرون أن انتقام شارلمان من الأمير باليغانت والأمير مارسليون مجرد اضافات رخيصة صممت لمليح العبت الوطني على حساب الشعر » ولدى قراءتي الملحمة مجددا بعد مضي أربعين سنة ، وذلك بقصد ترجمتها وجدت من المستحيل أن أضع نفسي الى جانب أولئك .

ويعود ماحدث خلال تلك الفترة لسبب واحد ، هو والتغيير والتحول من الفكرة الرومانسية حول طبيعة ومقصد الشعر الملحمي الى الفكرة الكلاسيكية ، فمع نهاية هذا القرن كانت ماتزال الاهتمامات تميل نحو التركيز بشكل ضيق على سحر التعاطف الشخصي واستغلال الأوضاع المثيرة ، فقد قامت سمعة الاليانة على أدوار هكتور وأندروماخ ، واللقاء بين بريام وأخيل ، ومثل هذا من « الجماليات » المنتقاه ، وثمنت الانبياء بسبب أحزان بيدو ، والكوميديا الالهية بسبب حادث باولو فرانسيسكا والرعب اللطيف لأغيليزو في برج المجاعة ، لكن الاطار الفكري الأوسع وهيكلته أن يفرض المرء في جسم الحكاية في سبيل انتقاء بعض اللقطات « الشعرية » راسخة في عقول عدد من مخرجي الافلام ، وهؤلاء الذين ينتجون نصوصا مصنعه من حكايات كلاسيكية ، أو يعرضون علينا هومر والكتاب المقدس بصورة ساخرة وتقنية عارية ، ومفيد لهؤلاء الذين يأسفون كثيرا بسبب آخر النتائج أن يتذكروا أن كثيرا من البذور المنحطة بامكانها الاقتحار عاليا بأجداها المحترمين ، لكن ماعاد بالامكان لدراسة ذقنية جادة أن تتبنى الميول الرومانسية ، إن عليها القيام بدراسة الملحمة الشعرية ككل .

واذا ماقمنا الآن بتفحص رأي لانسون في ضوء رولاند نفسه سنجد ان ماقام به بالفعل هو أنه تعامل مع الحقائق بالطريق المعكوس ، حيث أنه ليس القسم الثاني من الملحمة بل القسم الأول هو الذي صنع لتلبية العبت الوطني ، فقد تكونت قوات المؤخرة

المشهوره كلياً من « رجال فرنسيين من فرنسا » وعندما سأل
مارسليون على من يعتمد شارلمان في انتصاراته العسكرية ، أجابه
غانلون : « على الفرنسيين » وكان الامبراطور في مجلسه « لا يصنع
شيئاً الا بناء على نصيحة الفرنسيين » ، وقدمت لنا الحرب نفسها
في البداية على أنها صراع على السلطة بين « مسلمي
الاندلس » و « مسيحي فرنسا » لكن من أجل هذا كله بشكل رئيس
بين اسبانيا وفرنسا ، وفقط بعدما سقط خيرة فرسان فرنسا
أمواتاً في رودسيفو ، وهرب مارسليون الى سرقةسطة بعد اصابته
بجراح مميتة ، انبعث قائماً خلف شخصيات الأبطال الفرنسيين
والملك الاسباني النصبان العملاقان للأمير والامبراطور ، للشرق
والغرب ، للاسلام والمسيحية ، ان العالم مفتوح أمام أعيننا ،
وبإمكاننا أن ننظر عبر سرقةسطة إلى الاسكندرية ، لا بل الى بابل
الحكايات ، « فمن أربعين مملكة » جمع باليغانت قواته ، وحارب
بها ضد الفرنسيين ، فللمرة الاولى نرى « الفرنجة » ونسمع
بصوت جميع العالم المسيحي ، ففي المواجهة النهائية للمعركة
الكبرى الاخيرة التقى شارلمان وباليغانت وجها لوجه :

قال الامير : فكر يا شارلمان وانظر في
أن تعتذر الي من كل ما اقترفته بحقي
لقد ذبح ابني وأعرف أن ذاك تم من قبلك
واقترفت الأثام على أراضي التي أخذتها
كن واحداً من رجالي وسأكون مولاك
ثم تعال واعمل في خدمتي من هنا الى الشرق
وقال شارلمان : لا ، أنا أعد ذلك خيانة
لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام
أمن أنت بما أوجاه الرب
اعتنق المسيحية وعندها سأكون صديقك الاول
وقال باليغانت : « طقوسك » ماهي الا دعوة مريضة
ومجدداً حارب أحدهما الآخر

وتم أخيرا التفوة بالكلمة التي توجب التفوة بها منذ زمن بعيد : « لن أظهر لمسلم أننى حب أو سلام » ، ولا بد أنه تم التفوة بها في ذلك الاجتماع الأساوي الاول ، ولكن شارلمان مع أن عقله وضميره قد غفرا له ، استشار الفرزدسين ، واختار الفرزدسيون - بعد اقناعهم من قبل نايمون وغانلون - السلام من أجل السلام ، وصحیح أن مارسليون قد وعد - اذا ما أزيل الخطر العسكري - أن يعتنق المسيحية ويقدم الولاء للإمبراطور ، لكن هل يمكن لرجل قادر على قتل السفراء ، أن يفی بمثل هذه الوعود خلال ثلاثة أشهر ، أو يعطي أننى قيمة لحياة رهائنه ؟ وكان شارلمان عندما سمع بالعرض للمرة الأولى ، ألمح أن لديه بعض الشكوك حول ما كان حقا في ذهن مارسليون ، لكن هذه النقطة لم تناقش أثناء الاجتماع ، وكان رولاند وحده المصمم على عدم الوثوق بالمسلم ولو لأش واحد ، فقد أراد استسلاما كاملا ، وفق شروط يفرضها المنتصر ، ولسوء الحظ أعطى الانطباع بشدة أنه أشار بالرأي الصواب من أجل سبب خاطيء ، وأنه أراد الحرب من أجل الحرب فقط ، وأخذت الدبلوماسية طريقها ، ونسي المسيحيون ، وكان هذا هو الذنب الذي سبب وقوع المأساة ، وتم التلاعب بالحكمة النبوية بشكل خياني من قبل غانلون ومارسليون ، وكان الثمن فقدان الرفاق الاثني عشرة مع العشرين ألفا من الفرزدسين ، وفي النهاية كان لا بد من مواجهة النتائج ، وقبل كل شيء أرسل مارسليون رسولا الى معسكر الامبراطور يخبر أن باليغانت قد أبحر من الاسكندرية •

وهكذا حدثت الخطوط العظمى للمحنة نفسها ، هناك حرب خاصة نشبت داخل حرب وطنية ، والحرب الوطنية ثانية داخل حرب عالمية بين الصليب والهلل ، وقد هز الصراع الصغير في المركز الهيكل بأكمله ، وما فعله الشيطان كان من غير الممكن منع حدوثه ، وقضى الرب بقضائه الحق ، فكان أن قتل مارسليون وباليغانت ، وتم الاستيلاء على سرقة سطة وطلب من أهلها أن يختاروا بين الموت والتعميد ، وتحولت الملكة براميموند بكل

سلام ، لكن رولاند مات وأترابه ماتوا ، والحرب بين المؤمنين وغير المؤمنين مستمرة هناك بلا توقف ، وسأل مارسليون عن شارلمان قائلا : « انه رجل مسن ، ومتى سيتعب من الذهاب الى الحروب ؟ » وأجابه غانلون : « لن يتوقف مطلقا مادام رولاند حيا ومتى مات رولاند سنمتلك السلام » لكن ذلك كان كذبا ، صحيح انه بات مسنا ، لكنه يبذل كل ما أمكنه لتقديم المساعدة ، فضلا عن انه - أي شارلمان - ما يزال عبدا تابعا للمسيح ، ما انفك يقول : « لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام » ولقد استدعاه الملك وأمره بالذهاب :

قلب شارلمان صغير حتى يتحمل أعباء السفر والقتال
وقال الملك : « يا الهي كم هي حياتي متعبة »
وبكى ثم ربط لحيته البيضاء المتطايرة
هنا نهاية سجل الأعمال

انتهت الملحمة مثلما انتهت الاليانة والايناد ، بمفتاح صغير ، ومع نهاية الانشاد لا أرى أن هناك ما يمكن خشيته من عقد المقارنة .

وما أن فرغنا من رؤية البناء المنهجي للملحمة ، بات من الصعب أن نعد النصوص المتعلقة بشخصيته باليغانت « سجل حوادث » أو أن نعتبر قصة الانتقام « اضافة » ، وحتى اذا ما قدرنا الشعر فقط ، من أين سنقوم بالقطع ؟ بعد وفاة رولاند ؟ لكن كنا قد سمعنا لتونا صوت البوق وهو يجلس ، وصوت الذفير والأبواق الامبراطورية ، وبعد الانتقام من مارسليون هل نترك البكاء على رولاند ، أم نترك وفاة الدا ، أم ندع حكاية غانلون بلا نهاية ، هل نفعل ذلك فنخسر الكثير الكثير ؟ ولقد نسيت ، حتى قرأت الملحمة ثانية ، فعرفت كم هو جميل ، لابل كم هو مشرق النصف الثاني من نشيد رولاند ، فقد جعل الاسطول المسلم ، بمشاعله التي لاتعد ولا تحصى ، الليل جميلا وأضاء ساحل اسبانيا بطوله ، ولمع مثل

صاروخ ألعاب متلألئ الألوان ، وهناك صورة مارسليون وهو يموت وقد جلله العار ، يموت في مخدعه العالي والمقيت ، وهو يسلم قفازه واقطاعه الى باليغانت ، مضفيا عليه شرفا لم يتمتع به خلال حياته ، ثم هناك المبارزة الاخيرة للمعركة الاخيرة عندما اشتبك هذان الشيخان المرعبان بالقتال يدا بيد ، ووقفت الارض والسماء حابسة أنفاسها تنتظر النتيجة ، وهي لحظة يبدو أنها حدثت خارج الزمان ، لقد كانا عظيمان وقديمان بشكل خارق ولحيتهما « بيضاوتان مثل أي وردة على شوك » وتلقى شارلمان لكمة كاد يسقط أرضا بسببها ، وأتاه صوت القديس جبرائيل فاستعاد وعيه واسترد قواه ، ذلك أن الصوت السماوي تتباين قوته عن صوت التقوى الخافت :

وقال : « ماأنت مقبل عليه أيها الملك العظيم ؟ »

وتوجد هنا قسوة حقيقية ، كان بإمكان القديس ثيراس أوف أفلا ملاحظتها ، وتبعث الأحداث بعضها بعضا بسرعة صحيحة ، وبدون اضاعة كلمة واحدة ، وذلك من الدخول الى سرقسطة ، الى الرحلة الجنائزية الى بللي ، الى العودة الى اكس (آخن) الى وفاة ألد ، الى أعمال الاستئناف ذهابا وإيابا أثناء الحاكمية ، الى المحنة بالقتال ، الى الاعدام المريع لغانلون ، كل ذلك مع المشهد الصغير اللطيف المتعلق بتعميد براميموند ، وسيكون من السهل عدم تدارك هذه السرعة بسبب التسارع ، سهل ، ولكنه مصطنع ، وهذا ما صنعناه مع أعمال الخصام الخاصة ، واللادحسم ولا قرار ، والتطور البطيء للنقاش والتأمر ، فالأحداث الآن ضربة من ضربات مطرقة الرب ، ولهذا وقعت مسرعة ، وهناك عيب عام امتاز به القصاص في العصور الوسطى هو عدم القدرة على توزيع فراغاتهم لتتواءم مع أوزانهم الشعرية ، لكن المهم أن يعرف المرء موضوع الحديث ، وهكذا فإن نشيد رولاند وأن كان قصيرا وبسيطا في أسلوبه قد حقق الوصول الى درجة ملحمة ، إنه ليس كتاب سيرة رومانسية ، بل شعر ملحمي عظيم حول موضوع عظيم .

وبين الملاحم الشعرية العظيمة في العالم لعل ملحمة رولاند هي
الامتن ، ليس في الموضوع فقط بل في المعالجة أيضا ، فالأسلوب
غير مزخرف كليا ، هناك تصريحات مباشرة ، وخطابات
مباشرة ، ونادرا ماتجد أصداء عامة ، كل ما هناك تجد هنا وهناك
خلاصات حكيمة تجمال الأوضاع أو تشير إلى المقاصد الخفية
والمعدوية .

عندما يعرف أنه لن يكون هناك أسرى
سيقاتل الرجال بكل شجاعة وسيتمسكون بصفتهم
الخيانة تدمر نفسها وتدمر الآخرين أيضا

ويوجد بين الأربعة آلاف بيت أقل من نصف دزينة من التشايبه
البلاغية ، وهذه التشايبه ليست مثل تشايبه هومر ، وهي لم تحكم
صنعها من أجل خاطرها ، بل لتعبر عن أشياء بديهية بأدنى الحدود
وأبسط الكلمات :

لم يكن الفهد أو الأسد حادا قط مثله
لحيته بيضاء مثل أي وربة من ورود الربيع
ومثلما يهرب الغزال أمام كلب صيد الغزلان
أبدى المسلمون أعقابهم وهربوا أمام رولاند

وأعقبت أعمال المبارزة أحدهما الآخر ، مع قليل من محاولات
التدوين ، بل صدرت كلها عن الوصف نفسه ، الأبيات نفسها وكذلك
أنصاف الأبيات ، ولأنحة الحشود نفسها ، والتعليقات نفسها من
البداية إلى النهاية ، فهذا ما يقتضيه بناء الملحمة ، ولذلك جميع
الأبطال شجعان وكل منهم مقادام ، طليت خوذاتهم
بالذهب ، مهورهم سريعة الجريان أسلحتهم متينة ، وسالت الدماء
على الأعشاب الخضراء ناصعة براق ، وتم الإيحاء بهذا المشهد في
بيت أو بيتين :

الهضاب عالية والوبيان عميقة مظلمة
الصخور مخيفة والشعاب عابسة مريجة
وكان النهار مشرقا وتلألا نور الشمس بوضوح

وقام في مواجهة، هذه الخلفية الأزرق والابيض والأرجواني
والذهبي ، والاشرطة البراقة ، والترسة الملونة والمرصعة
بالكريستال البراق والمسطح المقطوع باتقان مثل رمز خط على قطعة
من الرق ، وإذا ماقررنا الا نجد أية متعة بل تجارب وتعمقيدات
فالأفضل لنا أن نترك ملحمة رولاند وشأنها ، أنها تقدم لتوقعاتنا
المتداخلة أضيق الدلول وأشدما اختصارا : المسلمون على
خطأ ، والمسيحيون جميعا على صواب ، ومايهم هو الشجاعة
والاخلاص ، والوفاة النبيلة تاج لحياة نبيلة .

وتغير الزمان ، وانهار البناء الاقطاعي العظيم ، وجاءت الثقافة
الجديدة من الشرق ، « وعلم بهجة » الحب من بروفانس ، وأعطت
القلعة مكانها للبلاط ، وحول قصاص الحكايات نفسه من القاعة
الصاخبة الى العزلة الهادئة ، وتبددت الموسيقى الخشنة لروايات
الاعمال واضمحلت ، وتخلى السجع عن مكانه لصالح القافية ، أما
القصائد الطوال والكثيرة التكرار وذوات الاشكال والابنية غير
المحكمة فقد حل محلها المقطعات المقفاة المتدفقة بلا عوائق والرشيقة
بالوقت نفسه والنقية ، وتخلى شارلمان عن مكانه لصالح إرثر
البريطاني ، وقام مقام رولاند وأولفر فرسان الطاولة
المستديرة ، ثم عاود هؤلاء الظهور بعد قرون بمثابة الأبطال
الغامضين وغير الطبيعيين ، لشدة المبالغة ، لدى
بوياردو ، وأريستو ، ومع منتصف القرن الثاني عشر تغيبت
الملحمة وقام في مكانها الرومانسيات ، وذسيت الآن معظم أناشيد
الاعمال الا من قبل الباحثين ، ومن الذي مايزال يتذكر
اسماء : وليم دي أورانج ، وراؤول دي كامبراي ، وكواتر
فلزايمار ، وجيرارت دي فيين ، وحقل السكانز ؟ قد يكونوا

قلة ، لكن مع ذلك ما يزال صوت بوق رولاند يصدح خلال ممر رونسيفو « يا الهي كم هو محزن صوت البوق في قلب الغابات »

٢ - الصورة الاقطاعية:

غالبا ما استخدمت عبارة « عصور وسطى » بشكل غير محدود لتغطي الفترة الممتدة من نهاية عصور الظلام (حوالي القرن التاسع) الى بداية عصر النهضة (حوالي القرن السادس عشر) ومن السهل أن نخرج بانطباع أن المجتمع الأوروبي بقي خلال تلك الفترة متشابها بعضه من بعض ، وكان كله منظما بشكل ماعلى أساس « النظام الاقطاعي » وهذه اليتنا القاذونية والاجتماعية حتى هذا اليوم ، لكن التنظيم الاقطاعي الاصيل كان قد بدأ بالتمزق في كل مكان تقريبا في حوالي القرن الحادي عشر ، (الوقت الذي دونت فيه ملحمة رولاند كتابة للمرة الاولى) ليتخلى عن مواقعه لصالح نمط من الحكومات الاكثر مركزية في ظل التيجان التي تزايدت قوتها بشكل كبير ، ومع منتصف القرن الثاني عشر كان وجه المجتمع قد تبدل كليا ، فقد توفرت ثقافة جديدة وأدب جديد ، ومواثيق جديدة للعلاقة والسلوك بين الرجل والمرأة ، وأخلاق جديدة ، وعادات جديدة ، وأسلحة جديدة ، واهتمامات جديدة ، وتطورات جديدة في الكنيسة والقلعة ، والمعسكر والبلاط ، وان هذا ما نذكره بالعادة فيه عندما نسمع عبارة « العصور الوسطى » لأن القصة والصورة جعلتهم معروفين بالنسبة لنا ، لكن نشيد رولاند ينتمي الى قلب الفترة غير المتطورة ، وعندما جعل انعدام الامن الكلي في الحياة من القوة المادية الضرورية التي هي أساسية لعدد كبير من الفضائل ، وكان الشغل الشاغل لكل بارون في أن يجعل من نفسه ملاذا قويا للقائنين على أرضه ، وبناء عليه جاءت البنية الاقطاعية حسبما ظهرت - بشكل غير مقصود التنظيم ، من الاوضاع السائنة ، بنية مجتمع منجذب بشكل دائم الى الاعمال الحربية ، وكانت أغانيه كلها تقريبا حكاياته حول المقاتلين الشجعان والاعمال البطولية في

المعركة ، وليس حول السيدات أو الافتتان ، أو مغامرات العالم الأخرى مثل رومانسيات الفرسان التي ستأخذ مكانهم ، وكان العالم الفردي أيام « أناشيد الأعمال » عالما للرجال بشكل واضح أكثر من عالم هومر ، أو عالم الحكايات الكلتية الشعبية ، أو حتى عالم الملاحم الاسكتلندية ، وأحيانا صدف بالفعل للمرأة أن صنعت ظهورا لنفسها ، أحيانا كما فعلت سيده صلبة متماسكة مثل غيوبروك ، زوجة وليم أوف أورانج ، التي كانت قادرة على الاحتفاظ بقلعة زوجها أثناء غيابه ، وتمكنت أن تطبخ له أيضا وجبة عظيمة جدا لدى عودته من ميدان المعركة ، وأحيانا كضحية غير سعيدة لحظوظ الحرب ، مثل الحسناء أودي في نَشِيد رولاند ، وأحيانا مثل الملكة المسلمة براميموند ، التي كانت امرأة روحانية ، لكن بأفق ضيق لتدرك فيه إمكاناتها ، لكن لم تسلط أية انفعالات عاطفية قوية على هذه السمات الانثوية ، وكانت العلاقات التي تلامس شفاف القلب هي العلاقات التي تربط التابع بمولاه والمقاتل برفيقه بالسلاح وصديقه ، وكانت الروابط فيما بين الجذود الاتباع قوية دوما ، ووضحت قوتها الفائقة عندما سببت الحرب الغياب عن المنزل لسنوات في وقت لم تتوفر فيه الرسائل أو وسائل الاتصال ، وامتلكت العلاقة فيما بين رولاند وأوفرالبريق والعمق والاخلاص في روابط الحب ، لكن بدون سوء نية أو انفعال عاطفي حولها ، وبذل ذلك القرن جهده للتقليل من قيمة العلاقات البشرية الى حد أنه من الصعب ايجاد كلمة كافية وافية لوصف هذه العلاقات القوية من التعاطف والاعجاب والاخلاص بين رجلين ، ان كلمة « صداقة » صغيرة وليس فيها ما يكفي من حرارة ، وعبرة « عبادة متبادلة البطولة » هي صغيرة أيضا وجافة في نبرتها العالية

ولعل الشيء الأكثر اثارة بالنسبة لنا حولها هو ان نلاحظ انه في الأحوال الجادة والرسمية ، كانت عبارة التخطاطب والتشريف الفرعية في الحزن والسرور وفي الغضب والهيام ، وفي القتال والموت هو دوما « سيدي اللطيف » رفيقي

٣ - التابعة الاقطاعية :

قام البناء الاجتماعي في العصر الاقطاعي على التابعة ، ورسا هذا - في جميع مستويات أصوله - على رباط شخصي الخدمات المتبادلة والحماية بين السيد وتابعه ، وتأكد بـ قسم وبطوق اعطاء الولاء ، ووضع التابع بيده بين يدي السيد ، كما لو انهما يصليان معا ، وتعهد مقسما أن يكون رجله طوال حياتهما ، وكان بعد ذلك يقبل الاثنان بعضهما بعضا على الفم ، ومن الواضح أن كلا الدورين من الطوقس يرمزان إلى المقايضة في العلاقات فهذا ما عبر عنه التشابك بالأيدي والخضوع والقبلة المتبادلة ، ويتعهد التابع في أن يكون مخلصا لسيدته وأن يخدمه في مختلف الطرق والوسائل بما في ذلك (ما هو رئيس بالنسبة لموضوعنا هنا) واجب الحاق به الى الحرب مع اكبر عدد ممكن من الرجال المسلحين جرى اختيارهم من بين أتباعه ، وفق ما توجب عليه تبعا لثروته ومرتبته ، وكان واجب السيد حماية تابعه في اثناء الحياة والانتقام له في حالة الموت ، وتحقيق العدل واقامته بينه وبين أتباعه ، والاحتفاظ به ومكافاته على خدماته ، وكان الاحتفاظ على نوعين : وكان التابع يؤخذ في النوع الاول الى مقر سـكـنـي السيد ، حيث كان يسكن ، ويأكل ويلبس ويجهز بما يلزم على حساب السيد ، وشكل هذا النوع من الاتباع حاشية السيد وأهل بيته أو عزبته ، واحتفظوا بعلاقة شخصية خاصة معه ، وعرف النوع الآخر باسم « السكنية » حيث اعطي التابع مسكنا ، أي قطعة من الأرض ، كان من المتوقع أن ينفق على نفسه من دخلها ، ودعي تعداد الخدمات ، لاسيما تعدادها على شكل منح من الأرض باسم « إقطاع » وهي كلمة أعطت اسمها للنظام الاقطاعي ، وأصبحت مع مرور الوقت هذه الاقطاعات وراثية ، انما احتفظ بها في بداية الفترة الاقطاعية على شكل ايلاء ، وتبدل منح الاقطاع بمناولة اعطية ما امام شهود ، وقد تكون هذه الاعطية صكا مكتوبا ، وغالبا ماتكون بعض الاعشاب مع جذورها أو حزمة

- ٤١٩ -

حصاد ، أو (في حالة التعيين في مركز عسكري هام) عصا
صولجانا و علم ونرى في مخطوطة المانية ملحمة رولاند صورة تمثل
شارلمان وهو يناول رولاند علما وذلك كأمانة على اقطاعه تخوم
اسبانيا ، ونلاحظ في نشيد رولاند أن الامارة التي غالباً
مما استخدمت لمنح اقطاع أو تسليمة كانت
قفازا . (الايات ٢٨٢٧ - ٢٨٣٩) .

٤ - العلامات والأمارات :

ولاشك أن مناولة الامارة المراثية كعلاقة على تعيين أو
اتفاق ، مشهد قديم جدا ، ويبدو انه كان لها مقصدان
اساسيان ، أولهما اظهارها كنية على السلطة المعهودة الى انسان
ما : « جئت ممن عند الملك ، هذا هو خاتمة
(عصاه - علمه - قفازه - أو أي شيء آخر) كبرهان على
ذلك ، وكان هذا له عظيم الفائدة وعملي في مجتمع عرفت قلة
القراءة ، انما استخدمت أيضا بمثابة وسيلة للتأثير في تلك المناسبة
على ذاكرة ذوي العلاقة والحضور سواء ، وبالروح نفسها ، وبغية
اثارة الشهود الشباب للاهتمام بأمر ما ، قدم لهم صناديق لطيفة
لتوضع على الآن ، لتدل على أن ماسمعه لن يذسوه بسرعة
ولعل تقديم القفاز قصد به أن يكون أمانة للتذكير من هذا
القبيل ، وجاء استخدام أمانة القفاز في نشيد رولاند كعلاقة على
منح اقطاع كما رأينا من قبل ، وقدم القفاز والصولجان أثناء تعيين
سفير ما أو رسول ، وقدم شارلمان القوس الى رولاند عندما عينه
أمرا لقوات المؤخرة .

٥ - الفروسية :

نجد من خلال شعر الملحمة أن كلمتي « فارس وفروسية » لم
تستخدم لتشير بالضرورة الى رجال رسموا بالسيف ليكونوا بشكل

رسمي أعضاء في منظمة القروسية ، وعلى الرغم من اشتقاق الكلمتين من كلمة « فرس » فإن أيا منهما لاتساوي بكل بساطة مانسميه الآن « خيال أو فارس » وصحيح أن الفارس دوما مقاتل له مطية ، لكن ليس كل مقاتل محمول هو فارس ، ذلك أن الساسة ، والسيرجنية وشطر كبير من أي جيش قد يزحفون نحو الحرب وهم على ظهور المطايا ، وعلى ظهورها يقاتل أكثرتهم ، والعلامة المميزة للفارس هي جمعة بين « فرس حربي » وسلاح كامل ، وينبغي أن يكون السلاح متوائما مع ثروة الرجل ومنزلته ، ويتكون السلاح بالعامة من خوذة فولانية ، وسابغة معدنية (درعا كاملا من الزرد أو بنية مقواة بالصفائح الفولانية) وترس ، ورمح وسيف ، وأضيف أحيانا إلى هذا هراوة معدنية ، علما أنه لم يرد ذكرها في شعر رولاند ، وكانت أسلحة المراتب الأدنى أخف مع سابغة من الجلد أو القماش المبطن ، وكانت خيولهم بالتالي أخف وأبني متانة ، وبناء عليه عندما يتوجه اقطاعي كبير نحو معركة ما ، سيسير خلفه فرسان مقره مع الاتباع الرئيسيين في اقطاعيته ، وسيتبع هؤلاء بدورهم أتباعهم الذين قد يكون بعضهم في مرتبة القروسية ، وسيحاط الجميع بأتباع من مراتب أدنى نزولا إلى الفلاحين الملاكين الذين توجب عليهم تأدية الخدمة العسكرية لصالح اللوردات بحكم كونهم من « رجالهم » وكانت الخدمات العسكرية المطلوبة من فلاحي الأرض محصورة حكما بعدة أيام من السنة ، مع الدفاع عن أراضي الموطن ، وعندما باتت الأوضاع تتطلب حملات طويلة الأمد خارج الحدود ، توجب إعطاء المزيد من المشجعات ، والمحرضات ، وكان السيد مسؤولا بشكل دائم عن إطعام رجاله وتزويدهم بما يلزمهم في ساحات القتال ، وقد يقدم أحيانا على توزيع بعض الاعطيات النقدية أو العينية ، ولتعويض هذه الذفقات وسواها نظر الجميع من أعلى المراتب إلى أنفائها بشكل رئيس إلى الحصص التي سينالونها من غنائم الحرب ، وكونت أسلحة القتلى والمبالغ المدفوعة من فداء الأسرى ، والجزية المفروضة على المغلوبين والثروات المنهوبة من

المدن ، مكافأة النصر ، وبما أن الحديث الآن عن الغنائم والاهتمام
مركز عليها (تصدرها الفضة والذهب والبسة القتال
الصالحة) كان على رأس الهدايا الثمينة التي عرضها مارسليون
(أسود ودببة وخيول ، وكلاب الصيد ، وبغال محملة
بالذهب) ثمننا لآبرام معاهدة سلام ، بيد أنه كان على رأس الكنوز
جميعا شبكة سلاح جاء وصفها بأنها حوت (خدونات محلاة
بالذهب ، وسرج مطلي بالذهب وقربوسة من الفضة وسيوف رصع
قرباب كل منها بالجواهر وهكذا دواليك) ، وبصرف النظر عن
الاشارات الى هذا كله ، ان النغمة العامة المنتشرة في شعر الملحمة
مع سلوك جميع الشخصيات ، اتسمت بالفروسية
، واللامبالاة ، وتحكم بجميع المشاعر الاعمال العسكرية ، فما من
واحد أضاع الوقت - مثلما فعل مقاتلوا هومردوما - بالتوقف في
وسط المعركة لينتزع جثة واحد من أعدائه ويجمع سلبه ، ويشهر
المرء أنه وقف خلف بساطة المعركة ووحشيتها شعور دقيق بالتمسك
بالياقة .

٦ - أحكام المعركة :

وقال الفارس الابيض للفارس الاحمر : « طبعاً إنك ستتراعي
أحكام المعركة » وقالت أليس تحدث نفسها وهي ترقب
القتال : « لعلك تتذكرين أن أحد الأحكام هو اذا ماضرب فارس
فارسا آخر يسقطه عن ظهر حصانه ، واذا أخطاه عليه أن يؤرجح
نفسه من جانب الى آخر » ، وكان حظ الفارس في القرن الحادي
عشر اثناء المعركة سيئاً ، وقيل له : « اذا أردت البقاء حياً ، من أهم
الامور التي عليك مراعاتها هي أن تبقى فـرسك واقفاً على
رجلية ، وأن تبقى أنت نفسك على ظهره ، فإذا ما ألقيت أرضاً ، أو
سقطت ستواجه مخاطر عظيمة ، فاما ستجر الى الموت جراً ، أو
ستفقد رقبتك على أي رجل مسلح يصدف أن يراك » وصمم
السرج في العصور الوسطى على أساس أن يكون له أحزمة

قوية ، وأن يكون وسطه عبارة عن مقعد مبطن أمامه قربوس مرتفع وخلفه واحد آخر ، من أجل ابقاء الفارس ثابتا في مكانه ، ويختلف هذا السرج عن سرج السباق الحديث الذي يمكن الفارس من الانزلاق بسهولة من على ظهر حصانه اذا ماكبا على الأرض ، وذكر الشاعر بشكل واضح (الأبيات ٢٠٣١ - ٢٠٣٤) أنه عندما فقد رولاند وعيه وهو في سرجه على ظهر حصانه نتيجة الألم ونزف دمه « كان حتما سيسقط ، لكنه بقي منتصبا عليه بفضل الأحزمة » وقيل للفارس : « اذا مافتك طعنة رمح الى الخلف ، ستجد نفسك مسنودا بقربوس السرج الخلفي ، واذا ما جعلتك ضربة شديدة بالسيف تنبطح على رقبة الفرس ، أمسك بقربوس السرج الامامي ، ذلك أن انزياحك عن سرج فرسك هو الطامة الكبرى ، لأنه سيقودك حتما للأسقوط على الأرض ، ووقع هذا الحادث مرتين في ملحمة رولاند ، لكن كان ذلك في كلتا الحالتين أثناء مبارزة فربية ، ولحسن الحظ انزلق الفارسان في وقت واحد ، لهذا امتلکا الوقت والمكان ليعودا الى وضعهما السابق ومن ثم متابعة النزال .

وعلى كل حال يمكننا أن نستخرج بعض احكام - أو لنقل بعض أسس - المعركة التي اتسمت بها المبارزات في الملحمة ، ولا بد هنا من ترك بعض المساحة لاسلوب الشعر ، لكن الخطوط العامة مرجح أنها قامت على الممارسات الفعلية ، وكان القتال الذي يأخذ مداه الكامل يسير نظريا على ستة مراحل :

١ - التحدي : عندما يلتقي المتبارزان وجها لوجه ، ويسبق المنازلة تهديدات واهانات (انظر على سبيل المثال الأبيات : ١٢٣٨ - ١٢٤٢)

٢ - المبارزة بالرمح :
استخدم المتبارزون في ملحمة رولاند الرمح وفق ما عرف بالطريقة الحديثة ، وهي أن يجري تثبيت الرمح تحت الذراع الايمن بكل

- ٤١١٣ -

قوة ، وأن يسدد في الوقت نفسه نحو صدر الخصم أو خوذته ، وكان الهدف أما خرق صدره أو اقتلاعه من على سرجه بفعل وزن الرمح وسرعة اندفاع الحصان ، ونجد على سجادة بايو التي تعود الى فترة ملحمة رولاند نفسها تقريبا ، الفرسان يستخدمون الطريقتين الحديثة والقديمة معا ، فقد صور بعض الفرسان وهم يحملون رماحهم فوق رؤوسهم وبذلك استخدموا الرمح كسلاح رمي ، ويلاحظ أن الرماح التي استخدمت للرماية كانت قناة كل منها بسيطة بدون زينة ، بينما زينت التي استخدمت في الطريقة الحديثة بعلم مثلث الشكل صغير أو بريشة أثبتت تحت السنان ، تماما مثلما جاء الوصف في رولاند (على سبيل المثال)
الآيات : ١٢٢٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٧٦ ، الخ)

٣ - المبارزة بالسيف :

١ - على ظهور الخيل :

إذا انقصت الرماح بدون نتيجة حاسمة ، ولم يتوفر تابع للتزويد برماح جديدة ، يشهر المتبارزان سيفيهما ويتابعان القتال ، وكان السلاح في تلك الآونة سلاحا للاستخدام بيد واحدة ، لكن لم يكن أمرا شاذا أن يؤخذ باليمين لتوجيه ضربات قاسية جدا ، ووقتها يرخي زمام فرسه ، ويترك فرسه المدرب يقوم بواجبه ، واستخدم حد السيف ولم يعتمد على رأسه ، وتوجب توجيه الضربات على رأس الخصم ، وإذا ما تفادى الرأس الضربة ، أو صدتها الخونة قد تنزل الى الكتف فتحدث جرحا مميتا يعطل الذراع الأيمن ، أو كما حدث عندما تمكن رولاند من قطع يد مارسليون اليمنى عند مفصلها ، فعطله عن متابعة القتال (البيتان : ١٩٠٢ - ١٩٠٣)

ب - المبارزة بالسيف على الأقدام :

إذا ماترجل المتبارزان وتمكنا من الوقوف على أقدامهما يتابعان القتال بالسيف مترجلين وفق طريقة الطعن والضرب نفسها .

- ٤١١٤ -

٤ - الدعوة المتبادلة للاستسلام :

غالبا مايحدث في المبارزة الفربية الطويلة ، كالتى قامت بين شارلمان وباليغانث (الأبيات ٣٥٦٤ - ٣٦٢٤) أو بالاحتكام الرسمي بوساطة محنة القتال كما حدث بين ثيري وبينابل (الأبيات ٣٨٧٣ - ٣٩٣٠) ، وقفة لاسترداد الأنفاس ، ويحق في تلك اللحظة أن يدعو كل مبارز الآخر الى الاستسلام حسب شروط ، واذا مرفض كلاهما يتابعان القتال حتى يموت أحدهما .

٥ - ضربة الموت :

عندما يفقد أحد المتبارزين سلاحه أو يتعطل عن متابعة القتال ، أما أن يدعو المنتصر الى الاستسلام والأسر ، أو يوجه اليه ضربة الموت ، وأعلن في رولاند (البيت ١٨٨٦) وجوب القتل وعدم أخذ أسرى .

٦ - مباهاة المنتصر وافتخاره :

بعد قتلك لعدوك ، ستتولى تشجيع نفسك ورجالك بكل السباب والشتائم الى الجسد الميت ، وصحيح أن هذه العادة لا تنماشى كليا مع صورة الفروسية لدى الانكليز ، لكنها كانت جزءا من الاجراءات الصحيحة في جميع الملاحم المبكرة ، فعند هومر غالبا ماجاءت المباهاة على شاكلة التحدي وعرضت في خطاب طويل محكم الصنعة ، وكقاعة يتكون الخطاب في رولاند من بيت أو ما يشبه ذلك ، وقد لا يتجاوز القول : « خذ ذلك ، انت يا ... » وهذا مسموح به حتى في المعايير المعاصرة في مثل هذه المبارزات الحامية (انظر على سبيل المثال الأبيات ١٢٣٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٧ ، ١٢٩٦) .

وغني عن القول أنه اعتبر عملا خيانيا وليس من أخلاق الفروسية مهاجمة انسان من خلفه ، ولم يدع الشاعر أولفر رفنيق رولاند ، والبطل الذي لانظير يموت في قتال مباشر ، بل جعله يقتل بضربة قذرة من هذا النوع (البيت ١٤٩٥)

٧ - التدشئة والمرافقة :

كان هناك فوق وأعلى من رباط التابعة العام أيضا الرابط الخاص الذي ربط رجلا بسيد تربي معه ونشأ ، أو الذي ربط سيدا بمرافقه ، وقضت العادات القديمة بإرسال ولد من أسرة كريمة ليتربي وينشأ ويرعى في بيت سيد رفيع المقام ، ويتلقى هناك ما يحتاجه من تعليم وثقافة ، ويتعلم الأخلاق الجيدة ويذرب على استخدام السلاح ، والرياضة والفروسية ، وإذا حدث وتربي صبيان هكذا ونشأ معا في الجد واللعب ، سيدوان صديقان من نوع خاص أو لنقل رفيقين ، وسيستمر هذا التقارب مع تنافس الأصدقاء وسيتطور مع تقدم الحياة ، وكان التعاطف بين الرفاق ، أو بين السيد والفتى الذي تربي ونشأ في بيته قوية جدا ، وغالبا ماغطت علاقات القرابة بالدم ، وهكذا نسمع عن « العزاب الشباب » في بيت شارلمان « الذين دعاهم بأبنائه » ، ونرى كيف مضي تفكير رولاند ساعة موته فقط نحو « الرجال في صفه » بل أيضا نحو « سيده شارلمان الذي رعاه ورباه منذ أن كان صـبـيا » ، وبشكل خاص نحو « رفيقه » أولفر ، وسنلاحظ أيضا أن كل واحد من الأتراب الاثني عشر كان له « رفيقه » ولذلك غالبا وردت الأسماء بشكل مزدوج : غيرين وغيرير ، ايفز وايفوز ، أوثون وبيرنغر ، أنسيس وسانسون يبدو أن الزوج المتبقي جيرارد أوف روسيلون وانغلر أوف بوردوازدواجا معا من خلال المرافقة ، ولهذا لم يرد ذكرهما بشكل خاص ، ولعل ذلك أيضا بسبب أن جيرارد عرض بمثابة رجل عجوز

٨ - الخيول والسيوف :

لعله ليس من الضروري كثيرا اظهار أهمية الخيول الجيدة والسيوف الماضية ولا اللاحاح على العواطف تجاههم مع مراعاة هذه الممتلكات الثمينة والعناية بها ، وهذا ليس بغريب فعليهما اعتمدت سمعة الرجل المقاتل وحياته ، وكان فقدان أحدهما معناه كارثة حقيقية وأن نرى وقوع أحدهما بيد العدو فذلك يسبب العار

- ٤١٦ -

والشعور بالاسى ، ومنحت السيوف والخيول المتميزة أسماء تشرّفها
وترفع من قدرها ، ونلاحظ أن الأمير المسلم باليغانت قد منح سيفه
اسما حتى لا يبدو بحال من الأحوال أقل منزلة من سيف شارلمان
وسيمر بنا في نص رولاند أسماء العديد من السيوف المسيحية
والاسلامية .

نشيد رولاند

- ٤١٢٠ -

١ - قارله الملك - امبراطورنا شارلمان
أمضى سبع سنين طوال كاملة مسافرا في اسبانيا
استولى على الاراضي المرتفعة بعيدا حتى ميان
ما من قلعة أمكنها الوقوف في وجهه
أو مدينة أو أسوار تركت له الا واقتحمها
باستثناء سرقسطة في موقعها الجبلي المرتفع
يحكمها مارسليون الذي يكره اسم الرب
إنه يطيع مهوند ولا بولو يصلي
لن ينجو من الدمار الذي ينتظره
٢ - أقام مارسليون في بلدة سرقسطة
وبحث عن حديقة ليقيم فيها ظلته
وأقامها على دكة رخامية لامعة
ووقف حوله والتف حول علمه عشرون ألفا من اتباعه
وللمثول في حضرته استدعى قاداته وأمراء جيشه
أصغوا الي ايها السادة - إن ما أزعجنا وأضر بنا
الامبراطور شارل المرتدي لتاج فرنسا الجميل
هاجم بلادنا بهدف الاستيلاء على ثرواتنا
ليس لدي ما يكفي من الدشود لمنازلته
أنا لم أجد قوة كافية لطرد قواته
ايها الرجال العقلاء أشيروا علي الآن
أبقوا على حياتي واحفظوا لي شهرتي
ما من مسلم تفوه ببنت شفه
حتى تكلم بلانكاندرين سيد فالقوندا
٣ - كان بلانكاندرين حكيما وسسط حشود
المسلمين (٢٤ - ٤٦)
وبالشجاعة كان فارسا قويا ومقداما
ولأننا بالعقل لتقديم المشورة الى سيده
وقال للملك : لا تخشى شيئا ولا يبخلك الفزع
بل أرسل الى شارلمان المتكبر والغاضب

- ٤١٢١ -

خدماتك المخلصة وعرضا بصدقة مستقبليّة
وعده بأسود ودببة وكلاب صيد
وسبعمئة جمل و ألف صدق مدرّب
وأربعمئة بغل محملة بالذهب وكوز الفضة
وخمسين عربة تشكّل قطار عربات
وبهذا سيتمكنه إعطاء عساكره هدايا ثمينة
وقل : يكفيك ما قمت به من حرب في هذه الأرض
الى اكس في فرنسا دعه يعود ثانية الى وطنه
ويوم عيد القديس ميخائيل الحق به الى بلاطه
وهناك ستقدم طاعتك للقاذون المسيحي
وكن من رجاله بالايمان والعهد والميثاق
واذا ما طالب برهائن ليطمئن
أعطه ربما عشرة أو عشرين
وانا كان مفيدا سنبعث بأولادنا الذين ولدوا من زوجاتنا
سأرسل بابني مع أنه سيتموت لذلك
الأفضل كثيرا أن تسقط رؤوسهم
من أن نفقد شرفنا وأملاكنا وكل شيء
وأن نصبح مدّعين متسولين
٤ - وقال بلانكاندرين : « أنا أقسم بيمينتي (٤٧ - ٧٥)
وبالحيتي التي ترتعش حول حضني
سترى بالحال حشد الفرنسيين يتبدد
سيعودون مسرعين نحو موطنهم فرنسا أرضهم ومحلهم
وعندما سيستقر كل واحد مع أحبائه من جديد
سيأخذ شارل مقامه في بيعته في اكس
وسيقيم هناك احتفالا عظيما يوم القديس ميخائيل
سيمضي الوقت وستمر الساعات
ما من أخبار عنا ، ما من رسائل منا سيستلم
الملك سريع الغضب في قلبه حقد وحشي
سيقطع رؤوسنا ويفصلها بضربة فأس
الأفضل سقوط رؤوسهم في أحضانهم

- ٤١٢٢ -

من أن تسقط اسبانيا الجميلة وتذهب من بين ايدينا
وسنعاني من خسائر مروعة ومن المآسي
وقال بلانكاندرين : « في ذلك شيء من الصحة »
٥ - وأنهى الملك مارسيل النقاش
واستدعى للمثول أمامه كلارين البلاغاتي
واسترامارين ويودروبين صديقه
وغارلن ذي الحية الطويلة واسمه برايامون
وما كنير وعمه ماتثاي
وجوهون من وراء البحار ومالاباين
وبلانكاندرين ، وصنع هؤلاء العشرة الحكاية
كانوا شجعان بلانظير واليهام توجه بالخطاب قائلا :
أيها السادة ، سادتي توجهوا الى شارلمان
الذي يلقي الحصار على قرطبة يريد الاستيلاء على المدينة
ليحمل كل مذكم بيده غصن زيتون وليظهره عيانا
فالخضوع والسلام يظهران بهذه الطريقة
إذا ما نجحت جهودكم في اعداد هذه المعاهدة
سأعطيكم ذهباً وفضة بأوزان مفيدة
وأراضي واقطاعات بقدر ما يتمناه القلب (٧٦ - ١٠٠)
وأجاب العشرة سيكون ذلك كثيرا ومرضيا
٦ - وأنهى الملك مارسيل مؤتمره
وقال لرجاله : سادتي اذهبوا بسرعة
احملوا في ايديكم أغصانا من شجر الزيتون
وفي سبيلي اطلبوا من الملك شارلمان
من أجل الرب أن يظهر الرأفة بحوي
وقولوا صدقا لن يمضي هذا الشهر قبل أن يراني
قاصدا اياه أقود معي ألفا من الاتباع
عندها هناك سألقى شريعة المسيح
وبإيمان وحب سأكون تابعا له
سأرسل اليه رهائني إن كان هذا يرضيه
ثم قال بلانكاندرين : تأكدوا من استجابته لرجائي

- ٤١٢٣ -

٧ - وطلب مارسيلون احضار عشرة من البغال بيضاء كالثلج
(هدية أرسلها من قبل ملك سواتيليا)
سروجهم من فضة وأعنتهم جميعا من ذهب
واعتلى الآن ظهورهم الرجال الذين كانوا على نية الذهاب
كلهم حمل في يده غصن زيتون
وقدموا على شارلمان المتملك لفرنسا
وبطريقة ماغرروا به فهذا ما كان مقدرا
٨ - كان الامبراطور شارلمان مسرورا مليئا بالبشر
سقطت قرطبة ، أسوارها الخارجية خرقت
المجانيق دمرت الأبراج. وأحالتها الى ركام
ألت الغنائم الثمينة الى جميع فرسانه
ذهب وفضة ومعدات حربية ثمينة
لم يعد في المدينة أحد من المسلمين (١٠١ - ١٢٩)
فالذي لم يذبح تحول الى المسيحية رعبا وخوفا
وجلس الامبراطور في حديقة في الجوار
ومن حوله رولاند وأولفر
والدوق سمسون وأنسيس الشجاع
وغودفري دي أنجو حامل علم الملك
وغيرين أيضا ومعه غيريير أيضا
وحيث هؤلاء كان هناك أخوة كثيرون
خمسون ألفا كاملة من فرنسا الجميلة والعزيزة
على زرابي بيضاء جلس هؤلاء الأتراب النبلاء
وقدم الصرافون الداما والشطرنج
واحتفظوا بهما لتسلية الشيوخ من البارونات
وتسلى العزاب الشبان بالسيف والرمح
تحت صدوبرة الى جانب شجرة عليق
قام سرير من الذهب الأحمر الخاص
بجلال جلس ملك فرنسا الجميلة
شعر رأسه أبيض ولحيته فضية
جسمه نويل مظهره مخيف

- ٤١٢٤ -

إذا ما قصده قاصد لاجاجة للأقول : انتبه هنا
عن بعد ترجل الرسل عن ظهور مهورهم
أحسنوا صنعا فحيوه بمظاهر الحب والاخلاص
٩ - أمامهم جميعا تقدم بلانكاندرين ووقف
وحيا الملك : أضفى الرب نعمته عليك
الرب سبحانه الحقيق بالعبادة
هكذا تكلم الملك مارسليون العظيم في حكمه
كثيرا ما تعلم العناية بالايمان والصدق
اليك وارضاء لك سيرسل الآن ثرواته
أسود ودببة وأعداد غير قليلة من كلاب الصيد بمقاودها
وسبعمائة جمل وألف صقر مدرب
وذهب وفضة حملوا على أربعمائة بغل (١٣٠ - ١٥٣)
قطار من خمسين عربة لنقل
وتخزين ما يكفي من النقود الذهبية الجيدة
منها ستدفع لجندك كما تريد
لقد أقمت طويلا في هذه البلاد لاتعاسنا
عد الى اكس في فرنسا تلبية لمطالبنا
الى هناك من المؤكد سيتبعك مولاي
وسيكون رجلك بالايمان والاخلاص
ومملكته كلها سيحتفظ بها اقطاعا من يدك
وبيدين رفعهما الامبراطور نحو الرب مستلهما
ثم طأطأ رأسه مفكرا
١٠ - ولوقت طويل مكث الامبراطور يحدق نحو الارض
فهو لم يكن رجلا يتسرع في اجاباته
بل اعتاد أن يتكلم بعد مشاورات طويلة
وعندما نظر نحو الأعلى كانت نظراته صاقبة وعالية
وقال للرسل : كلامكم جميل وجيد
ومع ذلك إن الملك مارسيل عدو لي وعدوي
في كل ما تفوهتم وعرضتموه علي
لا أجد ما أثق به وأعول عليه

- ٤١٢٥ -

لتأكيد هذا وضمائه أجاب المسلم
سبع عشرة رهائن أو خمس عشرة أو عشرين
واحدا منهم ابني سأرسله برغم خوئي عليه من الموت
آخرون أيضا ذبلاء أقسم سيكودوا لديك
عندما ستحتفل في قصرك العظيم بعيد
القديس ميخائيل الكبير أوف بيرل على الشاطئ
سيلحق بك ، على هذا يمكنك أن تعود
وفي هذه الحمامات التي أعدها لك الرب بقدرته (١٥٤ - ١٧٠)
سيتحول الى المسيحية وهناك سيعمد
وقال شارلمان : وقتها يمكن أن يبقى نفسه حيا
١١ - كان المساء جميلا وأشرقت الشمس بجلاء
بالحال أرسل الملك شارلمان البغال البيض العشرة الى الحظيرة
في الحديقة الكبرى أمر الرجال بنصب
خيمة للرسول العشرة كي يقيموا
مع اثني عشر من السيرجانتية لتلبية جميع مطالبهم
وأضوا الليل هناك حتى انبلاج ضوء الصباح
ونفض الامبراطور الآن من فراشه مبكرا
وفي القديس والتراثيل قدم صلواته
ثم توجه الملك نحو شجرة صنوبر
والى هناك دعا باروناته لعقد اجتماع
وتبعوا للنصيحة الفرذسية سار، ولها استجاب دوما
١٢ - ومضى الامبراطور ليجلس تحت شجرة صنوبر طويلة
وللاجتماع به دعا باروناته :
الدوق أوغيير وبرئيس الاساقفة توربين التقى
ورشارد العجوز وحفيده هنري (١٧١ - ١٩٥)
والكونت أسلين شجاع غاسكوني
ومايلز وابن عمه اللورد تيبولد أوف رايمز
وأيضا غييرن وكذلك حضر غيريير
وجاء الكونت رولاند ومعه جاء البقية
وأولفر الذليل والجيد وقت الحاجة

- ٤١٢٦ -

وجميع فرنسيو فرنسا وربما كانوا ألفا أو أكثر
وغاذاون ذاك الذي حاك المؤامرة
هكذا بدأ ذلك الاجتماع الذي وصل الى تلك النتائج المحزنة
١٣ - وبدأ الامبراطور شارلمان بقوله :أيها البارونات سادتي
من عند الملك مارسيل ، جاء رسل ، يزدشدون السلام
وعرض على منحي عطايا عظيمة
من الأسود والدببة وكلاب الصيد المقودة
وسبعمائة جمل وصقور مدربة شجاعة
وأربعمائة بغل محملة بالذهب العربي
وخمسين عربة محملة بشكل جيد مقطورة الى بعضها
لكنه يستعجل الآن ذهابي الى قصري في اكس
وهناك سيغير ايمانه الى ايمان أكثر فائدة
سيصبح مسيحيا وسيعتبرني قائده
لكن ماهي مقاصده الحقيقية ؟ هذا ما لا أستطيع الاجابة عليه
وقال الفرنسيون جميعا : الأحسن أن نكون حذرين
١٤ - وماأن أنهى الامبراطور شارلمان خطابه
حتى رفض الكونت رولاند بحدة
وسارع بالمعارضة بانبعائه واقفا على قدميه
وقال للملك : لا تثق بمارسيل مطلقا (١٩٦ - ٢٢٥)
لقد مضى على وجودنا في أرض اسبانيا سبع سنين طوال
لقد حصلت لك على كل من نوبل ووكومبيلز
واستوليت على فالتيرنا وحزت على أرض الصنوبر
وعلى بالاغيت واشبيلية وطليلة
ثم اقتدرف مارسيل عملا خيانيا عظيما
وارسل رسله وعددهم خمسة عشر
ويحمل كل منهم غصن شجرة زيتون
وبكلمات طيبة يزدشدون منكم السلام
ثم كان أن سألتهم السادة الفرنسيين عن رأيهم
لقد أعطوك نصيحة حمقاء حقا
لقد أرسلت الى المسلمين كونتين من حاشيتك

- ٤١٢٧ -

باسان كان الاول وباسيل كان الآخر
لقد قطع رأسيهما على رابية دون هاليتايل
هذه الحرب التي بدأت أججها ولاذوقها
والى سرقة سطة قد حشودك الى الوغى
أمض حياتك ، ان اقتضى الحال ، في الحصار
انتقم للرجلين من الخائن الذي سفك دمهما
١٥ - وجلس الامبراطور شارلمان ساكنا مطرق الرأس متفكرا
وحرك لحيته وشاربيه بكل لطف
ولم يرد على ابن أخته لا بخير ولا بشر
ولازم الفرديسيون الصمت ، باستثناء غانلون وحده
هب واقفا والى حضرة شارلمان تقدم
وقال للملك : لا تثق بهذا الفتى الزرثار
ولا بي أيضا ، وابدث عن مصالحك فقط
ان كان الملك مارسيل قد أخبرك بوساطة رسله
أنه سيضع يده في يدك ويعطيك العهد والميثاق بالولاء لك
ويحكم اسبانيا كلها باسمك ووفقا لرغباتك
والايمان الذي نتبعه سيقبله
الرجل الذي طالبك بعدم القبول ارفضه (٢٢٦ - ٢٥١)
لاتهتّم سيدي بالموت الذي يهددنا به
لايصح أن يتعجرف المستشارون ويركبوا رؤوسهم
ودعنا نصغي الى الرجال الحكماء والا نستمع الى الحمقى
١٦ - وانتصب نايمون في هذه اللحظة أمامهم جميعا
لم ير تابع قط أفضل منه بالقاعة
وقال للملك : حسنا مولاي هل استمعت
الحجج التي عرضها الكونت غانلون
فيها ثقل وعلبك الاهتمام بها
الملك مارسيل هزم في الحرب
وانتزعنا منه قلاعه وحصونه
وبالمحانيق دمرت أسواره
لقد أحرقت مدنه وجيوشه أبدت

جاءك الآن ناشدا رحمتك
انه لاثم عظيم مضايقته أكثر
ولانه سيقدم رهائن تؤكد حسن ايمانه
علينا الاسراع بايقاف هذه الحرب الكبيرة
وردد الفرنسيون جميعا : لقد تكلم الدوق كما ينبغي
١٧ - أيها البارونات ، سادتي ، من سذرسل فورا
الى سرقسطة الى الملك مارسليون ؟
أنا سأذهب ، اذا سمحت ، قال نايمون
لهذا امنحني القفاز والصولجان
أنت أحكم حكمائي - هكذا أجاب الملك بفخار
والآن بحق لحيتي ووجنتاي وذقني الحوامل لها
لن نجشملك السفر لمدة اثني عشر شهرا طويلا
لذلك ، اجلس ، لاننا لم نستدعك
١٨ - أيها البارونات ، سادتي ، من سذرسل
منكم (٢٥٢ - ٢٧٦)
الى سرقسطة ، الى الملك المسلم ؟
أنا ان كنت للمهمة أصلح ، قال رولاند
لن تكون أنت ، أوضح أولفر :
أنت انفعالي وعنيد في أعمالك
أنا عندي أرض أنت أعطيتنيها اقطاعا
ان سمح الملك أنا سأقوم بهذه المهمة
ورد الملك : اصمتا أنتما هناك
لأنت ولاهو سيخطو خطوة على ذلك الطريق
بحق لحيتي هذه ذات المرأى الفضي
لن أسمى أيا من الأتراب الاثني عشر حتى لأبكيه
ولم يقل الفرنسيون شيئا ووقفوا مصعوقين صامتين
١٩ - ثم نهض من بين صفوفهم توربين أوف ايمز
وقال للملك : دع باروناتك الفرنسيين يرتاحون
لقد مضى على وجودهم في هذه الأرض سبع سنين طوال
فيها عانوا كثيرا من الخوف والمتاعب

- ٤١٢٩ -

أرجوك ياسيدي ، أعطني - بناء عليه - الصولجان والقفاز
سأقصد مسلم الأندلس وأراه
وفي نظراته سأقرأ مقاصده
وبمظهر غاضب أجابه الامبراطور :
على تلك السجادة البيضاء اجلس وابق دونما حركة
وأیضا أقول : الزم الصمت حتى أمرك بالكلام
٢٠ - قال الامبراطور : عصبتني من الاحرار والفرسان
تعالوا واختاروا لي واحدا من بارونات أرضي
ليحمل رسالتي ويضعها في يد الملك مارسليون
وتكلم رولاند فقال : غانلون زوج أمي ، ياسيدي هو
الرجل (٢٧٧ - ٣٠٢)

وقال الفرنديون جميعا : في الحقيقة هو الأكثر جدارة
إذا لم تخره لن تجد له نظيرا
وانفجر الكونت غانلون مغضبا غضبا عظيما
وتنهذ مغضبا واشدة ذلك مال نحو الخلف
ووقف أمامهم بردائه الحريري المشقوق
عيناه تبرقان ، مظهره مظهر سمو وكبرياء
قوامه رشيق وعرض صدره كبير
الأتراب كلهم حدقوا به فقد كان شكله شكلا عظيما
وقال لروланд : أحمق ، مالذي جعلك أحمقا
أنا مولاك وزوج أمك ، وهؤلاء جميعا يعرفون من أنا
وأنت سميتني لأقصد معسكر مارسليون
إذا ما قدر الرب العظيم أن أعود من هناك
سأنزل بك فوق ما تستحق وأدمرك
ورد رولاند : هذا كله تبجح وادعاء
التهديد لا يخيفني ، والعالم كله يعرف ذلك
لحمل هذه الرسالة نحتاج الى رجل جيد
أنا سأخذ مكانك لو أن الملك أنن
٢١ - قال غانلون : مكاني لن تأخذه

- ٤١٣٠ -

أنت لست تابعاً لي وأنا لست مولاك
شارلمان أمرني وخدمة له أنا مطيع
سأقصد مارسيل لالقاءه عند أبواب سرقةسطة
وهناك سأجيك مؤامرة مميتة
ان لم أجد مذنباً لاطفاء غضبي اللامحدود
ما أن سمعه رولاند حتى ضحك في وجهه
٢٢ - عندما رأى غانلون رولاند يضحك بـ_____
مبالاة (٣٠٣ - ٣٢٨)

كاد ينفجر من غضبه وانزعاجه
وكاد أن يخرج من عقله
وأخبر الكونت : أنا لأحبك ، لأنا ...
وأنت تسلطت علي بظلم وارغام
أيها الامبراطور العادل ، هنا أنا أقف أمام ناظريك
جاهزا لصنع كل ماتراه صحيحا
٢٣ - الى سرقةسطة أرى ان علي المضاء
لاعودة لي من تلك الرحلة الى هنا
أعتقد أنك ستعد زوجتي بمثابة أخت لك
لقد ولدت لي صبيا هو الأجل والأفضل بين الأولاد
بلدوين (قال هو) وبطلا سيكون
له أترك أراخي وماأمتلك
لن أراه ثانية ، سيدي اعتن بقريبك
وقال شارلمان : قلبك في جوفك رقيق جدا
عليك الذهاب الآن ، لأنه مع ذلك أنا أمرك
٢٤ - ثم قال الملك : قف أمامي ياغانلون
هاك تسلم من يدي القفاز والصولجان
لقد سمعت الفرندسيين - أنت الرجل الذي يريدون
وقال غانلون : مولاي رولاند اقترب بحقي هذا الخطأ
أنا لن أحبه طوال حياتي
ولأولفر صديقه ورفيقه الحميم

- ٤١٣١ -

ولا الاتراب الاثني عشر الذين عليهم يعتمد
سيدي : بحضورك أنا اتحداهم جميعا
عندها قال الملك : ان اذفعالاتك عالية جدا
أمرك بالذهاب وما عليك الا بالرحيل
حسنا أنا يمـكنني الذهب ، انما بدون
حراسة (٣٢٩ - ٣٤٤)

فكهذا كان باسيل ، وكذلك باسان ، الرب يعلم
٢٥ - وناوله الملك قفاز يده اليمنى
مرغم سيكون الكونت غاذلون على قطع مئات الاميال
عندما تناول القفاز ، وقع في التراب
فصرخ الفرنسيون جميعا على الفور : يا الهي ، ما هذا ؟
لا شك ان هذه الرسالة ستحمل لنا سوء الحظ
وقال غاذلون : سيدي لن تلبث حتى تعلم ذلك
٢٦ - سيدي إثنى بالذهاب من هنا الى هناك
طالما علي الذهاب ، فلا يدفع الانتظار
وقال الملك : امض ، بانن يسوع وأنني
وبيمناه حله ، وبها وسمه
ولتيسير أموره أعطاه رسالة وصرولجانا
٢٧ - وبادر الكونت غاذلون الى مقره مسرعا
ومن بين صفوف أتباعه بدأ يبحث
عن خيرة من يخدمه ويلبي حاجاته (٣٤٥ - ٣٧٢)
وربط مهمازيه الذهبيين على عقبيه
وشد على وسطه مورغليز سيفه الفولاني
وامتطى ظهر مهره تاشيبرون
وحمل عمه غونمير ركابه

ثم لك أن تتصور عددا كبيرا من الفرسان الشجعان يبكون
ويقولون له : واحسرتاه على فقدان شجاعتك
كنت في بلاط الملك منذ سنين طوال
تابعنا ذبيلا بتقدير الجميع
الذي سماك للقيام بهذه المهمة الكبيرة

- ٤١٣٢ -

شارلمان نفسه لن يجميه ولن يغطيه
ماكان رولاند محقا في حياكة هذه الخطة
لذلك رجلا جئت من أصل ذبيل
ثم قالوا : مولاي خذنا معك ، نرجوك
وأجاب غاذلون : « الرب يحظر وقوع ذلك
خير أن أموت وحيدا من أن يقتل معي بعض خيرة الفرسان
أيها السادة ستعودون قريبا الى فرنسا الجميلة
باسمي قدموا التحيات لزوجتي
والى بينابل صديقي وتربي
والى بلدوين ابني الذي تعرفون جيدا ، أمالي نحوه
ستساعدونه وستقبلونه سيدا لكم
ثم انطلق وأخذ طريقه مسافرا
٢٨ - وامتنى الكونت غاذلون مهره تحت شجرة زيتون عالية
ومالبت أن لحق بالسفراء المسلمين في الوقت المناسب
وتراجع بلانكاندرين ومن ثم قام بمسايرته
وشرعا الآن يتحادثان بمكر
وقال بلانكاندرين : شارلمان محارب رائع
على بيولا استولى وعلى كالبريا ايضا
والى انكلترا عبر فوق أمواج البحر المالح
ولصالح القديس بطرس جبي جزية الجزيرة (٣٧٣ - ٣٩٦)
مالذي يريده هنا من حربه داخل حدودنا ؟
وأجابه الكونت غاذلون : هكذا ينال سروره
في العالم أجمع لن تجد نظيرا له
٢٩ - وقال بلانكاندرين : الفرنسيون قوم محترمون
ومع هذا يسيئون الى مولا هم
فهؤلاء الأمراء والكونتات عندما أشاروا عليه بهذا العمل
سارعوا بالحاق الضرر به وبآخرين
وقال غاذلون مامن أحد أثر مثل هذه الكلمات المريبة
باستثناء رولاند وحده الذي سينال جزاءه كأسوأ مايكون
تمعن الآن ، كان الامبراطور جالسا يتحدث تحت ظل لطيف

- ٤١٣٣ -

واذا بابن أخته قادما في ثيابه الملكية
متحمسا يحمل غنائمه التي عاد بها من كاركاسون
حمل رولاند بيده أرفع الجوائز
وعرضها على عمه قائلا : خذها مولاي العادل
التيجان التي أعطيك تيجان ملوك الأرض جميعا
مؤكد في يوم من الأيام سيؤنيه كبرياؤه
خطر الموت المحتم يقترب منه يوما تلو آخر
لو أن أحدا قتله لأمكن تحصيل بعض السلام
٣٠ - قال بلانكاندرين : شرور رولاند وأثامه
على هذا يريد شعوب الأرض كلها أن تقتتل
وأن تقع كل أرض مرغمة تحت نيره
من الذي أمره وأمدّه بسلّاحه وقوته
وأجاب غانلون : لقد تأمر على الفرنسيين
هم لم يخذلوه قط وهم يحبونه حبا جما (٣٩٧ - ٤٢٤)
فضة ونهباً يعطيهم بلا مقدار
وخيولا وبغالاً وحريرا ويمدهم بالمعدات
وكل ما يريده الامبراطور يؤمنه له
وهو سيستولي له على الأرضي فيما بين الشرق والغرب
٣١ - وتسائر غانلون مع بلانكاندرين ذلك اليوم طويلا
حتى تعهد كل واحد منهما للآخر بالصدق والايمان
واتفقا على ايجاد الوسائل لقتل الكونت رولاند
وتسايرا طويلا وانتقلا من درب الى طريق
الى سرقسطة وعلى مقربة من شجرة طقسوس ألقيا عصا
الترحال

وفي ظل شجرة صنوبر تحتها نصب سرير
قد لف بثوب من حرير الاسكندرية
عليه جلس الملك المسؤول عن حكم اسبانيا
ومن حوله اصطف عشرون ألفا من المسلمين
لم يتفوه أيا منهم بكلمة واحدة

- ٤١٣٤ -

كلهم انتظر بلهفة سماع الاخبار
والى حضرته وصل غاذلون وبلاذكاندرين
٣٢ - وتقدم بلاذكاندرين على غاذلون
وبيده امسك الكونت غاذلون
وخاطب الملك قائلا : مولاي ، وقيت ، بحق مهوند
وبحق ابولو الذي نمجد عقيدته المباركة
اعطينا رسالتك الى شارلمان بكل ما فيها
رفع يداه عاليا نحو السماء
وحمد ربه ، وبعد هذا لم يعطنا جوابا
وأرسل واحدا من نبلائه ، هذا الذي تراه
سيد من فرنسا ، من أشهر فئاتها
منه ستسمع ان السلم هو الرابع أم الخاسر
وقال مارسيل ، منه ستسمع ، دعه يتكلم
٣٣ - وكان غاذلون قد فكر بهذه المسألة مليا (٤٢٥ - ٤٥٠)
وبمكر عظيم بدأ الآن يتكلم
وكأنه رجل للأخلاق ولد
وقال للملك : حفظك الرب بكلماته
الرب سبحانه الذي ينبغي أن نعبد
الملك شارلمان العظيم بعث يقول لك :
عليك تلقى الايمان بالمسيح ربنا
وسيكا فذك بتصف اسبانيا اقطاعا لك
واذا ما رفضت عرضه
ستؤسر وتقيد بكل شدة
وتحمل بعيدا الى اكس ، الى بلاطه
هناك ستدان ويذفد فيك الحكم حالا
هناك ستموت مذفيا مهانا
ولدى سماع مارسيل هذا شعر بضيق عظيم
وكان يمسك نصلا مذهبا ومريشا
وكان على وشك أن يرميه به غير أنه تحمل وصبر
٣٤ - وتغير لون الملك مارسيل كليا

- ٤١٣٥ -

أمسك قناته وهز رمحه
وعندما رأى غانلون ذلك مد يده الى سيفه
واستله من غمده مقدار اصبعين
وقال له : أنت صدقيل تماما وشجاع
في بلاط الملك حملتك أياما عديدة
لن يحجبني امبراطور فرنسا أن أقول
- سأموت وحيدا ، بعيدا في أرض غريبة
قبل ذلك ستدفع أغلى ثمن
وصرخ المسلمون : علينا أن نمنع هذا الخصام
٣٥ - هكذا احتج عليه عقلاء المسلمين (٤٥١ - ٤٧٨)
فما كان من الملك مارسيل الا أن تراجع وجلس على عرشه
وقال الخليفة : لقد عرضتنا للذقد
ظننا أننا سنخيف هذا الفرنسي بضربة
ماعليك الا الاصغاء وتسجيل الملاحظات
وقال غانلون : مولاي علي تحمل هذا كله
لن أبالي بكل الذهب الذي خلقه الرب
لا ، ولن أعبأ بجميع الثروات التي تفتخر بها بلادك
لأن أتفوه بالرسالة - طالما أعطيت الفرصة -
التي الملك شارلمان ذلك الرجل العظيم البنيان
أرسلها معي الى هذا العدو المميت
المتلفح برداء مبطن بقراء الفذك
والمغطى بحريز نسجته الاسكندرية
أنه يدليه الى الامام حتى يمسكه بلانكاندرين
لكن لن يحرك سيفه ويشهره بدون حكمة
هو ممسك بيمينه مقبضه الذهبي
وقال المسلمون : انظروا هاهنا بارون جريء
٣٦ - واقترح غانلون من الملك وخاطبه كما يلي
قال له : أنت تعبت باثارة المتاعب لذفسك
شارلمان الذي يمتلك فرنسا يأمرك بما يلي :
عليك تقبل الايمان المسيحي

- ٤١٣٦ -

وسيمنحك نصف اسبانيا اقطاعا لك
والنصف الآخر الى ابن اخته رولاند
سيكون لديك في الاقطاعية شريك متعجرف حقا
اذا مارفضت هذه الشروط من قبلك
في سرقة سطة سيحاصرك وسيضيق عليك الخناق
وبالقوة سيأسرك ويقيدك
ومن ثم سيرسل بك الى اكس مباشرة
ولن تسافر بعدها الى بالفري ولا الى دستريير
ولن يقدم اليك للسفر لا بغلا ولا مهرا قصيرا (٤٧٩ - ٥٠٦)
على ظهر اتان عجفاء هزيلة سيضعك
وستفقد رأسك هناك بقضائه
انظر الآن ، لقد كتب اليك الامبراطور بهذه الرسالة
والى يمينه سلم المسلم الرسالة
٣٧ - ولشدة غضبه إبيض لون الملك مارسيل
فدمر الختم ورمى بالشمع جانبا
ونظر الى الرسالة وقرأ ما فيها
هذه هي الكلمات التي كتب بها شارلمان ملك الفرنسيين الي
علي أن أتذكر حزنه وانزعاجه
بسبب هنين الأخوين : باسان وبائسيل السامي
اللذين قطعت رأسيهما في هالتوي على الهايت
واذا كنت أغالي في تقدير قيمة حياتي
علي ارسال عمي الخليفة بمثابة مكافأة
والا لن يكون بعد اليوم صديقا لي
وفي هذه الساعة دخل ابن مارسيلون وهو يصرخ :
كلمات غانلون جذون وبلا عقل
هذا شيء كثير - انه لن ينال طعم الراحة حيا
سلمه لي وسيواجه العدالة
عندما سمع غانلون هذا هز سيفه عاليا
واستند الى جزع شجرة صنوبر
٣٨ - وداخل الحديقة جدد الملك مارسيل الاجتماع

- ٤١٣٧ -

واصطحب معه خيرة رجاله لمشاركته
والى هناك جاء بلانكاندرين ابيض الشعر
وجورفرات الذي كان ابنه ووريثه
والخليفة عمه وقائده
وتكلم بلانكاندرين قائلا : استدع ذلك الفردي الى هنا
انه سيخدم مقاصدنا ، هذا ما سمعته يتعهد
به (٥٠٧ - ٥٣٤)

وامره الملك قائلا : احضره بنفسك فهذا افضل
وبيمناه امسك الكونت غانلون وجاء به
الى الحديقة حيث كان الملك ومستشاريه
وهكذا شرعوا يحيكون مؤامرة شريرة
٣٩ - قال مارسيل : غانلون ايها السيد الرفيع ، لقد عاملتك
بشيء كبير من اللطف حتى الآن

عندما كنت مغضبا وددت لو اني صرعتك
لكن اقسم بحق هذه الاحزمة من فراء الفئك
التي تساوي قيمتها خمسمائة قطعة ذهبية جيدة
سأجعلك غنيا في اقرب وقت اليوم أو في الغد
هذا ما ارفضه - قال الكونت غانلون
الرب ان شاء ، سيعدل الاحوال

٤٠ - ثم قال الملك مارسيل ، حقا ، يا كونت غانلون
نويت ان اجعلك صديقا لي فهذا ما تستحقه
عن مشاكل شارلمان بوذي ان اسمعك تتكلم
هو عجوز تقدمت به السنون وعانى من حياة صعبة
مائتي سنة وأكثر ، كما اعرف قد رأى
في البلدان كثيرا مالا ق جسده المتاعب

ضربات قاسية لاتعد ولا تحصى تلقى على ترسه
ملوك اغنياء كثر حولهم الى متسولين
متى سيتعب من القتال على ساح الوغى ؟
وقال غانلون : هذه ليست عادته مطلقا

مامن انسان عرف الامبراطور أن نظر الى طلته
الا وقال عنه : حقا انه رجل عظيم
مهما أطنبت في مدحه وتقديره
ستظل مكانته وسموه فوق أن أفيه حقه
شجاعته الجبارة ، من بإمكانه وصفها بالكلمات ؟
الرب أسكن فيه شجاعة بلا حدود (٥٣٥ - ٥٦٢)
انه يفضل الموت على أن يتخلى عن فرسانه وقت الحاجة
٤١ - قال المسلم : أنا في تفكيري مندهش
من شارلمان في أنه عجوز وشعره أبيض
أنا أعرف أنه عاش مائتي سنة وأكثر
في البلدان كثيرا ما على جسده من المتاعب
حمل أعداد كبيرة من السيوف القاطعة والحراب والرماح
كثير من الملوك الأغنياء صاروا متسولين وباتوا في حالة الاملاق
متى سيتعب من الذهاب الى الحرب ؟
وقال غانلون : لن يتعب مادام رولاند يحمل سيفه
ما من واحد شجاع مثله تحت أيام السماء
وأولفر صديقه سيد شجاع أيضا
والأتراب الاثني عشر الذين يحبهم شارلمان حبا جما
يحمون ساقية الجيش مع فرسان عددهم ألف
شارلمان في أمان لا يخاف من انسان أبدا
٤٢ - قال المسلم : أنا متعجب في عقلي
من شارلمان الذي رأسه أبيض وعجوز
كما أعلم مرت به مائتان من السنين
قهر من البلدان كثيرا طولا وعرضا
بالحربة طعن كثيرا ممن أسره أثناء القتال
من الملوك الأغنياء كثير من نقلهم الى الفقر والاملاق
متى سيتعب من المضي الى القتال
قال غانلون : لن يتعب مادام رولاند يرى الضياء
فيما بين الشرق والغرب ليس لشجاعته نظير
وأولفر صديقه فارس شجاع أيضا

- ٤١٣٩ -

والأتراب الاثني العشر الذين يحبهم الملك
ركبوا مع عشرين ألفا من الفرنسيين في ساقه الجيش
شارلمان في أمان لا يخشى من انسان من الاحياء
٤٣ - ثم قال الملك مباشرة : غاندلون أيها السيد
الجليل (٥٦٣ - ٥٨٧)

عندي جيش لن تجد أحسن منه
أربعمائة ألف من خيرة الفرسان حسب تقديري
هل يمكنني الاشتباك بشارلمان وبرجاله الفرنسيين ؟
ورد غاندلون : لا يمكنك ، سأخبرك لماذا
لأن الخسائر بين رجالك ستكون مريعة
دع عنك هذه الحماقات وعد الى عقلك بجد
أرسل الى الامبراطور كميات هائلة من الذخائر
تجعل الفرنسيين جميعا يندهشون لعظمتها
عشرين كربة ستتابع ارسال الشيء نفسه اليه
عندها سيعود شارلمان الى فرنسا الجميلة راضيا
تاركا وراءه قوات ساقه لحمايته
معهم ، أنا أؤكد ، سيكون ابن أخته رولاند
وأولفر أيضا السيد الشجاع
أقتل هؤلاء الكونتات ، اذا أردت الوثوق بي
عندها سيرى شارلمان سقوط كبريائه ونهايته
ولن يملك الشجاعة للقتال معك منذ ذلك الحين فصاعدا
٤٤ - وصرخ الملك مارسليون : غاندلون أيها السيد الحكيم
مالذي يذبحني علي القيام به لقتل رولاند ؟
وأجابه غاندلون : سأخبرك بذلك
عندما سيصل الملك الى بوابة سيزر (كول دي سيزين رونسيفو
وبامبلونا)

سيخلف قوات المؤخرة لحفظ الممرات ورائه
هناك سيكون ابن أخته رولاند الفارس العظيم
وأولفر أيضا الذي عليه يعتمد كثيرا

- ٤١٤٠ -

ومن حولهما عشرين ألفا من خيرة الفرانسيين
ارسل مائة ألف من بني جلدتك من المسلمين (٥٨٨ - ٦٠٨)
وسيشترك هؤلاء أولا مع الفرانسيين في قتال
ولن تكون الخسائر في صفوف الفرانسيين قليلة
ورجالك سيقتلون وهذا لن يغضبني
وبهجوم مماثل للمرة الثانية عليك القيام
وأولا أو أخيرا سيقا رولاند مصرعه
وستكون قد قمت بانجاز بالسلاح رائعا جدا
ولن ترى بعدها حربا طوال حياتك
٤٥ - من الذي سيطعن الكونت رولاند ويقتله ؟
عندها من جسد غانلون تحركت اليد اليمنى
عندها الجيش العظيم سينهار ويباد
ولن يستطيع شارلمان جمع حشد عظيم مماثل
وبذلك ستنتعم أرض أبائنا بالسلام والراحة
وما أن سمع الملك مارسيل بهذا حتى انحنى
ومال فورا الى خزائن نخائره فأمر بفتحها
٤٦ - ثم قال مارسيل : بقي شيء واحد
ليس هناك رباط جيد حيث لايمان جيد
أعطني ميثاقا مقسما على خيانة رولاند
وأجابه غانلون : سأفعل كل ما تقوله
على أثار سيفه موغلس الجيد
أقسم على الخيانة وأقسم على التخلي عن ايسانه
وكان هناك عرش صنع كله من العاج (٦٠٩ - ٦٣٠)
وأمر مارسيل بجلب كتاب مجلد
فيه شريعة ومحمد
عليه أقسم مسلم اسبانيا
بالبحث عن الكونت رولاند بين قوات المؤخرة
وإذا ما وجده هناك ، سيقاتله بكامل قواه
وسيبدل غاية جهده لقتله والتخلص منه الى الابد

- ٤١٤١ -

وأجاب غانلون : ولعل ذلك سيكون هكذا
٤٨ - وفيما القوم هكذا منشغلون بخل المسلم ولد برون
ووقف أمام الملك مارسيلون
وقال لغانلون وهو يضحك بحيوية :
هاك ، خذ سيفي ، فلن تجد شفرة خيرا منه
حليت مقبضة بألف مثقال
إنه لك يا سيدي الحكيم خالصا لحبك
للمساعدة ضد البطل رولاند
إذا ما وجنناه في قوات الساقة حسبما طلبنا
وقال غانلون له : سيتم تنفيذ ذلك
وقبلا بعضهما بعضا على الوجنات والذقون
٤٩ - ثم جاء بعد ذلك مسلم آخر اسمه كليمبورين
وشرع وهو يضحك يقول بحيوية لغانلون :
أقبل وخذ خوذتي التي لم أر أثنى منها
على عرفها يا قوته
أعطيكها عربون صداقة صافية
إن كنت ستساعدنا ضد رولاند ببراعتك
في أن نسبب له ميتة تعيسة (٦٣١ - ٦٥٣)
ورد غانلون على ذلك : هذا ما سيفذ
وقبلا بعضهما بعضا بالقم والذقن
٥٠ - ثم توجهت الملكة براميموند بالخطاب الى الكونت :
عزيزي السيد الحكيم اني احبك عن صدق
مليكي يثني عليك ثناء عظيما وكذلك أتباعه
امنح هذا الزوج من الاقراط باسمي الى زوجتك
مثقليين بالياقوت والزمرد والذهب
هما اثنى من جميع ثروات روما
مثلهما امبراطورك لم يمتلك قط
وتناول الجوهريتين ودسهما في قبعته
٥١ - واستدعى الملك مالدويت ، القائم على بيت المال وسأله :
هل انتهيت من اعداد هدايا الملك شارلمان

- ٤١٤٢ -

فأجابه : نعم يامولاي ، بكميات هائلة :
سبعمائة جمل محملة بمعائن ثمينة
وعشرين رهينة لا نظير لهم تحت قبة السماء
٥٢ - ووضع مارسيليون يده على كتف غاذلون
وقال مخاطبا اياه : أنت عاقل وشجاع
الآن بحق الايمان الطيب المشع من عينيك
لا تدع قلبك يتراجع عما صممناه
سأعطيك كنزا عظيما وله قيمة كبيرة
حمولة عشرة بغال من الذهب المستخرج من مناجم بيار العرب
وما من سنة ستمر الا وستستلم مثل ذلك
خذ الآن مفاتيح برجى الكبير (٦٥٤ - ٦٧٩)
وقدم للملك شارلمان كل ما فيه من ثروات
لكن تأكد أن رولاند سيكون في جيش الساقة
وإذا أمكن ان نجده في ممر أو في معبر
سأشذك بالقتال الحاد معه حتى الممات
وقال غاذلون : يخيل لي أنني أبدي الوقت
وامتطي ظهر حصانه وبدأ رحلته مسرعا
٥٣ - عاد الامبراطور الآن أدراجه
ووصل امام مدينة غين
(استولى الكونت رولاند عليها وأزال أسوارها
وقد بقيت بعد هذا مائة سنة مدمرة)
وهناك انتظر الملك وصول أخبار من غاذلون
ووصول جزية بلاد اسبانيا العظيمة
ومع انبلاج الفجر وعند تباشير الصباح
دخل الى مخيم الكونت غاذلون
٥٤ - مبكرا في ذلك اليوم غادر الامبراطور فراشه
حضر القداس وريد الآن صلواته
على العشب الأخضر امام خيمته وقف رولاند
وكان مع رولاند أولفر الشجاع أيضا
والدوق نايمون وأيضا آخرون كثير

- ٤١٤٣ -

ثم جاء غاذلون الخائن اليهم ليخدعهم
وشرع يتكلم بزييف حاضِر بارع
وقال مخبرا الملك: اليك حماك الرب
جلبت اليك الى هنا مفاتيح سِرة سِطة
وجلبت لك ايضا ثروات ترضي قلبك
وعشرين من الرهائن انظر اليهم محذوفين بدقة
وأرسل الملك مارسيل الشجاع هذه الرسالة (٦٨٠ - ٧٠٧)
يرجوك الا تغضب من غياب الخليفة
رأت عيناى أربعمئة ألف رجل
بالسوابغ تسلحوا وعلى الرؤوس شدوا الخوذ
وعلى أوساطهم علقوا السيوف المحلاة المقابض بالجواهر الثمينة
حضرنا أمامه ثم الى شاطئ البحر ذهبوا
الايمان بنين المسيح لن يقبلوا وله لن يحفظوا
ولهذا السبب هربوا من امام مارسيلون
لكن ما ان سافروا بالبحر أربع مراحل ، ربما ، أو أقل
هبت عليهم عاصفة سوداء وعليهم حل الغضب
كلهم غرقوا ولن يروا ثانية
لو أنه ظل حيا لجئت به بنفسى
والآن ، بالنسبة للملك المسلم نفسه
صدقني يا سيدي إنه قيل مرور شهر
سيلحق بك الى فرنسا الى مملكتك
هناك سيلاقى الايمان الذي انت به تعتقد
وهناك سيضع يديه بيدك ويؤدي يمين الولاء
ومذك سيدسلم مملكة اسبانيا اقطاعا له
ثم قال الملك : تبارك اسم الرب
حسننا صنعت ، سأجيزك خير الجزاء
في وسط الحشود ألف من الأبواق صدحت
وقوض الفرندسيون المعسكر ووضعوا بضائعهم على دواب
التحميل

- ٤١٤٤ -

الى الوطن الى فرنسا الجميلة كلهم بادوا قاصدين
٥٥ - عاث الملك شارلمان فسادا بالحدود الاسبانية
استولى على القلاع ، والمدن دمر والسكان ذبح
الآن قال الملك : إنه أنهى حروبه
نحو الوطن الى فرنسا الجميلة أدار الامبراطور رؤوس خيوله
.... (سقط بيت أوبيتان من الأصل)
علم صغير الى سنان رمح رولاند ربط
على الروابي عرضه هناك وراء الحدود (٧٠٨ - ٧٣٣)
في السهوب نصب الفرنسيون معسكراتهم حول بعضها بعضا
في داخل الويان الواسعة مضت الحشود السلامية الى الاسام
(كلهم شاكي السلاح) لبس لامته وحمل سلاحه
خوذاتهم مربوطة وسيوفهم في جفونها
الدروع معلقة على رقابهم ورماحهم مجهزة بشكل جيد
في أعالي الجبال في مكان كثيف توقفوا
أربعمائة ألف انتظروا هناك قدوم الصباح
يا الهي إنه لمخيف أن يكون الفرنسيون بدون تحنير
٥٦ - ومضى النهار وتبعه الظلام وحل محله
الامبراطور مستغرق في نومه ، شارلمان الجبار
حلم أن سبيله اعترض في بوابه سيزرا العالية
ممسكا بيده رمحه الأسمر العظيم
أمسكه الكونت غاذلون ، وهزه
وبغضب عظيم لواه بشده وحطمه
والى السماء العالية طار الحطام وتناثر
وظل شارلمان نائما ، ولم يستيقظ
٥٧ - وبعد هذا الحلم رأى مناما آخر
رأى نفسه في بيعته في اكس في فرنسا
على ذراعه الأيمن وضع دب شرير أسنانه
قادما من أربز رأى فهذا مقبلا نحوه بسرعة
وارتفع جسده بسرعة واستبد به الغضب
ثم من القاعة جرى كلب صيد بكل سرعة

- ٤١٤٥ -

وأقبل نحو غاندلون يعدو ويقفز
وبأول عضه أزال بوحشية أنفه اليمنى
ثم انعطاف نحو الفهد واشتبك معه في معركة حامية
وقال الفرذسيون جميعا القتبال جميل صالح للمشاهدة
(٧٣٤ - ٧٥٨)

لكن ما من أحد يمكنه أن يحزر من سيكون المنتصر
وظل شارلمان نائما ، ولم يستيقظ من نومه
٥٨ - وعبر ظلام الليل وانبلج نور الفجر
(ألف بوق) صدحت للدشود
وركب الامبراطور بأبهة ملكية وتابع نهابه
وقال شارلمان : أيها البارونات ، سادتي انتبهوا الآن
هذه هي الممرات العالية ، هذه هي المسالك الضيقة قريبة
ثم قال : من سيتولى قيادة جيش المؤخرة ويقوم بحفظهما
وقال غاندلون : أنا اسمي رولاند ابن زوجتي
ليس لديك بارون يمكن أن يباريه في جسارته
وعندما سمع الملك ، نظر اليه نظرة حادة
وخطابه بقوله : الشيطان حل بك حقا
الشتر قد تلبسك واستولى عليك كليا
من الذي سيحفظ المؤخرة أثناء تقدمي ؟
قال غاندلون : أوغيير الداني ، أنا أصوت له
ليس لديك بارون آخر يمكن ان يقوم بذلك بشجاعة اكبر
٥٩ - عندما سمع رولاند ما عين للقيام به
قام بالرد حسبما يليق بالفارس أن يفعل
مولاي ووالدي العزيز : إنني أبين لك بالشكر
في أنني عينت لقيادة المؤخرة بناء على رغبتك
شارلمان ملك فرنسا لن يعاني من الخسارة أبدا
أنا مفوضك بالمهر هناك وبسرجه
ما من حيوان ركوب أو بغلة أو بغل
أو فرس نقل أو كديش لذلك سيخسر

- ٤١٤٦ -

باستثناء السيف أولا الذي اعطيته حقه (٧٥٩ - ٧٧٣)
وقال غاذلون : أعرفه ، لقد تفوهت بالصدق
٦٠ - عندما سمع رولاند أنه ذهب الى قوات المؤخرة
وأن زوج والدته هو الذي سماه ، تكلم بغضب صادر عن القلب :
له ، أيها الساحر الجبان ، والمجرم القذر ، والمنحط الاصل
لاتظن أن القفاز سيسقط من يدي
كما سقط الصولجان منك أمام الملك شارلمان
٦١ - ثم طالب الكونت رولاند الامبراطور بجسارة قائلا : أيها
الامبراطور العادل

من يميزك اعطني قوسك
وأقسم ما من انسان سيتفوه بكلمة نقد
في أن أسمح له بالسقوط من يدي
كما فعل غاذلون حين خلى الصولجان يهوي
وجلس الامبراطور مطرقا برأسه نحو الأسفل
وعبث بلحيته لحزنه وشدها حيناً على وجنته وحيناً على ذقنه
ولم يستطع أن يمنع دموعه من التدفق
٦٢ - وتقدم نايمون بعد دخوله نحو الملك (٧٧٤ - ٧٩٦)
ثم اتخذ مجلسه بشكل لاثق جدا
وخاطبه بقوله : لقد أصغيت الى هذا كله
الكونت رولاند سريع الغضب
قيادة الساقة قد لزمته
وليس لديك بارونا قادرا على جعله يستقيل
أعطه القوس الذي تمسكه بيدك
واختر خيرة الرجال لعونه في هذه المهمة
وبناء عليه ناوله الملك اياه ، وأمسكه رولاند
٦٣ - ثم توجه خاله الملك نحو رولاند بالخطاب قائلا
ابن اختي ، أيها السيد العاقل اسمعني الآن وانتبه لي جيدا
نصف جيشي سأترك بعهدتك لاداء هذا الواجب
احفظهم معك وستكون محفوظا معهم

- ٤١٤٧ -

وأجاب الكونت : لا ، أنا لن أوافق أبدا
ربي يقيني من مقارفة العار
سأحتفظ بعشرين ألفا من شجعان فردسا
امض خلال الممرات بسلام وكن مطمئنا
لا تخش من انسان ما دمت على قيد الحياة
٦٤ - وامتطى رولاند حصانه المعد للقتال
ثم التحق به رفيقه أولفر
وجاء غيرين الشجاع والكونت غيرير
وجاء أوثون وكذلك فعل بيرنغير
وأنسيس العجوز وأستو الملىء بالفضائل
وجيرارد أيضا وروسيلون الأمير المتكبر (٧٩٧ - ٨١٨)
ومعهم جاء غانفير الدوق الغني
وقال رئيس الأساقفة : بحق السماء أنا معك سيدي
وأنا أيضا ، أكد الكونت وولتر
أنا رجل رولاند ، أنا به مرتبط لخدمته
اختاروا عشرين ألفا من الفرسان ليكونوا اتباعا لهم
٦٥ - الى وولترهوم أعطى الكونت رولاند وأمره
خذ ألف فردسي من فردسي أرضنا
واحفظ الشعاب والمرتفعات على كلا الجانبين
لا تدع الامبراطور يفقد من جانبه رجلا واحدا
وقال وولتر : أنا مقبل على فعل كل ما طلبته
مع ألف فردسي من فردسا بلادهم العزيزة
على الشعاب والهضاب نشرهم الكونت وولتر لحفظ الجانبين
ليأتي ماسيأتي هو لن يتخلى مطلقا عن مواقفه
حتى يطبع سيفه بحده سبعمائة طبعة
الملك الميرك صاحب بالفيرنا الشاطيء
سيشتبك في ذلك اليوم مع هذه العصابة في قتال صعب
٦٦ - الهضاب عالية والوبيان عميقة ومظلمة
الصخور مخيفة والشعاب عابسة مريضة
وأمضى الفردسيون ذلك اليوم بألم وحن

كان ضجيجهم مسموعا عن بعد خمس عشرة مرحلة كاملة
لكن عندما بعد طول انتظار رأوا أرض آبائهم
أرض سيدهم ، أرض غاسكوني (٨١٩ - ٨٤٥)
وقتها تذكروا مواطن عزتهم واقطاعاتهم
وزوجاتهم العزيزات اللاتي هم بشوق لتحيتهم
مامن واحد كان هناك لم يبك لشنه انفعاله
وكان شارلمان اكثرهم شعورا بالحزن
فاين اخته ترك لحماية بوابات اسبانيا
في كل خلجة لم يكن قادرا على غير اختيار البكاء
٦٧ - الاقرب الاثني عشر خلفوا في اسبانيا
معهم عشرين ألفا من الفرانسيين الشجعان
كانوا شجعانا ، ومن الموت لا يخشون
الى أرض فرنسا ، سارع الامبراطور نحو أرض الوطن
وظل رأسه تحت رداؤه مخفيا له
الى جانبه ركب الدوق نايمون
وسأل الملك : ما هي الهموم التي تفكر بها ؟
وقال شارلمان : إنه لعمل سيء أن تسأل لماذا
إنني حزين جدا ولا يمكنني إلا أن أتهد
من خلال غاذلون فرنسا الجميلة دمرت تماما
أراني ملك رؤيا في الليل
كيف حطم في يدي رمحي تحطيا كاملا
هو الذي عين ابن أختي لقيادة قوات المؤخرة
في التخوم الأجنبية المهجورة رولاند مقيم
يارب ، ان فقدته ، لن أجد مثله أبدا
٦٨ - ولم يستطع شارلمان حبس دموعه
مائة ألف من الفرانسيين يكووا من أجله
ومن أجل الكونت رولاند كانوا بكل نهشة خائفين
هو الذي خانه اللورد غاذلون
الملك المسلم دفع جائزة عظيمة
نهبها وفضة وثياب الحرير والسقلاطون (٨٤٦ - ٨٦٩)

- ٤١٤٩ -

وخيل وبغال وجمال وحيوانات الصيد
واستدعى مارسليون بارونات اسبانيا
وامامه وقف نائبه الكونت المنصور
ايها السادة والامراء والشباب ذوي المكانة الرفيعة
اربعمائة الف جمعهم في ثلاثة ايام
في سرقة سطة امر بضرب الدفوف
مهوند وثنهم عاليا على البرج رفعوه
وكل مسلم تعبه واثنى عليه وحمده
ثم زحفت جيوشهم بقوة ومضت بعيدا
من خلال تيرا سيرتا قطعوا الهضاب والوبان
راوا الان اعلاما فرنسية مذكورة
والرفاق الاثنا عشر الذين كانوا في المؤخرة وقفوا ينتظرون
جاهزين للقتال ، وما من احد قادر ان يقول لهم لا
٦٩ - ومضى ابن اخت مارسليون مسافرا امام الحشود
وكان يركب بغلا كان يضربه بعصاه
وقال لخاله وضحكة بابية على لسانه
سيدي الملك العادل : لقد خدمتك جيدا وطويلا
كثيرا ما عانيت ومن المتاعب تحملت
في العديد من ساحات الوغى قاتلت وكثيرا من المعارك ربحت
الخربة الاولى ندو رولاند هي المكافاة الاولى التي اريد
بسيقي البتار سأشطر جسمه الى شطرين
وقتها ، سنال رضى مهوند وحظوته
بذلك سأحرر اسبانيا ، وافك قيودها .
من بوابة اسبانيا الى دور سكتانت ومـاوراء
ذلك (٨٧٠ - ٨٩٣)

سيخاف شارلمان وسينهزم الفرنسيون بالحال
وستتخلص من الحروب طوال حياتك
وحصل على القفاز من الملك مارسليون
٧٠ - وامسك ابن اخت مارسليون القفاز بيده

ثم شرع يخاطب خاله قائلا :
سيدي الحكيم ومليكي لقد أعطيتني عطية ثمينة
اختر لي اثني عشر أميرا ، خيرة من تستطيع انتقاؤه
ضد الأتراب الاثني عشر شجاعنا سيكمنون
وكان فالسرون أول من استجاب وتميز
وكان أخا لمارسليون الملك
أنا وأنت يا بن أختي سنذهب بسرور لها
بكل يقين سنبيين في هذه المعركة
مع مؤخرة شارلمان ، تلك القوات التي حشدتها لنفسه
ان كل شيء قد تم ، وكلهم قد قتلوا من قبلنا
٧١ - واندفع الآن الملك كورسابليس من بين الجموع
بربري المولد لفن السحر متقن
ومثل رجل شجاع شرع بكل جسارة يتكلم
لن أكون جبانا ، لا ، ليس من أجل جميع ذهب الرب
..... (سقط من الأصل عدة أبيات)
وجاء مالبريمس صاحب بريغيل يتدفق شجاعة
كان يمكنه أن يسابق على قدميه مهرا سريعا
وقال بصوت مرتفع متبججا أمام مارسيل
سأذهب بذنبي معك الى رونسيفو
وإذا ما وجدت رولاند سأقاتله حتى أقتله
٧٢ - جاء من بالاغويت أمير (٨٩٤ - ٩١٨)
شكله شكل نبيل عيناه شجاعتان ونقيتان
وعندما يمتطي ظهر حصانه للقيام بمهمة
يحملة بشجاعة شاكي السلاح للمعركة
وكانت شجاعته معروفة من القريب والبعيد
وهو وان لم يكن مسيحيا ظهر بمظهر فارس صحيح
وأمام مارسيل صرخ حتى يسمعه الجميع :
قائلا الى رونسيفو أنا أخذ طريقي مسرعا
إذا ما وجدت رولاند سيكون الموت نصيبه
وأولفر أيضا وجميع الأتراب الاثني عشر

- ٤١٥١ -

الفرنسيون سيموتون ميتة عار ودموع
الملك شارلمان العجوز الفاني والأصم
سيمل حالا من اثاره الحرب هنا
ستكون اسبانيا لنا في سلام لسنين طويلة
وصب الملك مارسيل كلمات الشكر في اذنيه
٧٣ - وجاء المنصور سيد مورياني
لم يكن هناك أشد شكيمه منه في اسبانيا كلها
وأمام مارسيل وقف متبجحا متفاخرا يقول :
الى رونسيفو سأقود جماعتي مباشرة
عشرون ألفا في الصفوف يحملون الرماح والحراب
بحق عقيدتي اذا مالقيت رولاند سأقتله
ومامن فجر يوم سيمر الا وسيبكيه شارلمان
٧٤ - وبعده جاء تورغيز صاحب تورتيلاوزا
كان أميرا وكان يمتلك المدينة كلها
وأبدى دوما سوء ذواياه تجاه المسيحيين
وقف أمام مارسيل واصطف خلفه أتباعه (٩١٩ - ٩٤٦)
وخاطب الملك قائلا : لاتخف من أي واحد من الأعداء
مهوند اسمى بكثير من القديس بطرس الروماني
أخدمه ، ساحة الوغى لنا ، وغنائم الحرب لنا
الى رونسيفو أنا ذاهب للقاء رولاند
هناك سيموت ، هناك لن يلقى مساعدة انسان
انظر هنا الى سيفي كم هو طويل وأصيل
أعده ضد دورندال وأراه له ند شجاع
من الذي سيدتصر ؟ لن يطول بك المقام حتى تعرف
الفرنسيون سيلقون حتفهم اذا ماتجروا على التصدي لنا
شارلمان العجوز سيبكي طويلا وينتحب
التاج لن يلبسه بعد تلك اللحظة
٧٥ - وكان اسكريميز صاحب فالتيريني هو التالي
هو مالك لها كاقطاع ، وهو مسلم
وأمام مارسيل صرخ وسط الجموع :

- ٤١٥٢ -

أنا ذاهب الى رونسفال لأفرق جموعهم
وإذا ما وجدت رولاند هناك سيفقد رأسه
وأولفر الذي هو رئيس البقية
الاثني عشر رفيقا سيمدون بين الاموات
والفرنسيون سيموتون وفرنسا ستكون خاسرة
وقلة من الرجال الجديرين سيتركون لشارلمان
٧٦ - ثم جاء مسلم اسمه استورغان
ومعه جاء استرامارين رفيقه
شيران خبيثان كلاهما كانا ومتامران خائنان
ثم قال مارسيل : ايها الاساة اقتربا مني ، أرجوكم
هل تريدان ان تشقا طريقكما خلال رونسيفو
وأقود قواتي وتقدما لنا أفضل مساعداتكما ؟
وأجابا : أؤمرنا ونحن سنطيع
على كل من أولفر ورولاند سننقض (٩٤٧ - ٩٧٤)
من الأتراب الاثني عشر ن ينجو ' - من الموت
سيوفنا مشحونة ونصالها ممتازة
كلهم سنصبغهم بالدماء الساخنة الحمراء ذلك اليوم
الفرنسيون سيموتون وشارلمان سينزل به الويل
وسنقدم لك هدية وطن عرقهم
ايها الملك تعال معنا وانظر كيف ستمضي المعركة
وكهدية سنعطيك شارلمان
٧٧ - ثم جاء مسرعا مرغريس صاحب اشبيلية
الذي يمتلك من البلاد بعيدا حتى كازمرين
السيدات جميعا يحبينه ، لانه كان جميلا جدا
ذلك التي تحتويه على شفقتها ابتسامه
سواء اشاعت هي أم ابت لا بد ان تضحك كثيرا
وليس هناك مسلم يوازيه بالفروسية
لقد التحق بالجميع وصرخ نحو الملك قائلا :
سيد الجميع لاتخش أبدا من الخسارة
في رونسيفو الى رولاند هذا سأذهب وأقتله

- ٤١٥٣ -

وأولفر سوف لن يعيش طويلا
جميع الرفاق الاثني عشر سأمزقهم اربا اربا
تعالوا وانظروا ، هذا هو سيفي بمقبض مذهب
أمير الأمراء أعطانيه هدية
أقسم أنني سأصبغه بالدماء القانئة حتى مقبضه
الفرنسيون سيموتون وفرنسا في العار ستعيش
شارلمان ذي اللحية الشهباء ، لن يعيش كما أظن
يوما ، الا وسيزمجر ويبكي لهذا
فرنسا ستكون لنا ، في سنة ، اذا ما أردنا
في سانت نيدس سنأكل وننام كما نريد
وقدم الملك المسلم تحية وافية وعميقة له
٧٨ - وأخيرا جاء شيردوبلز صاحب
مونغير (٩٧٥ - ١٠٠٣)

شعره غير المقصوص جره متدليا حتى قدميه
بإمكانه أثناء التباري ان يحمل على كتفيه اذا اراد
وزنا أكثر مما يستطيع أربعة بغال اقوياء ان يحملوه
انه يقطن في منطقة ، فيها كما يعتقد
الشمس لا تشرق ابدا ، وهي لاتنبت حبة قمح
لامطر يمكن أن يهطل والندى لم ير فيها قط
هناك كل حجر اسود أكثر من الاسود
وبعض الناس يقول انها موطن الشيطان
وقال شيردوبلز : سيفي موضوع في غمده
في روزسيفو سأصبغه كله بالدم الأحمر
اذا ما عبر رولاند من ممري ، ذلك الرئيس الشجاع
ولم اطعنه ، لاتثقن بي أبدا
امام سيفي هذا سينهزم دورندال
الفرنسيون سيموتون وفرنسا ستترك عرضة للنهب
هذا ما قيل ، واجتمع الابطال الاثنا عشر للتشاور
لقد قادوا مائة ألف مسلم شجاع
كل واحد منهم كان يلتهب حماسا ليقوم بانجازات عظيمة

في ظل ايكه من شجر الارز سلحوهم لاقتال
٧٩ - ارتدى المسلمون الآن السوابغ الاسلامية
وضاعف معظمهم سوابغهم ثلاث مرات
وشدوا على رؤوسهم باحكام الخوذ السرقسطية الجيدة
سيوف من فولاذ فيانا علق على اوساطهم
وحملوا رماحا بلنسية وترسة جيدة تماما
وكانت راياتهم ارجوانية وزرقاء وبيضاء
وخلفوا بغالهم واكاديشهم
وامتطوا ظهور مهورهم
وساروا في صفوف متلاصقة
وكان النهار جميلا ، وتلالا نور الشمس بوضوح
الف بوق صبحت لاطهار مزيد من السرور (١٠٠٤ - ١٠٣١)
وكانت الضجة عظيمة ، ووصلت الى صفوف الفرزسيين
وقال اولفر : يخيلى لي يارفاقي
سنحتاج الى هذا اليوم للقتال ضد المسلمين
وريد رولاند : ارجو الرب ان تكون محقا
هنا ينبغي ان نوقف لنخدم الى جانب الملك
على الرجال ان يتحملوا في سبيل ساداتهم مصاعب جمة
وان يتحملوا الحر الشديد والبرد القارس في كل موسم
وان يضحدوا في سبيله - اذا اقتضت الحاجة - بالبشرة والروح
انتبهوا الي الآن - ليطعن كل رجل بشدة
لن تغنى اغاني مخجلة لتعييرنا
المسلمون على خطأ والمسيحيون على صواب
وانا اقول : لن تحكى عني حكايا مريضة
٨٠ - وتسلق اولفر على شرف مرتفع
ونظر الى يمينه عبر الشعب المعشوشب
ورأى المسلمين وكيف كانوا يسرون متراصين
ودعا رفيقه رولاند وقال :
ارى من اسبانيا امواجا وصدفوا تتدفق
وسوابغ كثيرة لامعه ، وكثيرا من الخوذ المشعة

وجميع التـرســة وكل الدروع والسـ_____وابغ
اللامعة (١٠٣٢ - ١٠٥٨)

ستواجهون معركة لم يواجه أحد مثلاً على ساحة الوغى
سادتي الفرنسيين ليمذكّم الرب بالقوة وقت الحاجة إليها
انفذوا موقفكم بسرعة ، هذا المكان لا يمكن الحفاظ عليه
وقال الفرنسيون جميعاً ، عار مهين ان نفر
نحن رجالك حتى الموت ، مامن رجل منا سيتراجع
٨٣ - قال أولفر : حشود المسلمين هائلة
وفرنسيونا عددهم ليس بالكبير

يارفيقي رولاند : أرجوك دع بوقك يصدح
حتى يمكن لشارلمان أن يسمع ويعود مع قواته كلها
ورد رولاند : مجذون أنا اذا ، لايل اكثر
وسمعتي في فرنسا الجميلة ستتشوه
سأضرب الجموع العظيمة بسيفي دورندال
سأصبغه بالدم الأحمر حتى مقبضه
وصل المسلمون الى هذا الممر في صباح تعيس
اقسم لكم الموت سيكون ماكتب لهم هاهنا
٨٤ - يارفيقي رولاند ، اصدح ببوقك العاجي
سيسمعنا الملك شارلمان وسيعود نحونا مع قواته
سينقننا بوساطة قوات فرسانه
ورد رولاند : لاسمع الرب بذلك
في أن اقي العار على بيتي
أو على فرنسا الجميلة أنزل أي عار
الأفضل أن أقاتل بدورندال وأضارب
بهذا السيف المعلق بكثفي والمتدلي برباط منه
من رأسه حتى مقبضه سترى الدماء تسيل عليه
الويل للمسلمين الذين سيعاذون من هزيمة ماواجهوا مثلها قط
اقسم بايماني سنطعنهم ونلقيهم موتى على القاع
٨٥ - رفيقي رولاند ، انفخ في بوقك
شارلمان في الممرات سيسمع الصوت وهو يسير
صدقوني سيعود الفرنسيون مباشرة
وأجاب رولاند مغضبا ، الآن الرب يمنع ذلك
ذلك الرجل الحي ينبغي أن يقول انه رأني أذهب
نفخ الأبواق من أجل أي من أعدائنا المسلمين
لن يتعرض أقربائي للانتقاد قط
عندما سأقف في صدام الحشود العظيمة هذا
سأضرب ألف ضربة ثم أتبعها بسبعمئة أخرى
الدماء الحمراء ستسيل على فولاذ دورندال
الفرنسيون أقوياء ، سيدشبون معركة جسورة

رجال اسبانيا هؤلاء سيموتون ولا أمل أمامهم
٨٦ - قال أولافر : هاهنا لا أرى ملامة (١٠٨٢ - ١١٠٩)
أقد تفحصت مسلمي اسبانيا فوجدتهم
يغطون جميع الجبال والوحيان
وقد انتشروا على أطراف الهضاب والسهول
الطاقة التي يعرضها هؤلاء الأجانِب هائلة
وصدفونا تبدو صغيرة
وقال رولاند : أنا مشتاق أكثر للنزال
وأصلي الآن للرب وملائكته ليحول
دون وسم فرذسا الجميلة بالعار من قبلي
أنا أفضل أن أموت على أن يلحق بها العار
إذا كان الملك يحبنا فمن أجل شجاعتنا
٨٧ - رولاند مندفع وأولافر متعقل
وكلاهما في ميدان الشجاعة فاذا بالجائزة
وما أن يمتطيا فرسيهما ويتسلحا فقرار الحرب قد اتخذ
خوفا من الموت لم يهربا قط من ساح الوغى
الكونتان شجاعان كلامهما يحرض ويرفع المعذويات
والآن زحف المسلمون المزيّفون بحذق عظيم
وقال أولافر : انظر رولاند انهم على مدى البصر
شارلمان بعيد جدا ، وهؤلاء قريبون جدا
أنت لن تدفع ببوقك بسبب كبريائك
لو كنا مكان الامبراطور لكنا على أحسن مايرام
التفت نحو بوابة اسبانيا وارفَع عينيك
انظر بنفسك الى الوضع المأساوي الذي فيه قواتنا
الذي سيقا تل هذا اليوم لن يرى قتالا بعد هذا
ورد رولاند : لا تتدفوه بمثل هذا الكلام الممجوج
ملعون الصدر الذي يعرف قلبه الجبن
هنا في هذا المكان سنقف وهنا سنقيم أبدا
ليكن اللكم والضرب لنا حتى نأخذ ونطعن
٨٨ - عندما رأى رولاند أن المعركة لا بد واقعة

هناك (١١١٠ - ١١٣٦)
لا الفهد ولا الاسد بدوا أكثر شجاعة منه
هو دعا الفرنسيين وأمر أولفر ان يصغي :
السادة الاصدقاء والرفاق بكلمات من هذا القبيل لن تتدفقوا
عندما أعطانا الملك الفرنسيين للقيام بهذا الواجب
هؤلاء العشرين ألفا اختارهم لأداء هذا العمل
عرف جيدا أن مامن واحد منهم سيتربد أو يهرب
على الرجال تحمل المشاق العظيمة من أجل مولاها
وأن يتحملوا في سبيله البرد القارص والحر المحرق
وأن يعانون من الجراح الكبيرة وأن يدعوا أجسادهم تنزف
اطعوا بأسنتكم سأضرب بسيفي البتار
دورندال الذي أعطانيه الامبراطور
وإذا مامت على الذي يناله أن يوافق
على أن من سيحمله لابد أن يكون فارسا جيدا وجديرا
٨٩ - ثم الى جانبهم جاء رئيس الأساقفة توربين
ممتطيا فرسه وعلى طرف رابية اعتلى
ودعا الفرنسيين وأقام لهم قداسا وقال في مواظبه :
أيها البارونات ، سادتي ، اختارنا الملك شارلمان لهذا الغرض
علينا ان نستعد للموت في خدمة مليكنا
المسيحية بحاجة لنا ، لذا ساعدونا على الحفاظ عليها
المعركة ستخوضون ، أعينكم قد شاهدتهم
اضربوا الآن صدوركم واسألوا الرب رحمته
أنا سوف ادلكم وأضمن أرواحكم
إذا مامتم ستكون الشهادة نصيبكم
وستقيمون في أعالي الفردوس أبدا
وابتهج الفرنسيون وجثوا على ركبهم يتعبدون
وللرب اعتبروا ولهم منح رئيس الأساقفة التبريكات
(١١٣٧ - ١١٦٤)
ولنيلهم الغفران أمرهم بالضرب بصلابة

٩٠ - ونهض الفرنسيون ووقفوا على أقدامهم متقاربين

كلهم قد حالوا من نذوبهم وتحروا

ولهم منح رئيس الاساقفة التبريكات

ثم قفز كل منهم على ظهر مهره السريع واستقر على سرجه

وكلهم تسليح بالسلح الذي أوجبه قاذون الفروسية

نحن الآن جميعاً جاهزين للذهاب الى ساحة العراك

وقال الكونت رولاند لاولفر ما يلي مباشرة :

سيدي ورفيقي الكلمة التي تفوهت بها صحيحة جداً

لقد باعنا غاذاون جميعاً

لقد أخذ ثروات عظيمة وبضائع وذهباً

وأعتقد أن انتقام الامبراطور لن يكون بطيئاً

لقد راهن الملك ما رسيل على أجساننا

سيحتاج الى السيف لجلب ما شراه الى الديار

٩١ - مضى رولاند خلال بوابات اسبانيا عابراً على ظهر فرسه

نحو ميلانثف ساق فرسه مسرعاً

وكان هو الذي مضى شاكي السلاح

نحو سماء رفع سنان رمحه بعيداً

وربط على قناته ريشة بيضاء كالحليب

وكان حوافها تلامس يده عند المقبض

حمل بذبل وبوجه مشرق ضاحك

وسار مرافقه خلفه مجدين

وأعلن الفرنسيون جميعاً أنه حاميههم

والقى نحو المسلمين نظرة كبرياء

لكن ما القاه نحو رجال فرنسا كان لطيفاً ناعماً

فإليهم تحدث دوماً من قلب ودود

والآن سادتي البارونات ، ازحفوا تقدّموا بخطاكم

(١١٦٥ - ١١٨٧)

انظروا الى هؤلاء المسلمين المرعبين وهم يزدفون بحجم عظيم

سنحصل مع مرور هذا اليوم على غنائم ثمينة ورائعة

لم يحصل أي ملك فرنسي على نصف مثلاً قط

وفيما هو يتكلم كانت المعركة قد بدأت وكان القتال قد نشب
٩٢ - وقال أوافر : ليس لني المزيد لقوله
لن تسمع بذيخ بوقك طالبا للمساعدة
والى هنا لن يأتي شارلمان
ما يعرفه قليل ولن يوجه اللوم الى القلب الشجاع
ومثله الذين معه ، فهم لم يقتربوا خطأ من الأخطاء
ازحف الآن الى الامام وافعل خير ما يمكنك فعله
أيها البارونات ، سادتي ، اثبتوا وسط المعركة
أرجوكم ، من أجل الرب ، كونوا شجعان ثابتين
لتطعنوا بشدة وتضربوا ، لتأخذوا منهم وتعطوهم
لا تدسوا شعار الملك شارلمان أن لاتنادوا به
وصرخ الفرنسيون معا صوتا مجلجلا
جعل كل من سمعه يهب مرعوبا
وسيتذكر شجاعتهم طوال ايامه
واندفعوا مهاجمين فالرب لم يرقط مثلهم شجاعة
ونخسوا خيولهم لتسرع غاية السرعة
وانقضوا يقاتلون ذلك أنه لم يكن امامهم سبيل لخر
والتم المسلمون بهم بكل شجاعة
وبات المسلمون والفرنجة يقاتلون وجها لوجه
وتقدم الآن أدلروث - ابن أخت الملك مـارسيلون
(١١٨٨ - ١٢١٦)

امام الحشود وكان الاول بين اتباعه
وخاطب الفرنسيين بالكلمات الشريرة التالية :
أيها الفرنسيون الشجعان عليكم أن تدركوا معنا
أنكم قد خنتم من قبل النبي عليه حمايتكم
ينقص مالكم الذكاء لانه في المرات ترككم
ستخسر فرنسا الجميلة شرفها في هذه المغامرة
من جسم شارلمان نراعه اليمنى ستقتطع
عندما سمع رولاند هذا ، الرب وحده يعرف مقدار غضبه
غمز حصانه وأرخص عنانه وعاقه بربائه

وسدد ضربة بذل فيها كل ما أوتيته من قوة
فشطر المجن والدرع حطم
والصدر مزق والعظام الصدر خرق
ومن ظهر الرجل أخرج عظام الظهر ملتوية
وروجه وكل ما فيه أحضره على سنان الرمح
وطعنه طعنة نافذة ومن على سرجه ألقاه
وأطاح به ورمى به بعيدا مقدار طول قصبة أو أكثر
والى قسمين قطع رقبتة
ثم اليه توجه بالخطاب وقال له :
لن تدفوه ثانية بأن الامبراطور يعوزك الذكاء
لانه ليس كذلك ولانه لم يحب الخيانة قط
لقد صنع ما هو صحيح ذاك الذي تركنا بالامرات
ولن تدفد فرنسا شرفها بهذه المغامرة
الدم الاول لنا ، امضوا في سبيلكم يا شجعان فرنسا
وكوذبوا الى جانبنا واسيدوا الى هؤلاء السحرة
٩٤ - وكان هناك أمير اسمه فالسارون
وكان أخا للملك مارسيلون
وقد امتلك أرض ابيرام ودانان
ولم يكن تحت السماء من هو أشجع منه
بين عينيه كان حاجباه كثيفان ونافران (١٢١٧ - ١٢٤٧)
أفترض أن طولهما كان نصف قدم تماما
وقد ندب مقتل ابن اخته بمرارة
ومن بين الصدوق اندفع وحيدا
وفيما هو مندفع نادى بشعار المسلمين .
وعلى الفرنسيين صب اللعنات الشريرة
فرنسا الجميلة ستجد شرفها اليوم قد طار
وسمعه أولاف وازداد غضبه منه
ونخس حصانه بمهمازيه الذهبيين
واندفع بخلق فروسي ليطعن عدوه
فحطم درعه وخرق سابغته

- ٤١٦٢ -

وجعل رمحه يذف من صدره وكذلك حربته
وأطاح به ومن على ظهر حصانه رماه مقدار قصبة
انظر نحو الأسفل لترى الكافر قد تمدد ميتا
وهكذا خاطبه بصوت كله فخار :
أيها المنحط أنا لن أعبأ بتهديداتك ولن اهتم
أيها الساسة الفرنسيون ، اضربوا ، سنلقيهم جميعا على الأرض
وبشعار حرب شارلمان - جبل المسرة رنادوا بكل شجاعة
٩٥ - وكان هناك ملك اسمه كورسايلاس
من أرض بعيدة جاء ، من بلاد البربر
الى المسلمين توجه بالخطاب قائلا :
حسننا هل اتخذنا موقع القتال هذا لنحتفظ به
لان أعداد هؤلاء الفرنجة ضعيفة
وبامكاننا التخلص من هؤلاء القلة الذين نرى
لن يستطيع شارلمان القدوم لمساعدتهم وقت الحاجة
هذا هو اليوم الذي قضي فيه بموتهم جميعا
وأصغى رئيس الاساقفة توربين الى خطابه
فأبغضه أكثر من ابغاضه لأي انسان في الوجود
وبمهامزيه الذهبيين نخس بشدة مهره
وساق ضده واندفع اندفاع الشجاع
فحطم درعه ومزق سابفته الفولانية
وفي صدره دفع سنان رمحه عميقا (١٢٤٨ - ١٢٧٤)
وجعله يذف منه ، ثم القاه كومة هامة
ورماه ميتا مقدار طول رمح بعيدا عنه
ونظر نحو الأرض فرأه تحت قدميه
لكن ليخاطبه لم يتوقف بل تابع سيره نحوه قائلا :
أيها الكافر الشرير ، كذبت بكل ما تفوهت به
سيدي شارلمان العظيم لن يتوقف عن تقديم المساعدة لنا
وليس لدى فرنسيينا أدنى رغبة بالفرار
وأصدقائك هؤلاء من بين جنسك نريد أن نترك لهم
أخبارا : ستموتون ، وهناك ستكوذون

- ٤١٦٣ -

أيها الفرنسيون ، تابعوا سيركم نحو الوطن ولا تذهبوا أصولكم
الطيبة

الضربة الطيبة الاولى لنا - حمدا للرب
وصاح - جبل المسرة - ليشجع جميع المحاربين
٩٦ - وضرب غيرين مالبريمز صاحب بريغيل
ولم يصمد درعه ولم يذفعه أبدا
وحطم المجوهرات المرصع بها وأحاله الى فتات
ووقع شطر الدرع على الأرض
وقطع السابغة ووصل الى الجسد
والى القلب سد رمحه وجعله يذف
وسقط المسلم وتمدد على الأرض بكل ما عليه
ثم جاء الشيطان وحمل روحه بعيدا
٩٧ - واندفع غيريير صديقه نحو الأمير
شطر درعه وقطع عراه
ومرر رمحه في صدره وأحشائه
وبعدما دفعه عميقا مرره من ظهره
ثم رمى به وجعل جسده يطير مقدار طول رمح
وقال أولفر : نحن أفلحنا في عملنا
واندفع الدوق سمسون نحو الأمير المنصور (١٢٧٥ - ١٢٩٦)
وخرق درعه المذهب والذي عليه رسوم الورود
ولم تفده سابغته ولم تدفع عنه
مزق قلبه ، وكبدته ، ورثتيه
وضربه فخرميتا ، لا يبكي ولا يبكيه أحد
وصرخ رئيس الاساقفة : هذه مهارة الفرسان وأعمالهم
٩٩ - وأرخى أنسيس العنان لمهرة الجيد
واندفع وساق مسرعا نحو تورغير صاحب تورتلوز
وخرق درعه حيث كان مطليا بالذهب
ونفذت ضربته خلال سابغته المزدوجة
والى داخل جسمه أنفذ سنانة الفولاني

- ٤١٦٤ -

وجعله يمر من خلال ظهره
ثم أطاح به وقذفه ميتا مقدار طول رمح
وقال رولاند : رائع ، هذا عمل من أعمال الشجعان
١٠٠ - أما انجلير الكاسكوني صاحب بورديو
فقد نخس مهره الطيب وأرخی له عنانه وتركه يمضي
ومن اسكرير سید فالتيرنا اقترب
وحطم الياقة التي أحاطت بعنقه
والسايغة مزقها بضربة واحدة
وفصل رأسه عن جسده
وأطاح به ورماه بعيدا مقدار طول رمح تماما
ثم قال له : لياخذ الشيطان روحك
١.١ - وضرب أوثنون مسلما اسمه اسـتورغانـت
(١٢٩٧ - ١٣١٩)
وسدد ضربة نحو النقطة البيضاء في درعه
وهكذا تمزق البياض وتحطم الأرجوان
وخرقت سابغته ومزقت
ومضى الرمح خارقا جسده
ومن على ظهر مهره السريع أطيح به وسقط ميتا
وقال : والآن ، احصل على الراحة إذا تمكنت
١٠٢ - ثم ساق بيرنغر نحو استرامارن
فحطم درعه ومزق سابغته
وعلى فتاة رمحه القوي حمل جسده
ثم رماه ميتا وسط آلاف المسلمين
وبات الآن عشرة من الأتراك الاثني عشر مقتولين
اثنان منهم وليس أكثر ظلا بين الأحياء
وهذان هما شارندوبل والكونت ما رغاريس
١٠٣ - والآن مارغاريس واحد من الرفاق الشجعان
نشيط وقوي ، ماهر وسريع وشجاع
غمز حصانه ليضرب أولفر
وشطر درعه وقطع العلامة الذهبية التي عليه

- ٤١٦٥ -

وعلى طول جنبه مر سنان الرمح اللامع
لكن بنعمة الرب جسمه لم يخرق
كما أنه لم يقع مع أن الضربة حطمت رمحه
ومربه المسلم وهو يؤدي واجبه تماما
واستدعى رجاله بصوت مجلجل واضح
١٠٤ - المعركة كبيرة والحشود هائلة (١٣٢٠ - ١٣٤٨)
لم يتوقف الكونت عن الطعن في ذلك اليوم
وصال وجال برمحه ما دام سنانه في مكانه
وتلقى خمس عشرة ضربة شديدة حتى انقصف وتحطم
ثم امتشق حسامه دورندال وتناوله
وغمز مهره وساق بسرعة ضد شارنوبل
وبسرعة البرق قطع الخونة
وجرى وسط العرف الفولاني ثم في الرأس ثم في المخ
ومضى خلال السرج ذي الصفائح الذهبية
وظل نصل هذا السيف ماضيا في جسد الحصان
لم يقف في سبيله شيء ومر قاطعا
فالقى بالحصان والرجل ميتين على السهل المعشوشب
اسقط أيها القدر ، أيها الجبان ، ولن تقاتل ثانية
وقال ايضا : لن يأتي محمد (صلى الله عليه وسلم) لمساعدتك
ابدا

شجاع مثلك عبثا حاول نيل النصر .
١٠٥ - ومضى رولاند وسط المعركة على ظهر حصانه
وبسيفه الجيد ، دورندال يضرب ويقطع
وما جباه من المسلمين كان مرعبا
لو رأيت ، لرأيت يلقى جثة ميت فوق جثة ميت آخر
ولرأيت الدم القاني حول طريقه
واصطبغ درعه وذراعه بالدم أثناء القتال
وتلون حصانه بالدم من عرفه الى حوافره
ولم يتوقف أولفر ايضا عن الضرب

- ٤١٦٦ -

ولم يكن الأتراب الاثني عشر متخلفين عنهما
وكان الفرزسيون جميعا يضربون ويطعنون
وسقط المسلمون بعضهم موتى وبعضهم يموتون
وقال رئيس الاساقفة: ليبارك الرب فـرساتنا
(١٣٤٩ - ١٣٧٢)

وصرخ - جبل المسرة - شعار حرب شارلمان الجبار
١٠٦ - ومضى أولفر على ظهر حصانه وسط الحشود
رمحه قد انقصف وظل بعض القناة معه فقط
وساق مباشرة ضد مالون المسلم
فحطم درعه ذي الورود والمحلى بالذهب
واقطع عينيه من رأسه
وهكذا تطاير مخه حول قدميه
والقى بالجثة وسط سبعمائة من الأموات
ذبح توزغيز ثم الحق به استورغوت
حتى تحطمت القناة وباتت أجزاء
صرخ رولاند : ماذا تفعل يا صديقي ؟
أنا لن أعطيك قناة ضعيفة عوضا عنها
هنا يدفع الفولان ، الفولان فقط ولا شيء آخر
أين هو سيفك هوتيكليز حسبما سمعته ؟
بشاربيه الذهبيين ومقبضه المرصع بالجواهر
وقال أولفر : لم أجد الوقت لامتشاقه
كنت مشغولا بالضرب يمنا وشمالا
١٠٧ - وامتشق أولفر سيفه الممتاز
بناء على الحاح من صديقه رولاند
الآن سيبرهن به أنه فارس قوي بذراعيه
ووجه ضربة الى المسلم جوستين صاحب وادي فيرات
فمضى في وسط رأسه وحطمه
وشق منكبيه وصدره وظهره
والسرج المحلى بالذهب والمرصع بالجواهر (١٣٧٣ - ١٣٩٥)

- ٤١٦٧ -

ووصل الى ظهر الحصان فقطعه
وسقط الجميع وتمددوا على الأرض موتى أمامه
وقال رولاند : بعد هذا ، سأدعوك أخي
لمثل هذه الضربات أحب امبراطورنا الرجال
ومضى النداء - جبل المدرسة - عاليا فوق كل يد
١٠٨ - انطلق الكونت غيرين على ظهر مهره سوريل
ومثله فعل رفيقه غيرييز على ظهر باسيسييرف
كلاهما أطلقا اعنتهما ومضيا الى الامام
وتوجها ليضربا المسلم يتموزيل
أحدهما على ترسه والآخر على صدره
وخرق رمحاهما في لحظة واحدة صدره
وألقيا به نحو الأرض ميتا
إنني لا أعرف ، كما لا أستطيع أن أروي
أي الاثنين كان أسرع وأمضى
(وبعدها انغلير الفارس من دوردو
قتل اسبريفير الذي كان ابنا لبوريل)
وأطاح رئيس الاساقفة توربين بسفلوريل
الساحر الذي ذهب فورا الى الجحيم
والذي قاد جوبتير بتعاويذه السحرية
وقال توربين وقتها : كتب عليه الموت
ورد رولاند : جاءت نهاية الدنيا
بضربة من أخي أولفر جعلتني في غاية السرور
١٠٩ - وكان القتال ضاريا وازداد ايضا ضراوة
(١٣٩٦ - ١٤٢٢)

وقاتل الطرفان الفرنسي والمسلم بكل شدة
بعضهم يضرب وبعضهم يرمي
عدد كبير من الرماح صبغت هناك بالدماء وتحطمت
كم من الرايات وكم من الاعلام تلطخت ومزقت
كم من شباب فرنسا في عمر الورود طرحوا أمواتا

الذين لن تلتقي بهم أزواجهم وأمهاتهم ثانية
ولا الفرديسين الذين وقفوا بانتظارهم على الطريق
لا بد أن يبكي الملك شارلمان وينتحب لما فعله العدو
ماذا يمكنه أن يفعل؟ هو لا يمكنه انقاذ شعبه
هل سيخدم الكونت غاذلون شارلمان عندما يمضي
الى سرقسطة وهو قد باع شعبه كله
لهذا فقد روحه وأطرافه

على حبل المشدقة بعدما حاكموه في اكس
وجرى شندق ثلاثين من أقربائه ايضا
ممن لم يعتقد أنه سيلاقي مثل هذه النهاية
١١٠ - المعركة ضارية والقتال يزداد قسوة
وضرب أولفر وروланд بكل شجاعة
وسدد رئيس الاساقفة آلاف الضربات الشديدة
ولم يتخاف الاثراب الاثنا عشر في الورا
وتقدمت الصفوف الرئسية وقاتلت بكل قواها
مئات الالوف من جثث المسلمين تكومت

ما من أحد أمكنه النجاء ما لم يدير ظهره ويفر
سواء أرغب أم لم يرغب لا بد أن يفقد حياته
ولا بد أن تفقد فرنسا هناك خيرة فرسانها
هم لن يروا ثانية أقربائهم أو ذويهم
ولن يرو شارلمان الذي راقب الامرات بعيون قلقة
وسرت في خلال فرنسا كلها روح من الرعب (١٤٢٣ - ١٤٤٨)
سمعت أصوات الرعود وهبت رياح عاصفة شديدة
وتساقط من السماء مطر ويرد لم يعهد لهما مثيل
وكان هناك برق كثيف أضاء الأرجاء
وفي الحقيقة زلزلت الأرض طولا وعرضا
بعيدا حتى القديسين ووصلوا الى شاطئ القديس ميكايل
وشعر بها من بيسانكون الى ميناء ويسانت
ولم يبق بيت أو جدار الا تشقق وتصدع

- ٤١٦٩ -

ووقت الظهيرة حل ظلام مثل الليل الدامس
وباستثناء البرق لم يكن هناك بارقة ضوء
ما من أحد واجه ذلك الا وشعر برعب شديد
وقال كثيرون : هذا يوم الآخرة
انها نهاية الدنيا وبنا يوم الحساب العظيم
هم لم يقولوا الصدق وما كان بإمكانهم قراءة العلامات
إنه موت رولاند هو الذي سبب هذه الجلبة الهائلة
١١١ - وقاتل الفرنسيون بشجاعة ونجاح
وانتشرت جثث المسلمين بال عشرات والالاف
من مائتي ألف أقل من اثنين سيكون بإمكانهما القتال ثانية
وقال رئيس الاساقفة : حقا ان رجالنا رجال شجعان
مثلهم ليس لدي أي سيد تحت قبة السماء
هكذا كتب في تواريخ أعمال الفرنسيين:
قوى امبراطورنا لم تستعد بعد
يحدثون في أرض المعركة عن جرحاهم وموتاهم
بنفوس حزينة وعيون بللها الدمع من الأسى
وبحب وشفقة على اقربائهم ورفاقهم
الذين انقض عليهم مارسيل بكل قواه
١١٢ - وجاء الملك مارسيل يسوق فوق أحد الشُعاب
(١٤٤٩ - ١٤٧٧)

وجيشه كله حوله في قوة عظيمة
فقد حشد عشرين فيلقا قتاليا عظيما
الخوذات تبرق وتلمع بجواهرها وبالذهب الذي طليت به
وكان هناك الكثير من الدروع والترسة المصنوعة بكل دقة واتقان
سبعمائة بوق صبحت ايذانا بالهجوم
وانتشرت أصواتهم في جميع أرجاء البلاد
وصرخ رولاند : صديقي أولفر ، أخي ، ايها السيد العزيز
إنه موتنا ، به تعهد غانلون المزيف
الخيانة واضحة ، ولا يمكن اخفاؤها بعد

سيتولى الامبراطور القيام بانتقام عظيم مناسب
لكن علينا كتب أن نخوض حربا مريرة
ما من اذسان واجه مثلها من قبل
انا سأتابع معتمدا على سيفي دوراندال
اعتمد أنت أيها الرفيق على سيفك هوتكلير
كم حملنا هذه الاسلحة على الارض
كم من المعارك المنتصرة قاتلنا بهم
لن يذشد حولهم أناشيد منحطة في القاعات
١١٣ - وجمع مارسيل فرسانه المقاتلين
وأمر نفره وأبواقه أن تصدح بالحال
ثم تقدم نحو الامام مع جماعته الكبيرة
ثم تقدم مسلم اسمه ابيسم
لم يكن في ذلك الحشد من هو أشجع منه
في ابن مريم ، ولد الرب ، لم يؤمن
وكان أسود اللون مثل لون القار
أحب الذبح والخيانة أكثر
من كل الذهب الموجود في غاليشي
ما من أحد رآه مرحا أو مسرورا
بل كان جريئا ومندفعا الى أقصى حد (١٤٧٨ - ١٥٠٤)
ولهذا السبب كان محبوبا من قبل الملك مارسيل
وقد حمل تنينا لحشد أتباعه خلفه
وعندما رآه رئيس الاساقفة الطيب لم يكن مسرورا
لقد أراد أن يضربه عن قرب ، هذا ما شعر به
وقال لنفسه بكل هدوء
يبدو هذا المسلم لي بطل حقيقي
من الافضل لي المضي نحو هذا الوحش وقتله
انا لم أحب قط الجبناء ولا أعمال الجبن
١٤ - وافتتح رئيس الاساقفة المعركة مجددا
وركب مطيته التي أخذها من كروسايل
(وذاك كان ملك الدانمارك وهو قد تولى قتله)

- ٤١٧١ -

وكان مهرا سريع الجريان وناعما
عريض الركبتين عالي الحافرين
قصير الفخزين عظيم الكفل
طويل الجناح عالي الظهر
ننبه أبيض ولون وبره أصفر
أننا صغيرتان مامن طريق يصعب عليه
له امتطى رئيس الاساقفة المشهور بشجاعته
وما أن غمزة حتى اندفع ومامن قوة تستطيع صده
لقد ساق ليضربه على سابغته الواقية
التي كانت مرصعة بالجواهر الثمينة وكذلك حذاؤه
وكانت هذه المجوهرات بألوانها المختلفة تشع وتبرق
(وكان الأمير غالييف قد أهداه إياها
وله أعطاهما الشيطان في وادي ميتاس)
الخصام لا يخرقها وكذلك الرمح ، وما أخبرك به هو الصدق
بعدهما ضربه لم تعد تساوي فلاسا (١٥٠٥ - ١٥٣٢)
أطاح بجسده من جانب الى جانب ورماه أرضا
ألقي به ميتا في المكان الذي وقع فيه
وصرخ الفرديسون جميعا : انها ضربة شجاعة وعمل بارع
ضربة قوية مكنت من انقاذ صولجان رئيس اساقفتنا
١١٥ - الآن بامكان الفرديسين التصدي لقوات المسلمين
لقد رأوا هذه القوات تغطي السهل من طرف الى طرف
والدوا على رولاند وكذلك طلبوا من أولفر
ومن الأتراك الاثني عشر الفرار والنجاة بأرواحهم
والى هؤلاء تحدث الأسقف معبرا عما في رأسه :
أيها البارونات ، سادتي ، لاتستمعوا الى هذه الأفكار المهنية
أمركم بحق الرب بالاثبات وبعدم الفرار
حتى لاتدعوا الرجال الشجعان يزدنون حولكم أناشيد مخجلة
من الأفضل الهلاك أثناء القتال
حالا ، لابل الآن ، سذموت نحن جميعا
مامن أحد منا هنا سيرى ضوء يوم الغد

- ٤١٧٢ -

شيء واحد أنا أعدكم به وأتعهد
من أجل وقفكم أبواب الفردوس باتت مفتوحة
هناك مع الأبرياء الطيبين ستعيشون
وملاتهم كلماته بالشجاعة والحماس
ولم يكن بينهم من لم يصرخ عاليا - جبل المسرة -
١١٦ - مسلم من بلدة سرقسطة
كان سيذا لنصف المدينة وماحاط بها
كلمبورين كان اسم ذلك الخائن المزيف والقذر
وكان قد تبادل الأيمان مع الكونت غاذلون
وفي سبيل الصداقة قبله على فمه
وبحق خوذته والياقوتة التي نالها
أقسم بالمحافظة على شرف أرض آبائه
ومن الامبراطور سينتزع التاج (١٥٣٣ - ١١٦١)
وجاء الآن ممتطيا فرسه باربموخ
سباقا كان لايجاره عقاب أو نسر
أرعى له عنانه ونخسه بشدة بمهمازه المعدني لينطلق
وباتجاه انغلير الكاسكوني مضى
ومامن قوة كان بإمكانها اعتراض سبيله
وطعنه بسنان رمحه طعنة نجلاء
من صدره الى ظهره خرقت القناة وخرجت
وأطاح به أرضا بعدما رماه مقدار طول رمح
وصاح : هذا السلاح صالح للقتل تماما
أيها المسلمون اضربوا بشدة وشقوا طريقةكم وسط المنهزمين
ياالهي - قال الفرنسيون - واحد من خيرة رجالنا سقط
١١٧ - واستدعى رولاند صديقه أولفر وقال له :
سيدي الحكيم ، رفيقي ، انظر انغلير قد مات
لم يكن لدينا رجلا أفضل في الفروسية
ورد الكونت : ليمنحني الرب انتقاما عادلا
ونخس طرفي مهره بمهمازية الذهبية وانطلق
ممسكا بيده هوتيكليز الذي انصبغ نصله باللون الاحمر

- ٤١٧٣ -

وسدد الى أحد المسلمين ضربة قوية ورهيبة
ثم لوح ثانية بسيفه وسقط المسلم أرضا
وحمل الشيطان روحه ومضى بها الى الجحيم
ثم تابع عمله ، فكان الدوق ألفاين ضحيته الثانية
وأجثت رأسه من جذوره وأطاح به
ثم رجل سبعة من العرب وتركهم لما بهم
وعلى الأقل لن يتمكن هؤلاء من القتال ثانية
وقال الكونت رولاند : صديقي غاضب
مقاتل لمقاتل هو ساواني تماما
لهذه الأفعال أحبنا الملك شارلمان وأثرنا
ورفع صوته صارخا ، اضربوا ، يارجالى الشجعان
١١٨ - وتمركز في مكان آخر مسلم اسمه
فالدابرون (١٥٦٢ - ١٥٨٨)
وكان من أقرباء الملك مارسليون
وامتلك اسطولا قويا فيه أربع مائة شيني
ولم يكن هناك بحار الا وفي خدمته
وهو الذي استولى على القدس بالخدعة في وقت مضى
ونهب الهيكل الذي بناه الملك سليمان الحكيم
وقتل هناك البطريك على جرن المعمودية
وحصل على تعهد من الكونت غاذلون
وبناء عليه ، ودليلا على الولاء أعطاه سييفا ومنجنيقا
وقد امتطى حصانا دعاه غراميموند
ومامن حصان أصيل باراه بالسرعة
وبالمهزاة الحاد حرضه على الاندفاع
وانقض مباشرة على الدوق سمسون العظيم
مزق الترس وخرق الدروع
وجعل سنان رمحه يمضي في جسده ويذقد
وأطاح به من على ظهر حصانه ورماه بعيدا مقدار طول رمح
وصرخ المسلمون : اضربهم بعد ، واقتلهم
وقال الفرديسيون : ياإلهي ، ذهب بارون شجاع

١١٩ - وعندما رأى الكونت رولاند سمسون ممتددا
يمكنك أن تخمن مقدار الحزن الذي شعرت به روحه
وغمز حصانه بمهمازيه واندفع مسرعا لضرب العدو
بدورندال الأعلى من أفضل الذهب
وبقوة وتصميم سد البارون ضربته
فسقطت على الخوذة المحلاة كلها بالذهب
فشطر الرأس وحطم العنق والصدر
وقطع السرج المحلى كله بالذهب
ومضى السيف عميقا في ظهر الدابة
أراد أو لم يرد ، لقد دمرهما معا (١٥٨٩ - ١٦١٢)
وقال المسلمون : هذه ضربة لؤم
وقال رولاند : صدقا أنني لأحبكم
رجالكم الأعداء ، رجالكم المتفائرون الادعاء
١٢٠ - وكان هناك أفريقيا من أفريقيا أيضا
يدعى ملقوانت ابن الملك ملكود
كان مكسوا بالذهب من رأسه الى قدميه
ومامن أحد في ضوء الشمس كان منظره أكثر لمعانا
امتطى فرسا دعاه ساوت - برودو
مامن مهر كان يمكن أن يجاريه في عدوه
وضرب انسيس على وسط ترسه ضربة شديدة صادقة
فأطاح بالارجوان والازرق
وخرق سابغته ودروعه الواقية
وامضى في جسده الفولان والقناة
وسقط الكونت ميتا ، ووصل يومه الى نهايته المحتومة
وقال الفرنسيون جميعا : أسفا عليك ايها السيد الشجاع
١٢١ - وجال رئيس الاساقفة توربين على أرض المعركة
مامن راهب حليق وسط الرأس يرتل القداس
كان بامكان جسده أن يفعل مثل هذه الأفعال الشجاعة
دعا على المسلم قائلا : لينزل الرب بك السوء
انت الذي قتلت واحدا يبكي عليه قلبي حزنا

وحرص مهره الطيب على الاسراع في عدوه
وضربه بشدة على درعة الطليطي
والقاء ميتا على العشب الاخضر

١٢٢ - وكان هناك مســــــــــــــــــــــلما ، وكان يدعى
غراندوني (١٦١٣ - ١٦٣٨)
ابن ملك كابل ، من شواطىء كبدوكية
راكبا على مرمور ، فذاك كان اسم حصانه
اسرع من أي طائر طار وحلق
أرخص له عنانه ، فاندفع يعدو الى الامام
وعدا ليضرب غيرين بكل ماؤتيه من قوة
ومن حول رقبتة قطع الدرع الاحمر ومزقه
ومن على جسده خرق السابغة وقطعها
والى قلبه نفذ السنان الحامل للراية الزرقاء
وأطاح به ورماه ميتا على تبة صخرية
وبعد ذلك سدد ضربة الى رفيقه غيرين فأرداه قتيلا
وبعده الى بينير والى غي أوف سانت أنتونيو فأرداهما
ثم ضرب دوق أستورغ الجبار
(الذي دعته أنفير على الرون وفالذس السيد)
والقاء ميتا ، ومن شدة السرور تعالى زئير المسلمين
وقال الفرندسيون : ما أفدح الخسارة التي من أجلها سنذوح
١٢٣ - وأمسك الكونت رولاند بشدة سيفه المصبوغ بالدماء
الحمراء

مدركا مدى الحزن الذي سيطر على الفرنسيين
قلبه بكى ، ولشدة الحزن كاد ينفطر الى شطرين
ودعا على المسلم : أصابك الرب بجميع الاسقام
أنت الذي قتلت واحدا سأجعلك تسدد
ونخس حصانه فاستجاب يعدو بسرور ونشاط
ليريح من يستطيع ، لقد جاءا وجها لوجه
١٢٤ - كان الامير غراندوني فارسا جيدا وشجاعا

- ٤١٧٦ -

قوي الذراعين وشجاعا في المعركة
اليه وصل رولاند القائد العظيم
هو لم يلقيه من قبل ، لكنه عرفه بالحال (١٦٣٩ - ١٦٦٥)
من منظره العظيم ، وبنيت الرائعة
ونظراته المتعالية وسلوكه وسماته
لم يتمالك نفسه فشعر بخوف مميت
وأراد الفرار ، لكن ما الفائدة ، لا يمكنه
وانقض الكونت عليه وضربه بشجاعة هائلة
حتى أنه قصم عرف خوذته ، لابل الخونة كلها شطر
شطر الأنف والأسنان ، والحلق
والسابقة وعظام الصدر والظهر
وقربوسي السرج الفضييين فصمهما عن السرج الذهبي
الفارس والفرس شطرهما وألقاهما
وتركهما بلا حياة ، أشلاء ممزقة
وأخذ رجال اسبانيا يذبحون من شدة حزنهم
وصاح الفرنسييون جميعا : يالها من ضربة ، ياله من بطل
١٢٥ - المعركة حادة ورائعة وعظيمة
لعب الفرنسييون برماحهم وفعلوا الأفاعيل
لو رأيتهم لرأيت كم من الرجال تركوا يتألمون
كم من الجرحى ، والذين ينزفون والموتى
تكوموا فوق بعضهم ، وتمددوا على وجوههم أو ظهورهم
ماعاد بإمكان المسلمين تحمل هذه المشاق
سواء أسيفرون ، أو لن يهربوا عبر السهل
سيطاردهم الفرنسييون بكل ماؤوتوه من قوة
١٢٦ - المعركة رائعة ، وازدادت سرعة
قاتل الفرنسييون بغضب ، وبحنق انقضوا
خرقوا الدروع ونفذوا الى الأجساد الحية
سالت الدماء على الأرض الخضراء حمراء ونقية
(وقال المسلمون : نحن ليس بإمكاننا تحمل هذا

- ٤١٧٧ -

(العناء) (١٦٦٦ - ١٦٩٣)

لتحل لعنات محمد (صلى الله عليه وسلم) على أرض أباء
الفرنسيين

أبناؤك هم أشجع أبناء الرجال

لم يكن بينهم من لم يصرخ : أنجنا يا مارسيل

اركب اركب ايها الملك ، لأننا في شدة عظيمة

١٢٧ - نادى الكونت أولفر قائلا :

سيدي الحكيم ، رفيقي ، قدم اعترافك ، بنت النهاية

سيدي رئيس الاساقفة حله مثلما حللت بقية الأتراك

ليس على وجه الأرض من يدانيه ولا تحت قبة السماء

من أجاد مثله استخدام الحراب والرمح

وأجاب الكونت : دعنا نعيه الآن وهاهنا

وهنا تابع الفرنسيون بكل نشاط

ضرباتهم ، كانت شديدة ، والقتال كان حادا

والخسائر بالنسبة للمسيحيين كانت هائلة

وكل من رأى وقتها رولاند وأولفر

رأهما يضربان بسيفيهما ويخرقان الصفوف

ومضى رئيس الاساقفة يطعن برمحه

بأسلحتهم قتلوا أعدادا جاء ذكرها

في المدونات وروايات المؤرخين

أكثر من أربعة آلاف حسبما جاء في تواريخ الأعمال

تحملوا أربع هجمات بشجاعة واضحة

ثم جاءت الخامسة ، ثقيلة ، ومرعبة ، ومخيفة

جميع فرسان الفرنسيين سقطوا موتى

وستون فقط ، بنعمة الرب ، ظلوا أحياء

هؤلاء سيستدون قبل موتهم ثمن أجسادهم غاليا

١٢٨ - عندما رأى رولاند جميع رجاله الشجعان قد تمددوا

صرخ بصوت مرتفع لصديقه أولفر :

من أجل الرب ، أخبرني يا رفيقي ، ياسيدي الحكيم ، مالذي

تراه الآن ؟

انظر كم من الفرسان الجيدين قد تمسّدوا على الأرض
أمامنا (١٦٩٤ - ١٧٢١)

أنا نشعر بالأسى تجاه فرنسا بلاننا الجميلة
لأنها تركت مجرّة محرومة من زهرة فرسانها
لماذا أنت لست هنا ، يا صديقي وامبراطوري
أخي أولفر ماهي السبل التي يمكن أن نجدها ؟
كيف سنرسل له أخبار ما ألم بنا ؟

وقال أولفر : كيف يمكنني أن أعرف ، كيف ؟
أنا أفضل الموت على أن أخسر شهرتي
١٢٩ - قال رولاند سأنفخ الآن ببوقتي مباشرة
عندما سيسمع شارلمان ، وهو يجتاز بوابة اسبانيا
أنا أتعهد أن الفرانسيين سيعودوا ثانية
قال أولفر : سيكون ذلك عملا مشينا

وسيكون الذقد الموجه لآلك عظيما
وهم طوال حياتهم لم يعيشوا في ظل العار
عندما رغبت اليك بذلك ، لماذا قلت لي لا ؟
إذا فعلت ذلك الآن ، لن تنال الحمد مني
انفخ إذا اردت - هذا ليس من أعمال الشجعان
تبصر ، بكم من الدماء غسّلت ذراعيك
أجاب الكونت : لقد وجهت ضربات ممتازة هذا اليوم
١٣٠ - ثم قال رولاند : هذا القتال مليء بالمآسي
سأنفخ في بوقتي ، وشارلمان سيسمع صراخي
وقال أولفر : هذا سيكون مسيئا ومهينا بالنسبة للفرس

أنا سألتك ذلك ، وأنت رفضت ، بسبب الكبرياء
فلو أن شارلمان كان هنا ، لمضى وقتها كل شيء بشكل صحيح
هو ليس ملوما ، وكذلك الرجال الذين من حوله
(ثم قال) الآن بحق لحيتي ، لن أرى بعيني
ثانية ولن أضرم أختي أودي الجميلة
بين ذراعي ، ولاتظن أنني أكذب

- ٤١٧٩ -

وقال رولاند : لماذا أنت غاضب مني هـكذا
يا صديقي ؟ (١٧٢٢ - ١٧٤٩)

ورد هو : أنت يارفيقي الذي وضعتنا في هذا المأزق
هناك شجاع حكيم وهناك مهمل
الحكمة أفضل بكثير من حماقة
فمن خلال شططك دمرت الفرندسيين
اننا لن نكون ثانية قادرين على خدمة شارلمان
لو أنك أصغيت قليلا لما قلته
لجاء مولاي ومنضت المعركة على خير مايرام
ولكان الملك مارسليون الآن أسيرا أو قتيلا
ان شجاعتك يارولاند لعنة على رؤوسنا
منا لن ينال شارلمان المساعدة ثانية
ولن يزي الرجال منا ثانية حتى يوم القيامة
أنت ستموت وسيجل العار فرنسا الجميلة
صداقتنا المخلصة وصلت هنا الى نهايتها
سذفترق عن بعضنا بكل أسى قبل غروب شمس هذا اليوم
١٣٢ - وعندما سمعهما رئيس الاساقفة يتجادلان هكذا
نخس بمهمازيه الذهبيين مهره مجددا
واقترب منهما ووجه اليهما هذا النقد :
يالورد أولفر وأنت أيضا يالورد رولاند
دعونا من الخصام ، باسم الرب أخبركما
صحيح أن الذفخ بالبوق لن ينقذنا
مع هذا كان من الافضل القيام بذلك
دع الملك يأتي ، وسيكون انتقامه قاسيا
لن يذهب أحد الى اسبانيا حاملا أخبارا طيبة
بعدها يلقىهم رجالنا الفرندسيون على الارض قتلى ممددين
سيبحثون عن أجسادنا وأعضاءنا بقلوب جريحة
وسيحملونا على ظهور بغال التحميل
وسيبكونا بحزن وبآلام مبرحة

- ٤١٨٠ -

وقرب الكنيسة سندفن بشكل لائق (١٧٥٠ - ١٧٧٧)

ولن نكون طعاما للكلاب والذئاب والعقبان

وقال رولاند : سيدي كلماتك صحيحة وجيدة

١٣٣ - وضع رولاند بوقه على فمه

أمسكه بثبات وذفخ فيه بكل شدة

الجبال عالية ، والصوت بعيد ومرتجف

الى ثلاثين فرسخا مضى الصوت وصداه

وسمعه الملك شارلمان وكل النين كانوا معه

وقال الملك ، انتبهوا ، رجالنا يقاتلون الآن

وبادره غانلون قائلا : لو أن أي رجل قال هذا

فيما عداك ، لظننت أنه يكذب

١٣٤ - وأمسك الكونت رولاند بألم وبمزيد من الاسى

بوقه وذفخ به بكل ماأوتيه من قوة

الدم تدفق من فمه أحمر براقا

ومن بين يديه ومن البوق حلق النداء بصوت مرتجف

وسمعه الملك شارلمان الذي كان يعبر الممرات

وسمعه الدوق نايمون وجميع الفرنسيين بجانبه

وقال شارلمان : انني اسمع بوق رولاند ينادي

هو لم صدح به قط الا في وسط القتال الشديد

ورد غانلون : ليست هناك معركة

لقد تقدمت بك السذون وشعرك شاب وابيض

وعندما تتحدث هكذا تتكلم وكأذك طقل

أنت تعرف رولاند جيدا وأنه مليء بالكبرياء

إنه لأمر غريب أن الرب جعله يتحمل كل هذا الوقت الطويل

ألم يستولي عل نابولي تماما ضد أوامرك ؟

وقام المسلمون بهجوم من الداخل

واشدبكوها هناك بالقتال مع رولاند الفارس العظيم

لذا سـفـح الدم على الأرض ، وكان بذلك مـبـدعا

شجاعا (١٧٧٨ - ١٨٠٤)

أراد ابقاء الأرض مضرجة بالدم حتى تراها بعينيك

من أجل أرذب صغير هو سيفخ بوقه من الصباح الى المساء
انه الآن ، يعرض براعته أمام أترابه
امض في طريقك ، تابع سيرك ، لماذا تتوقف هنا وتتأخر
أرض أباءنا تقع على مسافة أميال كثيرة
١٣٥ - فم رولاند تدفق الدم منه بات لونه أحمر
لقد فجر صدغيه في رأسه
فقد صدح ببوقه بألم وقنوط
سمعه الملك شارلمان وكذلك فعل الفرنسيون جميعا
ثم قال الملك : هذا الصوت طويل وعميق
وقال نايمون : انه يصدح بكل قوة رجل شجاع
هناك معركة ، وهذا أمر أعرفه ومتأكد منه
والذي يريد ابقاءك ماهو الا متورط بالخيانة
الى السلاح ، دع نداء حرك يصعد عاليا الى السماء
سارع لتقويم العون الى رجال حاشيتك الشجعان
الا تسمع كيف يندب رولاند بشكل قانط
١٣٦ - وأمر الملك شارلمان أن تصدح الأبواق عاليا
وهب الفرنسيون بالحال الى السلاح
بخوذ وسوابغ وسيوف مذهبة تمنطقوا
دروعهم جيدة ورماحهم شديدة ومتينة
أعلامهم المربوطة بها حمراء وبيضاء وزرقاء
على ظهور خيولهم امتطى فورا السادة المحاربون
وبسرعة تدفقوا خلال الممرات ولم يتوقفوا
تحدث كل منهم الى الآخر وتجاوب معه قائلا :
لو أننا سنصل الى رولاند قبل موته ونهايه
كنا سنقاتل بشدة الى جـانـبه وسـط
الحشود (١٨٠٥ - ١٨٢٩)
مافائدة ذلك ؟ لقد تأخروا كثيرا
١٣٧ - وانحسر ظلام الليل وبات النهار مشرقا
وفي وجه الشمس لمعت أسلحتهم
وأرسلت دروعهم وخوذهم أشعة قوية

- ٤١٨٢ -

وعرضوا كثيرا من الدروع المرسوم عليها صور الورود
وكميات هائلة من الرماح المذهبة والاسنة
وساق الامبراطور بدون توقف وهو مغضب
وكان الفرنسيون جميعا غاضبين ومستائين
لم يكن بينهم من لم يبك من شدة غضبه
ومن أجل رولاند كاذوا جميعا محزونين خائفين
واعتقل الملك الكونت غانلون مباشرة
وحوله الى المطابخ في قطار جيشه
واستدعى كبير الطباخين واسمه بيسغون وقال له :
احرسه جيدا ، كما يليق برجل دنيء مثله
وتولى بيسغون اعتقاله ومعه مائة من الطباخين
من احسن العاملين في تلك الدائرة واكثرهم سوءا
فندفوا اللحية من على وجهه وذقنه
وكل منهم صفعه أربع صفعات شديدة
وعلى الفالقة وضعوه وبالعصي جلدوه
وربطوا حول رقبته سلسلة قوية
وكتفوه بشكل محكم مثل دب في قفص
ثم اقوه على ظهر واحد من خيول التحميل بشكل مهين
وكانوا سيبقونه سليما حتى يطلبه شارلمان
١٣٨ - وكانت التلال ضخمة وذات ظلال
وارتفاع (١٨٣٠ - ١٨٥٥)
وجرت في الوبيان الجداول وتدفت
وزعقت الابواق امامهم وخلفهم
ورددت كلها صوتا واحدا جاء ردا على النداء
وبقلب مفعم بالغضب ساق الامبراطور شارلمان
والفرنسيون جميعا بحزن وحزن
لم يكن هناك غير الحزن والبكاء من العيون
وكلهم توجهوا للرب بالدعاء ليحفظ حياة رولاند
حتى وصولهم وانخرطهم معه في القتال
وما ان يصلوا اليه حتى يقاتلوا الى جانبه قتالا شديدا

- ٤١٨٣ -

ماذفع ذلك كله ؟ صلواتهم كانت فارغة تماما
لقد تأخروا كثيرا ولايمكنهم الوصول في الوقت المناسب
١٣٩ - وساق الملك شارلمان عابس الوجه مغضب
على وجهه تطايرت لحيته
واندفع جميع البارونات الفرنسيون الى جانبه مسرعين
ولم يكن بينهم من لم يمتلىء بالغضب
لعدم مساعدة رولاند البالايني
الذي يقاتل الآن مسلمي اسبانيا
لقد جرح جرحا بليغا ، وأخشى أنه لن يعيش
الرب ، وهؤلاء الذين تبقوا من الرجال الستين معه
لم يعرفوا قائدا خيرا منه ولاحتي ملك
١٤٠ - واستعرض رولاند الجبال والمنحدرات
كم من الفرنسيين رأهم هناك ممددين موتى
وكفارس جيد ندبهم كما يلي :
أيها البارونات ، سادتي الرب برحمته الواسعة
ليجلب أرواحكم جميعا الى فردوس الرحمة
وليجعل بين الورود البراقة حفر قبورهم (١٨٨٥ - ١٨٥٦)
أنا لم أر أشجع منكم أو أعظم رجولة
طوال خدمتكم لي لم تتوقفوا وكنتم جيبيين
لقد قهرتم أراخي كثيرة لصالح ملك شارلمان
وأسفاه لأي نهاية محزنة رباكم الامبراطور
ايتها الأرض الحبيبة ، الحاضنة الجميلة للفرنسيين
كم عانيت هذا اليوم مما ألم بك ونزل
بارونات فرنسا لاقوا حتفهم من أجلي
وأنا أيضا لايمكنني الدفاع عنك أو منحك الأمان
الآن ليعذك الرب الذي لم يتخل عني بعد
أولفر يا أخي ، لن تعدم مساعدتي
ومع أن أحدا لم يقتلني ، سأموت من حزني فحسب
سيدي الحبيب ، يارفيقي ، دعنا نستأنف القتال
١٤١ - عاد الكونت رولاند الى أرض المعركة

وكمقاتل استخدم سيفه دورندال
فأطاح بفالدرون دي بوي وسط الشعاب
مع أربع وعشرين بجانبه من منزلة رفيعة
مامن رجل توفرت لديه رغبة الانتقام بمثل هذه الحدة
ومثلما هرب الغزلان أمام كلاب الصيد
أبدى المسلمون أعقابهم أمام رولاند
وقال رئيس الاساقفة : عمل رائع ، عمل رائع حقا
ليكن شجاعا مثل هذا ، الذي سيتربى فارسا
الذي سيحمل سلاحه وينطلق على مهره الطيب
مقداما وشجاعا عليه أن يكون في المعركة
والا هو لن يساوي فلسا واحدا
الأحسن أن يتحول ليكون راهبا في دير حقير
ومن أجل نذوبنا يصلي يوميا وهو جاث على ركبتيه
وقال لروولاند : اضرب ولا توفّر أحدا منهم
وعند هذا استأنف الفرنسيون القتال بسرعة
وعانى هناك الفرنسيون من خسائر عظيمة وأحزان
١٤٢ - عندما يعبر ————— رف أنه لن يكون هناك
أسرى (١٨٨٦ - ١٩١٢)

سيقاتل الرجال بكل شجاعة وسيتمسكون بصدفوفهم
ولهذا ازداد الفرنسيون شجاعة وحذقا
وهنا جاء مارسيل ، الذي لم ير بارون يجاريه شجاعة
ممتليا فرسا ، واسمه غايغنون
واتجه نحو بيفون وانقض عليه
وهو الذي يمتلك بيون وبيجون
وشطر الترس ومزق السابغة
وألغاه ميتا ، لن يحتاج للقتال ثانية
واردى بعده ايفون ثم ألحق به ايفور صديقه
والكونت رولاند الذي لم يكن بعيدا
نادى على المسلم قائلا : ليلعن الرب روحك

- ٤١٨٥ -

هؤلاء رفاقي ، لقد قتلتهم بوساطة الخيانة
وقبل أن نبرح من هنا ستدفع ثمننا عاليا
وستتعلم اسم سيفي البتار
واندفع نحوه مثل بارون شجاع
ومن ذراعه التي حمل بها السيف بتر اليد وأطاح بها
ثم أردى على الطريق بعده جورفيرات الجميل
ابن مارسليون ، وقطع رأسه
وصرخ المسلم : يا محمد ، عوذك يا محمد
انذقموا لنا من شارلمان ، انتم يا آلهة عقيدتنا
فالى ارضنا أرسل شعبه الشرير
سواء أ جاءت الحياة أم جاء الموت لن يتخلى أبدا عن المكان
ثم صاح واحدا للآخر : اهربوا اذا ، اهربوا بسرعة
مائة ألف هربوا من أرض المعركة مباشرة
انهم لن يعودوا ، ليدعوه من يستطيع
١٤٣ - أية مساعده هذه ؟ لقد هرب
مارسليون (١٩١٣ - ١٩٣٩)

ومع هذا بقي عمه مارغانايس
حاكم قرطاج والفرير وغارمايل
وأثيوبيا ، أرض ملعونة وشريره
تحت امرته جميع قبائل السودان
انوفهم كثيفة وأذانهم عريضة جدا
خمسون ألفا كاملة تجمعوا في صفوفهم
وساقوا باقدام وسرعة وغضب
يصرخون عاليا بشعار حرب المسلمين
ثم قال رولاند : هنا قضي علينا أن نموت
أعرف معرفة جيدة لايمكننا العيش طويلا
خوفا من العار ، لاتحجموا واندفعوا يا أحبائي لبيع حيواتكم
سادتي ، ارفعوا عاليا سيوفكم الملطخة وقاتلوا
سواء أ جاءت الحياة أم جاء الموت سيدفع العدو الثمن

- ٤١٨٦ -

وعليها أن نجذب فرنسا الجميلة الذل
عندما سيلقى مولاي شارلمان نظرة على هذه الأرض
سيرى كم استدفنا من قواهم
سيجد خمسة عشر مسلما ماتوا مقابل كل واحد منا
ولن يتردد في مباركتنا لانجازنا العظيم هذا
١٤٤ - عندما ألقى رولاند نظرة على رجال القبائل الملغونيين
هؤلاء

جلودهم سوداء كالخبر من رؤوسهم الى اقدامهم
ما من شيء أبيض فيهم غير اسنانهم
عند ذلك قال الكونت : صحيح بدون شك
انني أعرف جيدا ، في هذا اليوم سيجرفنا الموت
ايها الفرنسيون قاتلوا الحشود الى جانبي
وقال أولفر : ليأخذ الشيطان المتخلف المتقاعس
وسمع الفرنسيون هذا ومرة أخرى اندفعوا يقاتلون
١٤٥ - عندما رأى المسلمون كم تناقص عدد الفرنسيون
(١٩٤٠ - ١٩٦٤)

رصدوا صفوفهم وامتلاوا كبرياء وأمال
وقالوا : ستصل الآن جرائم الامبراطور اليه في الوطن
وجاء مارغانايس ممتطيا على مهر أشقر
ونخسه بشدة بمهمازين كلهما من ذهب
وسدد من الخلف ضربة لأولفر
ونفذت الضربة عميقا من خلال الدروع
ووقف سنان الرمح عند عظام الصدر
وقال له : لقد تلقيت ضربة قاصمة
أرسلك شارلمان الى الممرات لتلاقي حتفك
إنه قد أساء اليك ومن المفيد أن يفقد كبرياءه
لقد استوفيت بقتلي لك وحدك جل خسائرك
١٤٦ - وشعر أولفر أنه أصيب اصابة مميتة
فأمسك سيفه هوتيكلير الحاد النصل

- ٤١٨٧ -

وسدد ضربة الى مارغانايس على خوذته الذهبية العالية
قصمت منها الورود والجواهر التي رصعت بها
ومضت عميقا الى أسنانه قاطعة وسط رأسه
وسحب سيفه ثم أطاح به أرضا وقد فارق الحياة
ثم قال اسقط ايها اللدس ايها المسلم البائس التغييس
لقد خسر شارلمان كثيرا ، بهذا سأعترف تماما
لكذك لن تعود أبدا الى الأرض التي غادرتها
لن تعود لتتفاخر أمام السيدات والفتيات
ولن أجعلك تنذفع مبني أو من رجال آخرين
وما أن صنع هذا حتى نادى عاليا طالبا من رولاند العون
١٤٧ - شعر أولفر أن جرحه كان مميتا (١٩٦٥ - ١٩٨٨)
عطشه للانتقام كان لا يمكن اخماده
فجال بين الصدفوف يضرب بشجاعة
دمر الرماح الصحيحة والدروع
ومزق السوابغ والسروج وقطع الأيدي والأقدام
من رآه رآه وهو يقطع المسلمين الى أشلاء
ويرمي واحدا فوق آخر حتى غدت جثثهم ملقاة على شكل أكوام
يمكنه أن يتذكر أعمال زهرة الفرسان هذا
ونداء حرب شارلمان لم يتوقف عن الترداد
بل ظل يصرخ عاليا وبوضوح : « جبل المسرة »
ودعا رولاند رفيقه وصديقه قائلا :
سيدي يارفيقي اقترب مني وقف معي
لأسانا لا بد أن نفترق هذا اليوم
١٤٨ - وجه أولفر عندما نظر اليه رولاند كان
شاحبا ومحزنا ، بلا لون ، مليئا بالجراح
وغطى دمه القانيء جسمه من رأسه الى قدميه
منه الى الأرض جرى مشكلا عدة بقع
وقال الكونت : يا الهي ، أنا لا أعرف ماذا سأعمل
سيدي الحكيم ، يارفيقي ، انني أبكي بصدق طاقاتك الهائلة
لن يشاهد رجل يساويك

- ٤١٨٨ -

اسفي ، يافرنسا الجميلة ، على رجال شجعان حقا
عليك ان تبكيهم هذا اليوم ، فقد طرحوا أرضا وماتوا
ان الخسارة التي سيعاني منها الامبراطور مؤلة
لقد تحدث كثيرا ثم هوى في سرجه مغمى عليه
١٤٩ - هوى الآن رولاند في سرجه مغمى عليه
عليه (١٩٨٩ - ٢٠١٣)

وأولفر عاجز يعاني من سكرات الموت
لقد نزع كثيرا حتى أن عينية تجمدتا
ماعاد بامكانه رؤية شيء مباشرة من قريب أو بعيد
ولا تميز أي شكل حي
لذا عندما جاء الى حيث كان ينتظر رفيقه
ضربه على خوذته الذهبية بكل عنف
فمضى السيف قاطعا العرف والاماكن المرصعة بالجواهر
فقط لم يلمس السيف رأسه
ثم رفع رولاند - وقد علت الدهشة - عينيه وحدق في وجهه
وسأله بصوت منخفض وبلطف قدر الامكان
سيدي ، يا رفيقي هل أنت جاد بضربتك ؟
انظر الي ، أنا رولاند ، الذي أحبك طوال ايامه
أنت لم تتحداني قط أو طالبت بمبارزتي
وقال أولفر : أنا لا أستطيع أن أراك بوضوح
أنا أعرف صوتك ، حفظك الرب ووقاك
وأنا قد ضربتك ، اغفر لي ، أرجوك
ورد رولاند قائلا : أنا لم أصب بجراح
أنا اغفر لك ، باسمي وباسم الرب
ثم انحنى كل في مكانه للآخر بكل أدب
وبمثل هذا الحب العظيم افترقا عن بعضهما
١٥٠ - شعر أولفر باقتراب الموت
عيناه تجمدتا في رأسه
هو الآن أعمى تماما ، وتاما أصم

- ٤١٨٩ -

ترجل بسرعة من على حصانه وجثا على ركبتيه
وأدى الاعتراف بصوت مرتفع ، وضرب على صدره
(٢.١٤ - ٢.٣٩)

ثم صدق بيديه ورفعهما عاليا نحو السماء
ودعا للرب ليسكنه في الفردوس
وأن يبارك فرنسا الجميلة وشارلمان
ورفيقه رولاند فوق جميع الرجال
وتقطعت شرايين قلبه ، وألقى بخوذه فروسيته
وجسده على الأرض ، وتمدد هناك على طوله
مات الكونت ، وصلت أيامه الى نهايتها
وبكى عليه رولاند الشجاع وندبه
مامن انسان على وجه الأرض شعر قط بمثل أساه
١٥١ - عندما رأى رولاند صديقه ورفيقه قد مات
وعلى الأرض انكب متمددا
ودعه بالكلمات اللطيفة التالية :
سيدي ، يا رفيقي ، أسفي عليك وعلى شجاعتك وقوتك
عشنا سنين طويلة وأياما جذبا الى جذب
لم تخطيء بحقي قط ولم أخطيء بحقك
والآن أنت ميت سأبكيك طوال حياتي
وما أن قال المركيز هذا حتى سقط مغشيا عليه
على ظهر مهره فيلانثف العلي
وبقي على ظهره ولم يسقط لربطه بواسطة الأحزمة الذهبية
اللامعة

فأيزما ذهب امسكوه وابقوه منتصبين
١٥٢ - وما لبث أن عاد رولاند الى نفسه ثانية
واسترد وعيه وتخلص مما ألم به
لقد كتب عليه أن يلاقي حظا تعيسا ومخيفا
جميع الفرندسيين قد خسروهم وقد ذبحوا
وفقط رئيس الاساقفة مع وولتر هيوم بقيا

- ٤١٩٠ -

هبط وولتر من الأعالي ثانية (٢٠٤٠ - ٢٠٦٥)
لقد قاتل جيدا ضد رجال اسبانيا
رجاله ايضا أموات ، تمددوا بوساطة سيوف المسلمين
برغبة أو بدون رغبة هرب نحو الوادي
وصرخ عاليا الى رولاند ليمده بالعون :
أين انت ، أين أيها الكونت العظيم ، أيها المحارب الشجاع
ما دمت هناك انا لم أشعر بالرعب
أنا وولتر الذي جاء ممتطيا مالغوت
أنا حفيد درون المتقدم بالسن
أنا لشجاعتي اعتدت أن تحبني دوما
رمحي قد انقصف ، وترسي انشطر الى قسمين
دروعي تحطمت وسابغتي خرقت
طعنت برمح نفذ (من وسط كبدي)
لقد نزل الموت بي ، ومع هذا جعلتهم يدفعون الثمن غاليا
عجبا ، عند هذه الكلمة سمعه رولاند وأفاق
نخس حصانه ومضى نحوه مسرعا
١٥٣ - وأمتلا رولاند بالأسى والغضب المرير
ووسط الصفوف الكثيفة استأنف الآن حربه
وأردى وولتر ستة ، وزادهم رئيس الاساقفة خمسة
وقال المسلمون : هؤلاء الرجال هم أسوأ الجميع
يجب ألا ينجو أحد منهم حيا ، تدبروا هذا ، أيها السادة
من يخش الهجوم عليهم ، ليكن العار نصيبه
من يدعهم يذهبون ، سيجلله العار
ومرة ثانية ارتفع الضجيج وتعالى الأصوات
ومن كل جانب تدفقت حشود المسلمين
١٥٤ - الكونت رولاند جبار في حركاته (٢٠٦٦ - ٢٠٩٣)
وولتر دي هيوم كان واسع الشهرة لفروسيته
ورئيس الاساقفة محارب مجرب وخبير
بين شجاعتهم ليس هناك أدنى فوارق
وطعنوا وسط الصفوف الكثيفة المسلمين وقتلوا

- ٤١٩١ -

وترجل ألف من المسلمين ليقاتلوا على أقدامهم
وتقدم أربعون ألفا من الفرسان لمساعدتهم
ضد هؤلاء الثلاثة ، وصدقا إنهم خافوا من التقدم
فقدفؤهم بحرابهم من على بعد
ففقدوا كثيرا من حرابهم وخنابجرهم وسهامهم وأقنية
رماحهم ، ورماحهم
وواجه وولتر الشجاع في الرمية الأولى منيته
واذشطر درع توربين أوف رايم الى شطرين
وتحطمت خوذته وجرح في رأسه
وخرقت سابغته ، ودرعه تحطم وتقطع
وطعن صدره بأربعة رماح حادة وخرق
وقتل تحته حصانه ولوى رقبته وتكوم
ونزل رئيس الأساقفة يبكي بحرقه ومرارة
١٥٥ - وجد توربين أوف رايم نفسه مصابا
بأربعة أسنة نفذت الى داخل ظهره
نهض اللورد الشجاع مسرعا ، ووقف منتصبا
ثم تطلع نحو رولاند ، وركض نحوه وقال :
كلمة واحدة فقط : قواي لم تضمحل بعد
الرجل الحقيقي لا يسقط أبدا ما دامت الحياة تدب فيه
وامتشق الماس ، سيفه الفولاذي البتار
وضرب به ألف ضربة وسط الصفوف
سريعا سيرى شارلمان أنه لم يوفر عدوا قابله
لأنه سيجد قد تكوم حوله أربعمئة رجل
بعضهم جرحى ، وبعضهم تحولت أجسادهم الى أشلاء
وبعضهم جعلوا قصارا بقطع رؤوسهم (٢٠٩٤ - ٢١١٩)
هكذا تحدثت تواريخ الأعمال ، أنه قاتل هناك على هذه الصورة
بحق القديس جايل ، الذي باركه الرب بالمعجزات
والذي كان راهبا في ليون ، فهكذا جاء في الكتابات
إن الذي لا يعرف هذا ، لا يعرف شيئا مما حدث
١٥٦ - قاتل الكونت رولاند بشجاعة حسب الامكان

- ٤١٩٢ -

لكن جسده تعاظمت حرارته وازداد تعرقه
وغرق رأسه كله بآلام محزنة
من شدة ذفخة الذي مزق عروقه
لكنه كان سيذشط لو عرف أن شارلمان قادم لِعونه
أمسك ببوقه وذفخ به بضعف تام
وتوقف الامبراطور ، وقد سمع صوتا متحشرجا
فقال : سادتي : هذا يخبرنا خبرا مريعا
فقدنا يومنا هذا رولاند ابن اختي
هذا النداء يعلن أنه بات على حافة الانهيار
من أراد الوصول اليه عليه ان يسوق نحوه بسرعة يائسة
نادوا بين الحشود ، على كل بوق أن ينطق
ستون ألفا نعتت أبواقهم بصوت مرتفع
رددت الروابي الأصوات ، ونعتت الوبيان ثانية
وسمع المسلمون ذلك ، فانعدمت لديهم الرغبة بالضحك
وقالوا : لن يلبث شارلمان ان يقدم
١٥٧ - المسلمون قالوا : الامبراطور كر راجعا
لقد سمع كيف صدحت أبواق هؤلاء الفرنسيين
اذا جاء شارلمان ، سندمر ونهزم
اذا ظل رولاند حيا سيسعر الحرب ضدنا مرة جديدة
ولن نحتفظ بقدم واحدة من اسبانيا
وعلى الفور اندفع نحوه والتف حوله اربعمائة مقاتل على
رؤوسهم الخوذ (٢١٢٠ - ٢١٤٥)
كانوا خيرة المقاتلين الموجودين في تلك البقعة
وقاموا بهجوم مخيف على الكونت
وتابع اللورد رولاند البطل عمله يبتز
١٥٨ - عندما رأى الكونت رولاند هجومهم وقد بدأ
ازداد حدة وقوة وارعابا
ما دام حيا هر لن يتراخى أو يتوقف
ساق حصانه الذي اسمه فيلانتييف

- ٤١٩٣ -

وعلى جذبیه نخسه بمهمازیة الذهبیین
وانقض علیهم ، على حیث أكثر الصفوف كثافة
وساق السید رئیس الاساقفة توریین الشجاع معه
وصرخ مسلم لمسلم : رفیقی علیک بهما "
الم نسمع أبواق الفرنجة تصدح ؟
شارلمان عائد ، الملك الجبار والعظیم
١٥٩ - لم یحب الکوئنت رولاند الجبن قط
ولا القلب المزیف ، ولا السید المتعجرف
ولا أي فارس لم یکن رجلا جید التصرفات
ونادی لتوریین رجل الكنيسة العسکری
سیدی أنت علی قدمیک ، وأنا علی ظهر فرسی
حبا بک سأتوقف هنا
وجذبا الی جنب سنتلقى معا الخیر والشر
أنا لن أهجرک من أجل أي انسان فانی
لنذهب کلانا معا لقتال هؤلاء المسلمین
الضربات الجبارة هی ضربات دورندال
وقال رئیس الاساقفة : أنا اشعر بالخجل لأن ضرباتنا أخذة
بالضعف
١٦٠ - وقال المسلمون : لماذا نحن ولنا أصلا ؟
(٢١٤٦ - ٣١٧٤)

الویل لنا ، لقد بنا یوم نہایتنا
خسرنا الآن رفاقنا وسادتنا
شارلمان الجبار قادم مع جمیع قواته
نسمع من هؤلاء الفرندیین نعیق أبواقهم
وصدوت - جبل المسرة - یجلجل مرعبا عبر الحدود
مخيفة حركات رولاند أثناء غضبه
ما من انسان حی یمکنه أن یصرعه بالسيف
دعونا نرمیة ، وعند ذاك تنتهی الحرب
لذا طیروا نحوه رماحا وحرابا ، وصبوا علیه

- ٤١٩٤ -

الذشاب ، والسكاكين ، ونصال الذبال المريشة
وخرق ترس رولاند وانشطر وتحطم
وتقطعت عرى دروعه وتمزقت سابغته
ومع هذا لم يصب هو بجسمه أبدا
لكن مطيته أصيبت بثلاثين جرحا أو أكثر
عقر حصانه فيلانتييف وسقط ميتا
انهزم المسلمون وتخلوا عن الحرب
وترك رولاند وسط أرض المعركة مترجلا
١٦١ - بغضب وأسى هرب المسلمون
عائدين نحو اسبانيا مسرعين بلا توقف
لم يكن بمقدور الكونت رولاند مطاردتهم
فيلانتييف قد مات وليس لديه مهر ليمنطيه
سواء أشياء أم أبى سيبقى على قدميه
وانعطف ليقدّم العون الى رئيس الاساقفة توربين في محنته
ومن على رأسه تفككت اربطة الخونة الذهبية
وتجردت سابغته من عراها المتينة والبراقة
وقطع الى قطع صغيرة جدا غلالته الرقيقة
ليضمدها بجروحه العريضة والعميقة
ثم ضمه الى صدره وحمله بخفة
وبلطف مدده على طرف الراية المعشوشب (٢١٧٥ - ٢١٩٩)
وبخطاب عذب ناعم واساه قائلا :
أه يا سيدي الذبيل ، اسمح لي أن أتركك لبعض الوقت
أصدقائنا هؤلاء النين أحبيناهم كثيرا أثناء الحياة
لا يجوز لنا أن نتركهم ممددين حيث ماتوا
سأذهب للبحث عنهم ، والعثور عليهم والتعرف
وسأمددهم هنا جميعا أمام ناظريك
وأجابه الأسقف قائلا : اذهب وعد
شكرا للرب ، أرض المعركة هذه ملك لي ولك
١٦٢ - غادر رولاند ومضى خلال أرض المعركة
يبحث لوحده بين الوبيان والصخور المرتفعة

- ٤١٩٥ -

(وهناك وجد آيفور ، وهناك ايقون)
وغيريرير وغيرين الرفيقين الطيبين
(وانغلير الذي جاء من كاسكوني)
وعثر على بيرنغيز وأوثون
وبعد هذا وجد جيرارد العجوز أوف روسيلون
ورفعهم البارون الشجاع واحدا واحدا
وحملهم بكل سرعة الى عند رئيس الاساقفة
وعند ركبتيه صفهم جميعا
وبكى الاسقف ، ولم يستطع التوقف عن العويل
ورفع يده ومنحهم جميعا الغفران
وقال بعد ذلك : اسفي عليكم ايها الرفاق الشجعان
لتسكن ارواحكم مع الرب المتعال
في الفردوس وسط الورود المتفتحة
أنا ايضا أموت ، وأسف على جماعتي
الذين لن يمكن للامبراطور العظيم أن يراهم ثانية
١٦٣ - وعاد رولاند مرة أخرى الى أرض
المعركة (٢٢٠٠ - ٢٢٢٥)

وأخذ يبحث عن رفيقه أولفر
رفعه الى صدره بكل عناية
وحمله بأفضل ما يمكنه الى عند رئيس الاساقفة
ومدده على ترسه هناك مع الآخرين
وصلبهم الاسقف وحللهم جميعا بصلواته
وبدموع جددا أسفهما وأعلنه
وقال رولاند : تابعي أولفر الحكيم
كنت ابنا للدوق رينير
الذي يحكم التخوم في وادي الروان
أنت يا من حطمت الترسه وقصفت الرماح في كل مكان
واعتاد الرجال العظماء أن يقوموا من على مقاعدهم تقديرًا لك
وكنت شجاعا بالكلمة وبالرأي الصائب

- ٤١٩٦ -

وكنت تدمر الشرير وتسبب له الأذى
ما من فارس على وجه الأرض كان شجاعا مثلك كنت
١٦٤ - وعندما رأى الكونت رولاند أترابه ممددين موتى
ومعهم أولافر أعز أصدقائه عليه
بدأ يبكي أسي ورحمة
ومن وجنتيه ذهب اللون
ولم يعد قادرا على الوقوف ، وذلك لشدة أساه
فسقط أرضا ، وما عاد قادرا على مساعدة نفسه
فقال الأسقف ، أسفي عليك وحزني أيها السيد الطيب
١٦٥ - عندما رأى رئيس الأساقفة رولاند قد سقط مغشيا عليه
لم يكن حزينا مثله آنذاك ، لأنه شعر بأسى عميق
وزحف نحوه ، وتناول بوق رولاند ورفع
وفي رونسفال جرى هناك جدول من الماء
أراد على ضعفه أن يذهب إلى هناك ويجلب له قليلا منه
(٢٢٢٦ - ٢٢٥٣)

وبخطوات ضعيفة جدا ، إلى حد أنه كان غير قادر على التقدم
لما نزفه من دم لم يكن لديه القوة لمتابعة التقدم
وقبل أن يقطع الطريق سيرا
تخلى عنه ، وانكب على وجهه بلا حراك
استحوذ الموت الكافر عليه بقسوة كبيرة
١٦٦ - واستفاق الكونت رولاند واسترد وعيه
ووقف على قدميه مع أنه كان يشعر بالأم مبرحة
ونظر فيما حوله إلى الهضاب وإلى الويان
فيما وراء رفاقه ، مد بصره إلى السهول الخضراء
رئيس الأساقفة العظيم ، خليفة اسم الرب
ضرب على صدره وحملق بعينيتين محبتين
وبصعوبة رفع يديه نحو السماء وشرع بالدعاء
أن يمنحه الرب مكانا بالفردوس
توربين الآن بين الأموات ذاك الذي قاتل من أجل شارلمان

- ٤١٩٧ -

وكان شجاعا في الوعظ ، وفي المعارك الهائلة
وظل ضد المسلمين بطلا للعقيدة
ليباركه الرب وليمنحه رحمته
١٦٧ - ورأى الكونت رولاند رئيس الاساقفة ممدا
ورأى أمعاءه ومعدته مندفة الى جانبه
وعلى حاجبيه دماغه قد سال بشكل واضح
وعلى منتصف الصدر حيث مفتاح توزيع العظام
وهكذا أخذ ينديه حسبما قضت العادات المحلية :
أه ، أيها الرجل الأديب ، أنت فارس عظيم وذييل
الآن أنا أعهد بك الى الرب القادر
عبدا مطيعا خيرا منك لن يجد (٢٢٥٤ - ٢٢٨٠)
فمن أيام الرسل لم يكن هناك نبيا مثلك
في الحفاظ على العقيدة وفي كسب الرجال
أرجو ألا تلقى روحك أي عائق في تحليقها
ولتفتح أبواب السماء لاستقبالك
١٦٨ - شعر الآن رولاند أنه على أبواب الموت
من أننيه أخذ دماغه يتدفق خارجا
والآن وقد صلى لأتراه ودعا الرب اليهم جميعا
واليه قدم القديس جبرائيل العون
ثم خشية من العار أمسك بكل من يديه
بوقه وسيفه دورندال
ومثلما يطير النشاب من القوس
انطلق نحو أرض اسبانيا الى منبسط شاسع
وتسلق رابية حيث نبتت شجرة جميلة باسقة
وتحتها والى جانبها قامت أربع أحجار رخامية
وسقط هناك منكبا على العشب الأخضر
واغمي عليه ، لأنه كان على أبواب الموت
١٦٩ - الروابي عالية وعالية جدا الاشجار
قامت هناك أربعة أحجار (صوى) ، من الرخام اللامع
هناك تمعد الكونت رولاند ، على بقعة خضراء بلا حراك

- ٤١٩٨ -

وكان هناك مسلما راقبه بكل دقة
وكان قد تظاهر بالموث ، وتمدد بين قومه
ولطخ صدره ووجهه بالدم
انبعث الآن مسرعا وركض نحوه مندفعاً
كان قويا ، رشيقا ، ومتفوقا بشجاعته
والآن بغضبه وآماله المتعاظمة
انقض على رولاند وأمسك ذراعيه وجسده
وتفوه بعبارة واحدة : الآن ابْنُ أُخْتِ شارلمان
هزم (٢٢٨١ - ٢٣٠٧)

سأخذ سيفه ، والى بلاد العرب سأحمله
لكن عندما سحبه عاد رولاند الى وعيه وشعر به
١٧٠ - شعر رولاند أن سيفه قد سرق
فتح عينيه وتفوه بهذه العبارة وحدها :
أنت لست منا ، هذا ما عرفه تماما
ثم أخذ بوقه الذي كان ممسكا به بقوة
وقذفه على الخوذة المحلاة بالذهب
فحطم الفولاذ والجمجمة والعظام
ومن رأسه أخرج عينيه معا
وعلى الأرض تمدد ميتا ذلك الشرير الدنيء
ثم قال : كم أنت جريء أيها المسلم المزيف
حتى أمسكتني هكذا بحماقة أو بحكمة
وسيراك أحمقا كل من استمع الى رواية هذه الحكاية
يا الهي ، فوهة بوقي قد تحطمت
سقطت منها جميع اللآلئ وسقط الذهب
١٧١ - وشعر رولاند الآن أن بصره ازداد ضعفا واطلاما
وحاول بكل ما بقي لديه من قوة أن يقف على قدميه
واختفي كل الدم الأحمر من وجنتيه
وقام أمامه حجر أسمر اللون عند ركبته
ضربه عشر ضربات بغضب وأسى

- 8199 -

انه انكشط لكنه لم يكسر كما أن السيف لم يذلم
وصرخ الكونت : أه القديسة مريم قادمة لعوني
أسفي على هذا اليوم يادورندال الطيب والحاد
أنا الآن أموت ، أنا لايمكنني الحفاظ عليك
كم من معركة ربحتها معك على أرض الوغى
معك قهرت عددا كبيرا من الاقطاعات الجيدة
ليمتلكها شارلمان ، ذلك الشــــــــــــــــيد ذي الحية
البيضاء (٢٣٠٨ - ٢٣٣٥)

لا تدع أحدا من الأعداء يستخدمك ومنهم اهراب
انت الذي استخدمت فترة مديدة من قبل تابع جيد
مذلك لن ترى فرنسا المباركة أبدا
١٧٢ - وضرب الكونت رولاند الحجر الرخامي على أعلاه
ارتفع صوت الفولاذ عاليا لكنه لم يتحطم أو ينثلم
وعندما رأى الآن أنه لن ينكسر أبدا
اشتكى لنفسه الشكاية التالية :

أه يادورندال ، اللامع والشجاع والنشيط
ماأروعك وأنت تلمع وتبرق تحت أشعة الشمس
عندما كان شارلمان محفظا بوادي مورين
حملك ملاك الرب وأمره
أن يمنحك الى واحد من الكونتات القادة
على وسطي ربطك ، شارلمان الذليل
وبذلك حصلت له على أنجووبريتاين
وبهذا حصلت له على بواتو وقهرت ميان
وبهذا حصلت له على نورماندي ذات الاراضي الجميلة
وبوساطته ربح بروفانس وأكوتين
ولومباريا وجميع أراضي رومانيا
وبافرايا أيضا وجميع الدولة الألمانية
وعلى بورغاندي وأبوليا استوليت
والقسطنطينية وضعتها في يد الملك

- ٤٢٠٠ -

وفي سويسونيا تكلم فأطيع
وبهذا نلت سكوثلندا (وايرلندا وولز)
وانكلترا حيث أقام دولته
كم من الأراضي والبلدان أنا قهرتها بمساعدته
لأحفظها بقدر ما أستطيع لشارلمان ذي الحية البيضاء
أنني الآن حزين ومضطرب من أجل سيفي
خوفا أن يقع في يد مسلم — فها ذا أعظم — من — المم
الموت (٢٣٣٦ - ٢٣٦٣)

حرم ياربي العزيز أن يسبب العار لفرنسا
١٧٣ - وضرب الكونت رولاند على الحجر الرخامي
أنا لا يمكنني أن أحدثك كم قطع منها وفصل
ومع هذا لم يذكر السيف ولم يذلم مع أنه أن وزمجر
وارتد نحو السماء عاليا من أثر الضربة
وعندما رأى الكونت أنه لن يذكر
التفت نحو نفسه وبلا شعور انتحب قائلا :
أه يادورندال الجميل والمحترم والمخلص
أي آثار مقدسة محزنة في مقبضك الذهبي
فيك أسنان القديس بطرس وفيك دماء القديس باسيل
وفي ضمنتك مخبوء شعر مولاي القديس بيذس
ومثل هذا فيك قطعة من ثوب مريم المباركة
انه ننب أن أدعك تسقط في يد مسلم
يذغي أن تستخدم من قبل رجال مسيحيين فقط
ولا يجوز أن تسقط الى أي انسان جبان
أراضي واسعة كثيرة استوليت عليها بضرباتك
لأحتفظ بها لشارلمان ذي الحية البيضاء كالثلج
لتزيد عرشه غنى وقوة
١٧٤ - وأخذ رولاند يشعر الآن أن الموت يضغط عليه بشدة
وأنه يزحف من رأسه هبوطا الى قلبه
تحت شجرة صنوبر حضة على الأسراع بالمغادرة

- ٤٢٠١ -

وتمدد هناك ووجهه الى الاسفل على العشب الأخضر
ومدد تحته سيفه وبوقه
وحول رأسه الى حيث كان المسلمون
وفعل هذا من أجل الفرنسيين ومن أجل شارلمان
وبما أنه كان راضيا سيقولون بالتأكيد : قلب شجاع
ذلك أنه مات قاهرا في النهاية
وضرب صدره مرات عديدة وبسرعة (٢٣٦٤ - ٢٣٨٩)
ثم عهد بقفازه وبذنوبه الى الرب
١٧٥ - شعر رولاند الآن بذنوبه نهائيه
نحو طرف الرابية باتجاه اسبانيا حول رأسه
وبيد واحدة أخذ يضرب على صدره
ويقول : أرجوك يارب ان تغفر لي ذنوبي
جميع ذنوبي صغيرها وكبيرها
جميعها وكل ما اقترفته منذ يوم ولدت
حتى هذا اليوم الذي أسقط فيه ميتا
مد يده اليمنى قفازه نحو الرب
نزل الآن ملائكة من السماء الى جانبه
١٧٦ - تمدد الكونت رولاند تحت شجرة صنوبر
وتوجه نحو أرض اسبانيا وهو متمدد
وشرع في استعراض كثير من الامور في عقله :
جميع الاراضي الحدودية التي استولى عليها في أيامه
وفرزسا أجمل البلدان ، ورجال عصره
ومولاه شارلمان الذي رباه منذ صغره
ولم يتمالك نفسه عن البكاء والتقنيد
ومع ذلك بذاته كان مشغولا آنذاك
فضرب صدره واستمطر رحمة الرب :
أيها الأب الحقيقي والذي ليس فيه كذب
يامن بعثت القديس لازاروس من الموت
واستعدت دانيال سالما من بين براثن الاسد
احفظ روحي من الخطر على الرغم

- ٤٢٠٢ -

من جميع الذنوب التي اقترفتها في حياتي كلها
وقدم بيده اليمنى قفازه ليعطى للمسيح
ومن يده تقبل جبرائيل التقدمة (٢٣٩٠ - ٢٤١٥)
وقورا سقط رأسه فوق ذراعه
وبيين مذشابتين وصل الى النهاية ومات
وأرسل الرب له ملاكه شيردباين
والقديس ميكائيل العظيم صاحب بيرل على الشاطئ
ومعهما كان القديس جبرائيل واقفا الى جانبه
وحمل هؤلاء روح الكونت الى الفردوس
١٧٧ - رولاند بين الاموات ، وفي السموات تسلم الرب روحه
وسار الامبراطور شارلمان عبر ممر رونسيفو
مامن نهج كان هناك أو طريق
أو ممر أو ذراع أو قدم من الأرض العارية
الا وكان هناك بعض جثث الفرانسيين أو المسلمين ممددة متناثرة
وصرخ شارلمان : أين أنت ، يابن أختي الحبيب ؟ أجبني
أين رئيس الاساقفة وهل تمدد أولفر ميتا ؟
أين غرين وأين تربه غيريير ؟
وأين بيرنغير والكونت أوثون الطيب ؟
وأين ايفور وايفز وهما من أحببت بشكل كبير ؟
وأين انغلير الكاسكوني الكبير والمرموق ؟
وأين الدوق سمسون وانسيس الشجاع ؟
وأين جيرارد العجوز من روسليون ؟
وأين الأتراك الاثني عشر النين تركتهم لحراسة الحشد ؟
مافائدة النداء ؟ كلهم لم يتحركوا وكأنهم أحجار
وقال الملك : وارباه ، كم هو مر لومي لنفسي
أنني كنت غائبا عندما وجهوا الضربة الأولى
وأمسك لحيته ، وهزها بحنق وغضب
وبكى البارونات والفرسان جميعا وانتحبوا
عشرون ألفا تماما سقطوا لحزنهم على الأرض بلا
وعي (١٤١٦ - ٢٤٤٢)

- ٤٢٠٣ -

وحزن الدوق نايمون بكل أحاسيسه
١٧٨ - لم يكن هناك بارون أو فائز في الجيش كله
لم ينتحب بمرارة وألم
ونادى الأخوة والابناء والأحفاد بالويل
لأنهم سببوا شكوى مولاهم وصديقهم
وسقط كثير منهم الى الأرض وأغشي عليهم
ثم أظهر الدوق نايمون حكمة عظيمة
حيث تقدم نحو الامبراطور وكان أول من قال له :
أنظر أمامك ربما على مسافة مرحلتين
هذه السحب من الغبار ، المتصاعدة في الجو
تبين كم هي حشود المسلمين كبيرة وكم هي مسرعة في فرارها
أركب ، أركب يامولاي ، وانتقم لهذه الواقعة المؤلمة
وقال شارلمان : وأسفاه ، أي فائدة حصلوا عليها
لا شك أنك أشرت بالصواب وبما يقتضيه الشرف
استلبوا زهرة فردنسا مني في هذا اليوم
واستدعى أوthon وغيبون لمساعدته
وتيبولد أوف رايمز والكونت ميلون الشجاع وقال لهما :
أحرسا أرض المعركة ، وأحرسا جميع الهضاب والوحيان
وأقول : دعوا الأموات المتمدين كما هم متمدينين
ولا تمكثوا الأسد من لمسهم ولا أي حيوان مفترس
ولأن يلمسهم أي سيد أو أي طفل
أنا أمركما ، مامن أحد ، مامن يد توضع عليهم
حتى نعود - أرجو الرب - الى هذه الأرض ثانية
وأجاباه بحب وباحترام عظيم قائلين :
مولانا الأكثر جلاله ايها الامبراطور العادل ، نحن لا وامرك
طائعين
ثم عينا من أتباعهما ألفا من الفرسان
١٧٩ - وأمر الامبراطور أن تصدح الأبواق ايذانا
بالحرب (٢٤٤٣ - ٢٤٧١)

- ٤٢٠٤ -

وزحف الى الامام الملك الشجاع ومعه جيشه كله
وقاموا بعملية مطاردة شديدة لهدف واحد
هو رجال اسبانيا الذين اداروا ظهورهم هاربين
وعندما رأى الملك ان الظلام اخذ بالحلول
ألقى بنفسه فوق العشب في مرج أخضر
وجثا على الأرض وأخذ يصلي للرب مولانا
حبا له أن يبقى الشمس حيث هي
وأن يطيل النهار وأن يأمر الظلام بالانحسار
ومباشرة جاء ملاك اعتاد على الحديث معه
جاء بناء على دعوته واستجابة لندائه وقال له :
أنت ستنتقم من حشود الكفرة
وعندما سمع الامبراطور هذا ، امتطى ظهر فرسه
١٨٠ - صنع الرب لشارلمان معجزة عظيمة
وقفت الشمس في منتصف السماء محبوسة
واستمر المسلمون بالفرار ولاحقهم الفرنسيون عن قرب
وأدركوهم في وادي تيزيروسا
فساقوهم الى سرقسطة وأوقعوا بهم ومزقوهم
وبضربات جبارة قتلوهم وهم يطاردونهم
وقطعوا عليهم طريق الانسحاب في طرق الجبال والطرق العابية
ومالبت نهر ابرو أن واجههم وهو يتدفق مسرعا
وكان عميقا جدا ومغرقا مخيفا
ولم يكن هناك سفن ، ولا جسور ولا عبارات
واستمطروا وهم في يأس الرحمة السماوية
وألقى المسلمون أنفسهم بالماء لكن ربهم لم يهتم بهم
والذين حملوا أسلحة ثقيلة من خوذ ودروع
غطسوا الى الأعماق بأعداد فاقت الحصر
ونجرف التيار آخرين وسحبهم معه (٢٤٧٢ - ٢٤٩٥)
وكان السعيد بينهم من احتفظ بالقدرة على التنفس
وغرقوا جميعا بشكل مرعب جدا
وصرخ الفرنسيون : كان اليوم تعيسا ، يوم نظرتم الى رولاند

- ٤٢٥ -

١٨١ - وعندما رأى شارلمان المسلمين جميعا موتى بدون شك
بعضهم قد ذبح والجزء الأكبر قد غرق
وأنه على أسلابهم الثمينة يمكنه أن يعتمد
ترجل الملك النبيل من على ظهر حصانه
وجثا على الأرض وقدم الشكر للرب
وعندما نهض وجد الشمس مضت نحو المغرب
وقال الامبراطور : أرى ان الوقت مناسب للعسكرة
فالوقت متأخر جدا حتى نعود الآن الى رودسيه
لان خيولنا معقورة وقد أضناها التعب
أرخوا أحزمة السروج قليلا وانتزعوا اللجم من أفواهها
ودعوهم يرفعوا في هذه المروج من حولنا
ورد الفرنسيون : مولانا ، ماأشرت به سليمان
١٨٢ - بات معسكر الامبراطور الآن منصوبا
وترجل الفرنسيون جميعا ووقفوا في السهل الفسيح
وحرروا خيولهم من سروجهم وأحزمتهم
وأرخوا المقاعد الذهبية وحلواها من فوق رؤوسهم
وتركوهم يرتعون حيث العشب كثيفا وطازجا
كان هذا جل مايمكنهم تقديمه لهم
ومن كان منهم منهنكا اتخذ الأرض فراشا له
ولم يتركوا في تلك الليلة ، من يتولى حراستهم
١٨٣ - واستلقى الامبراطور شارلمان على المرج
الأخضر (٢٤٩٦ - ٢٥٢٢)

ونصب الى جانب رأسه رمحه الجبار
ولم ينزع عنه تلك الليلة دروعه وسلاحه
وظل واضعا عليه سابغته اللامعة والمطلية بلون العصفور
وأبقى على رأسه خوذته المحلاة بالذهب والمجوهرات
وربط حول وسطه سيفه جويوس الذي لانظير لشفرفته
وهوذاك الذي يتغير لونه ثلاثين مرة باليوم
هل تعرف التجربة التي لطلما سمعنا عنها الحكايات

- ٤٢٠٦ -

التي خرقت جذب مولانا عندما كان معلقا على الصليب ليقتل
لقد امتلك شارلمان رأس هذه الحربة ، والحمد للرب
واحفظ بها كأثر مقدس في صندوق مذهب
واحفظها بهذه الهبة وهذه المنحة الربانية
اطلق اسم جويوس على سيفه
نادرا ما كان بارونات فرنسا يذسبون ذلك الشيء
فلأجله صنع شعارهم - جبل المسرة - للحرب
ولهذا مامن أمة تستطيع أن تقف في وجههم
١٨٤ - الليلة صافية والقمر يشع براقا
واضطجع شارلمان لكنه لم يذم وبكى مانزل برولاند
ومن أجل أولفر بكى بقدر ما استطاع
وبكى الاقرب الاثنى عشر ، جماعته الفرنسيين الذين خلفهم
وراءه

في روزسيفو موتى مخرجين بالدماء وتنهد
ودعا الى الرب ليأخذ أرواحهم الى الفردوس
وكان الملك منهكا ، لأن الحزن كان ثقيلا على عينيه
ولم يعد بإمكانه الاستمرار ، فاستغرق بالنوم بعد قليل
ومثله تام جميع الفرنسيون هناك
ولم يدان بين الخيول من استطاع أن يظل واقفا
إذا أرادوا العشب رعوه وهم متمددين (٢٥٢٣ - ٢٥٤٩)
'ن من يعاني يتعلم أشياء كثيرة في الحياة
١٨٥ - وكان شارلمان نائما وكأنه إنسان هذه الحزن
اليه جاء القديس جبرائيل مرسلا من مقعده في السماء
ليحرس الامبراطور ، بناء على أمر رباني
وبقي الملك يحرس رأسه طوال الليل
ويريه بأحب من أحلام :
معركة جديدة ، عليه ان يخوضها
وكشفت الرؤيا وسط معاني مأساوية
بدا شارلمان فيها واقفا ينظر الى السماء
وأمسك هناك عصا مشعة مخيفة ومرعبة

- ٤٢٠٧ -

برق ورعد وعاصفة مرعبة وأمطار تشبه الثلج
ونار ولهب مضيء يتساقط وكأنه لوجات
كله بشكل مفاجيء على حشده في أرض الوغى
محرقا الرماح حتى تغدو رمادا وكذلك جذوع أشجار التفاح
حتى الذهب الذي طليت به الدروع كان يحترق
وصدر عن احتراق الرماح الحادة ما يشبه الزوبعة
وتمزقت السوابغ والخوذ المصنعة من الفولاذ
ورأى فرسانه في حالة يائسة جدا
ثم جاء لافتراسهم دببة وفهود مخيفة
بيدان ، أفاعي مجنحة وعدد كبير من أنواع التنين ، وشياطين
من الأعماق
وثلاثون ألفا من الوحوش المجنحة جاءوا مع هؤلاء
جاء هؤلاء جميعا وانقضوا على الفرندسيين والتهموهم أفرادا
وجماعات
وصرخ الفرندسيون : النجدة يا شارلمان اسرع لعوننا
وشعر الملك بالآلم بالقلب وبحزن عميق
وكاد أن يسقط مغشيا عليه لكن المصائب الجديدة حالت دون ذلك
وقفز اسد جبار من داخل الغابة
وكان منظره جبارا ومرعبا ومخيفا (٢٥٥٠ - ٢٥٧٢)
وهاجم الجسد الملكي وأمسكه
وأمسك أحدهما بالآخر وأخذا يتصارعان : انسان ووحش
ولا يمكن أن نقول من كان هو الأسفل ومن كان هو الأعلى
وتابع الامبراطور غطيظه ولم يستيقظ من نومه
١٨٦ - وبعد هذه الرؤيا حلم الامبراطور ثانية :
أنه وقف على دكة في فرنسا ، في مدينة اكس
وكان يقود دبا مربوطا بسلسلة مزدوجة
ومن أردن جاء ثلاثون دبا آخرين
تكلم كل منهم مثلما يتكلم البشر :
وبدوا كأنهم يقولون : سيدي أعده الينا
ذلك أنه ينبغي ألا يبقى في يدك

- ٤٢٠٨ -

هو قريبنا وعلينا أن نقدم له العون
ورأى خارج القصر كلب صيد يسعى
راه ينقض عن بعد على الدب الأكبر ويقاّته
على العشب الأخضر خلفهم مباشرة
أقام الامبراطور مبارزة حادة رائعة
لكن لا يمكن أن نخبر من الذي سيربح اليوم
عرض هذه الأشياء على الملك الطيب ملاك الرب
وظل شارلمان نائما حتى أشرق نور الصباح
١٨٧ - هرب مارسيل الى مدينة سرقسطة
وترجل في ظل شجرة زيتون
 ووضع جانبا سيفه وبيضته ودرعه المشع
وعلى العشب الأخضر اسـتلقى بشـكل تعـدي
(٢٥٧٣ - ٢٥٩٩)

ضاعت يده اليمنى ولا بد أن يعتاد على العيش بدونها
لشدة آلامه ونزيفه سقط مغشيا عليه
وأمامه جاءت زوجته الملكة براميموند
تبكي وتندب بصوت مرتجف مخيف
ووقف حوله عشرون ألفا من أتباعه
يلعنون فرنسا الجميلة ويشتمون شارلمان
واقترحوا كهف أبولو ودخلوا عليه
فأهانوه أهانات بشعة وصرخوا في وجهه مهددين
أه ، لماذا أيها الرب الشرير جاللتنا بالعار الآن؟
لماذا سمحت للافاجعة تحل بملكنا هذا ؟
تحل بعبد مؤمن وسيد كريم مثله
وانتزعوا صولجانه وتاجه
وعلقوه من يده مربوطا على عمود
وبعضا غليظة ضربوه وحصلوه
ثم داسوه على الأرض بأقدامهم
ومزق ثيرما غانت رداءه وانتزع مجوهراته
وبأقدامهم ركلوه بعيدا الى أحد المجاري

- ٤٢٠٩ -

لتدنسه الخنازير والكلاب وتدوس عليه
١٨٨ - واستفاق الملك مارسيل وعاد الى وعيه
فأمرهم أن يحملوه الى حجرته المقبية
التي نقشت بألوان لامعة ودهنت
وكانت هناك زوجته براميموند تبكي عليه
مزقت شعرها وصاحت يالك من سيدة تعيسة
وبكل كلمة تفوهت بها ندبتها وبكتها قائلة :
أه يا سرقةسطة ، ستبقيين مهجورة
لأجل هذا الملك العظيم الذي كان سيدك وحاميك
حقا إن ربنا تصرف نحوه بشكل رديء (٢٦٠٠ - ٢٦٢٩)
فهو الذي تخلى عنه اليوم في المعركة وسبب اخفاقه
وس يظهر الأمير نفسه مستسلما
ولن يخوض القتال ضد هذا الشعب الشجاع
الذي لا يعرف الاستقرار ويحمل أرواحه على أكفه
وامبراطورهم هذا الشيخ العجوز ذي اللحية البيضاء
لن يهرب إذا ما الحرب حمي وطيسها
أسفي أنه ليس هناك من يقوم بقتله
١٨٩ - بقوة السلاح والبراعة أمضى الامبراطور شارلمان
سبع سنوآت تامات متصلات في اسبانيا
وحاز عددا من المدن والقلاع لنفسه
وبذل مارسيل كل ما أوتيته من طاقة للمقاومة
وأرسلت في السنة الأولى رسائل منه
الى باليغان في بابلين بعث يقول :
الى الأمير هذا الرجل المغرق بالقدم
الذي عاش أكثر من هومر وفرجيل
دعه يقدم الى سرقةسطة مسرعا ليفرج عنا
إن لم يأت سيتخلى مارسيل عن رب المسلمين
(وتقول الأوامر) عليه أن يتخلى عن جميع الأوثان التي يعبدها
وأن يخضع الى الايمان المسيحي المبارك
وأن يعقد سلمه مع الملك شارلمان

- ٤٢١٠ -

كان هناك تأخير فالأمير عاش في منطقة نائية
من أربعين مملكة استدعى شعبه اليه
وبعد طول انتظار أكمل تجهيز مراكبه العملاقة
وسفائنه وشوانيه وبوارجه وقواربه وسفن القتال
في الاسكندرية حيث المرسى واسع وعميق
في البحر اسطوله كله جاهز للاقلاع
في أيار حيث أول بداية الصيف
وانطلق في سبيله مع جميع جيوشه
١٩٠ - كانت قوات هذا العـرق المذبـوذ هــائلة
(٢٦٣٠ - ٢٦٤٨)

وأبحر المسلمون وتحركت سفنهم بالمجانيف والأشرعة
وقفوا على السواري العالية وعلى المقدمات الطويلة
ما لا يحصى من المصابيح والمجوهرات لمعت
وبدا البحر في الليل جميلا مشرقا
وعندما وصلوا أرض اسبانيا
أشرق الساحل كله ولمع من خلال الاشعاعات
وسمع مارسيل أخبار أفادت أنهم على الطريق
١٩١ - وسارت الدشود الاسلامية باذلة جهدها المستطاع
غادروا البحر وجددوا الآن نشاطهم
وعبروا مار برايس ثم خلفوا ماربروس وراءهم
واتجه الاسطول بأكمله نحو الابرو وأبحر بهدوء
مع اللالىء وما لا يحصى من المشاعل تضيء
ومن المساء حتى الفجر توفرت لبيهم الكثير من الاضواء
وفي اليوم التالي وصلوا الى سرقةسطة
١٩٢ - وكان النهار مشرقا ، وبدت الشمس جميلة المنظر
ومن السفينة نزل الأمير العظيم
وعن يمينه سار الاسبانيون
وسار خلفه سبعة عشر ملكا وتبعوه (٢٦٤٩ - ٢٦٧٨)
لا يمكنني أن أحصي عدد الكونتات والبارونات الذين كانوا هناك

- ٤٢١١ -

في مرج جميل تحت شجرة غار
اندشرت ثياب بيضاء كأنها الثلج على بساط أخضر
وعليها نصبوا عرشا من العاج
هناك اتخذ باليغانت المسلم مجلسه
وأحاط به جميع الذين جاءوا معه ووقفوا أمامه
وكان أول من تكلم منهم سيدهم ومولاهم قائلا :
استمعوا إلي الآن وأصغوا ايها الفرسان الشجعان والأحرار :
إن الامبراطور شارلمان الذي يملك الفرنجة ويدير أمورهم
لن يأكل الخبز ما لم آذن له
لقد عمل ضدي في اسبانيا بشكل مقيت
الآن سأذهب الى فرنسا الجميلة وهناك سأواجه قواه
وما دمت حيا أنا لن أتوقف عن الحرب
حتى يموت أو يستسلم إلى حيا
وكان في تلك الأثناء ممسكا قفازه بيده اليمنى يضرب على ركبته
١٩٣ - وتحدث ثم أقسم يمينا لهذا القصد
أنه لن يتراجع مقابل الذهب الموجود تحت قبة السماء
عن الذهاب الى اكس حيث يقيم شارلمان بلاطه
وأعلن رجاله عن موافقتهم وأيدوا جميع ما قاله
واستدعى الآن اليه اثنين من الفرسان من بين البقية
وكان احدهما كليرفانت والآخر كليرين وخاطبهما :
أنتما ابنا الملك مالترين
الذي أنطلق من عندي سفيراً بكل سرور ورضى
أمركما أن تسافرا من هنا الى سرقةسطة
وأن تخبرا باسمي ما يلي الى الملك مارسليون :
إنني قدمت لمساعدته ضد الفرنسيين
وسأثير حرباً عواناً حيث ألتقيهم
أعطيهم هذا القفاز الموشى بالذهب
وتأكدوا من أنه سيرتديه بيده اليمنى
وأعطيهم أيضاً هذا الصولجان المصنوع من الذهب الخالص
(٢٦٧٩ - ٢٧٠٤)

- ٤٢١٢ -

واطلبنا منه أن يأتي للقائي وأن يقدم لي هنا ولاءه التام
أنا سأذهب الى فرنسا للحرب ضد شارلمان حتى الموت
إذا لم يستلق أمام قدمي رغما عنه
إذا لم يتذكر لايمان الرجال المسيحيين
فإنني سأنتزع التاج من على رأسه
وقال المسلمان : مولاي هذا صحيح وحسنا قلت
١٩٤ - قال باليغانت : أيها السيدان الى الخيول ، انطلقا
وأخذ أحدهما القفاز ، وأخذ الآخر الصولجان
وأجاب الرجلان بثقة : مولانا العزيز سنفعل
وانطلقا الى سرقسطة فوصلها ظهرا
واجتازا عشرة أبواب ، وعبرا أربعة جسور
وقطعا الشوارع حتى وصلا الى حيث الحكام
وعندما وصلا أخيرا الى أعلى المدينة
سمعا أمام القصر بكاء عاليا وطويلا
وتجمعت هناك اعداد كبيرة من المسلمين في حشود
يكون وينديون بأصوات حزينة
على تيرماغانت ومهوند الهيهما
وعلى أبولو : الذين من خلالهم خسرو
وكان كل منهم يصرخ : ويل لي ، ما الذي سيكون مصيرنا ؟
لقد سقطت على رؤوسنا كارثة مرعبة
والسقاء ، لقد فقدنا ملكنا مارسيلون
الكونت رولاند قطع يمينه
وجورفرت الحكيم قد مات ايضا
اسبانيا كلها اليوم ستقع تحت نيرهم
وترجل الرسولان وصعدا الى الداخل فورا
١٩٥ - وتركنا تحت شجرة زيتون فرسيهما تنتظران
(٢٧٠٥ - ٢٧٣٢)
وأسرع مسلمان للامساك بمقوديهما
وأمسك كل من الرسولين أحدهما بثوب الآخر
ودخلا الى القصر العالي صعدا

- ٤٢١٣ -

وعندما جاء الى الحجرة المقبية
حاولا أن يقدمتا تحيتيهما بشكل لطيف في ذلك الجو الكثيب :
ليقم مهوند ، الذي يحمينا
والرب أبولو ، وتيرماغانت برعايتهم
بحماية الملك ، وأن يجعلوا الملكة سعيدة
وقالت براميموند : لماذا أسمع هذا الكلام الاحمق
أربابنا هؤلاء خونة تعساء
لقد صنعوا عجائب في رونسيفو الحقير
لقد تركوا فرساننا يقتلون بدون عون
وبالذسبة لولاي ، لقد خانوه تماما
ذهبت يمناه ولم يبق منها ادنى أثر
لقد قطعت بضربة من رولاند ، الكونت الذي لا نظير له
الآن غدت اسبانيا كلها عرضة لأن يمتلكها شارلمان
وماذا عني ، أنا السيدة المثكلة التعيسة
الويل لي هذا اليوم ، اليس هناك من يقوم بقتلي ؟
١٩٦ - وقال كليرين : سيدتي ، اضبطي لسانك لبعض الوقت
لقد وصلنا من عند باليغانت المسلم
الذي اعلن انه سيقدم العون الى مارسيل
وقد ارسل قفازه وصولجانه كعلامة
وعلى سطح نهر ابرو هناك الآن أربعة آلاف من السفين
ومراكب أخرى الى جانبها لا يمكن عدها
أميرنا غني ، ليس هناك من يجاريه بقوته
سيذهب الى فرنسا ، وهناك سوف يجد شارلمان
وسيجعله يسلم أو يقتله ويزيله من الوجود
(٢٧٣٣ - ٢٧٦٠)

وقالت براميموند : بعيدا حتى فرنسا ؟ عجباً ، عجباً !
لدينا أعداد كبيرة من الفرنجة على مقربة منا على بعد أميال
هؤلاء هنا منذ سبع سنين دونما انقطاع
الامبراطور شارلمان قوي ومولع بالقتال
ليس هو من يفر من المعركة بل انه يؤثر الموت على ذلك

- ٤٢١٤ -

يعد أفضل الملوك الأحياء ليس أكثر من مجرد طفل
شارلمان لا يخشى أي انسان بين الأحياء
١٩٧ - ثم قال الملك مارسيل : صنع ، وصنع
والتف نحو السفيرين قائلا : أرجو كما ايها السادة الي توجهها
بالخطاب

أنا واقف على باب الموت ، كما تريان بكل وضوح
ما من ولد ، وما من ابنة ، ولا وريث أنا سأترك
كان لدي ولد واحد وقد قتل بالأمس
اطلبا من الأمير ان يقدم لزيارتي
دعوى جيدة وصحيحة بالنسبة لأرض اسبانيا
إن ود أن يملكها سأتخلى له عنها بمحض ارادتي ضد هؤلاء
الصوص الفرنجة

وسأعلمه كيف عليه ان يتعامل مع شارلمان
وبشهر واحد سيهزمه ويجعله يخر أمامه على ركبته
انهبنا من سرقة سطة ، واحملا له المفاتيح
ليأخذها ويمتلكها اذا تمسك بنصائحي
وأجاباه : مولانا ، كلماتك معقولة حقا
ثم قال مارسيل : امبراطور الفرنجة
قتل رجالي وعاث فسادا في أرضي
ودمر مدني ايضا ونهبها

ووصل الليلة الماضية الى ضفاف نهر ابرو
على بعد اقل من سبع مراحل ، أقام معسكره ، وفق ما اقدر
اطلبا من الأمير ليقدّم وقواته بأقصى سرعة ممكنة
بوساطتكما أكلفه بالزحف لاقتال (٢٧٦١ - ٢٧٨٩)
ووضع مفاتيح المدينة في ايديهما

ثم انحنى الرسولان احتراماً أمامه
وودعاه وركبا الطريق نحو معسكرهما عائدين
١٩٩ - وامتطى الرسولان فرسيهما
وانطلقا مغادرين للمدينة بأقصى سرعة ممكنة
ووصلا الى الأمير وهما على درجة كبيرة من الخوف

- ٤٢١٥ -

وقدما له مفاتيح سر قسطة
وقال باليغانت : مالديكما من أخبار لتحكيا ؟
أين الملك مارسيل ، الذي اليه ارسلتكما ؟
وأجاب كليرين : إنه مصاب بجرح مميت
بالأمس اتجه شارلمان نحو الممرات
وقصده العودة الى فرنسا
ووضع في ساقه جيشه قواتا ذبيلة
وخلفه هناك ابن اخته الكونت رولاند
وأولفر وجميع الأتراك الاثني عشر
وكان معهم عشرين الفا من الفرنسيين مسلحين
وعليهم انقض الملك الشجاع مارسيل
وعلى أرض المعركة تواجه مع الكونت رولاند
وهناك سد ضربة بدورندال
فقطعت يمين مارسيل وفصلتها عن جسده
وكذلك ابنه ، الذي أحبه كثيرا ، قد مات
وجميع البارونات الذين قادهم كلهم قتلوا
ولم يستطع تحمل ذلك ، فهرب من ساحة القتال
وطارده شارلمان لمسافات طويلة
ويرجو الملك الآن أن تجلب له المساعدة
واليك يتنازل عن مملكة اسبانيا
وبات الآن على باليغانت أن يفكر بنفسه
ولشدة غضبه وحزنه ، كاد أن يفقد رأسه
٢٠٠ - قال كليرين ثانية : سيدي الأمير (٢٧٩٠ - ٢٨١٨)
بالأمس وقعت معركة في رونسيفو
رولاند قد مات والكونت أولفر قد قتل
وكذلك الأتراك الاثني عشر الذين أحبهم شارلمان
عشرون الفا من الفرنسيين تمددوا موتى على أرض المعركة
بترت يمين مارسيل وعن جسده فصلت
وعلى الفور قام الامبراطور وهو حاذق بعملية مطارية
لم يبق ولا فارس في أرضه

- ٤٢١٦ -

إما قد قتل أو غرق بين أمواج الأبرو
ونصب الإمبراطور معسكره على ضفاف النهر هناك
إذا ما انطلقت الآن ، ستجدهم معسكرين قريباً من هذا المكان
أي أنهم سيجدون من الصعب عليهم الفرار
وفيما باليغانت يستمع أشرق وجهه بالفخار
وامتلأ قلبه سروراً وانشراحاً
وقفز من على عرشه وانتصب قائماً
وصاح رافعاً صوته : تعالوا أيها الأمراء دونما تأخير
وأخرجوا من السفن ، وامتطوا خيولكم ولننطلق مسرعين
حتى لا يتمكن شارلمان من النجاة فراراً
سينتقم الملك مارسيل هذا اليوم
وسأعطيه رأساً بدلاً عن الذراع
٢٠١ - وخرج المسلمون العرب من السفن
ومالبثوا أن امتطوا خيولهم وبغالهم
وركبوا الطريق مسرعين بأقصى ما أوتوه من قوة
ثم قام الأمير الذي حرك عواطفه الحربية
باستدعاء جماليتين خيرة بحارته
وخطبه قائلاً : أعهد اليك بقيادة جميع قواتي
ثم امتطى مهره ذي اللون البني
واتخذ حرساً لنفسه يرافقه أربعة من الأمراء
ونحو سرقسطة ارتحل قاصداً
وعلى دكة من الرخام المنحوت أقيمت هناك (٢٨١٩ - ٢٨٤٤)
وقف أربعة كونتات لامسك ركابه
وصعد السلم القائم تحت سطح القصر
والى هناك أقبلت براميموند مسرعة لاستقباله
وصرخت وهي تتلقاه : الويل لي من الأخبار المرعبة
مولاي يموت ، موت مشين في غير وقته
وارتمت أمامه ، فما كان منه إلا أن ساعدها على النهوض
وقدما إلى الحجرة بوضع كئيب

٢٠٢ - عندما رأى الملك الأمير يدخل
استدعى على الفور اثنين من مسلمي اسبانيا وقال :
أعيراني أذرعكما ، وارفعاني حتى أستطيع الجلوس
فأمسك بيده اليسرى أحد قفازيه
ثم قال مارسيل : سيدي الأمير مولاي الملك
انظر ، هذه البلاد كلها (أضعها بين يديك)
وسرقة سطة وجميع اقطاعاتها مقدمة لك
بالنسبة لذفسى ، أنا فقتت شعبي وأقربائي
ورد عليه قائلا : انني اشعر بالحزن العميق لهذا
على عدم الإقامة طويلا للتشاور
سيسافر شارلمان ، أنا اعرف ذلك ، انه سيرتحل
ومع هذا سأخذ قفازك وهداياك
واستدار وهو يبكي وقد امتلأ صدره بالحزن العميق
وهبط على السلم ومن ثم غادر القصر
وامتطى فرسه والتحق برجاله المتقدمين
وتجاوزهم جميعا وساق مسرعا
وتقدم وهو يصرخ بصوت مرتفع ومناسب :
أيها المسلمون تقدموا ، صدقوني الأعداء يهربون الآن
٢٠٣ - مع انبلاج الفجر ، عندما يظهر أول نور النهار
(٢٨٤٥ - ٢٨٦٩)

استيقظ الامبراطور شارلمان من نومه ظهرا
الملاك المكلف بحراسته ، القديس جبرائيل المرسل من قبل الرب
رفع يده ورسم عليه علامة الصليب
وكان الملك متجردا ، قد وضع سلاحه جانبا
ومثله كان الحشد بأكمله قد أرخى أعنة خيوله
وامتطى الجميع خيولهم وتقدموا مسرعين
خلال السهول الفسيحة وعلى طول الطرقات
لقد ذهبوا ليشاهدوا الخسائر الهائلة
في رونسيفو حيث نشبت المعركة

٢٠٤ - الى رونسيفو جاء شارلمان وتجول
ورأى الموتى ، وذفرت الدموع من عينيه
وخاطب الفرنسيين قائلا : أيها الاساة تحركوا بأناة
سامضي أنا أولا ، لوحدي ، بدون من يمشي الى جانبي
لأنني شيفشى علي عندما سأجد جسد ابن أختي
بعيدا في اكس ، كنت واقفا في أحد أيام الاعياد
ومن حولي وقف رجالي الشجعان
يتفاخرون بالمعارك وبحروبهم المريرة
قال رولاند شيئا أنا الآن أتذكره
أن عليه الذهاب الى أرض غريبة للموت هناك
وسيتمد خلفهم جميعا من مشاة او اتراب
وسيجعل وجهه منعظا باتجاه الاعداء
فقد سقطوا بالقتال ، وانتهى وكأنه منقصر
أمام البقية القيت عصاة أو على مقربة منهم
ومضى الامبراطور ثم تسلق الى قمة رابية
٢٠٥ - وفيما الملك ناهب للبحث عن ابن أخته
(٢٨٧٠ - ٢٨٩٥)

رأى ورودا كبيرة فوق المروج
حمرء بدم فرساننا
وشعر بالاسى وما كان بإمكانه الامتناع عن البكاء
ووصل الآن الى مكان تحت شجرتين
ورأى هناك أن الكونت رولاند قد ضرب على ثلاثة أحجار
وشاهد ابن أخته ممددا على عشب أخضر
وليس غريبا ان بكى شارلمان بشكل حاد
وترجل بسرعة والى هناك ركض على قدميه
وأمسك بيديه وجنتي البارون

وسقط فوقه مغشيا عليه فقد اعتصره الحزن
٢٠٦ - واسترد الامبراطور عيه ورفع رأسه
ثم تلاه الدوق نايمون والإكونت اسيلون

- ٤٢١٩ -

ومن بعدها غودفري دي انجو واخاه هنري
ونهب الملك ووقف امام جزع شجرة صنوبر
ونظر نحو الارض فرأى ابن اخته ميتا
وبنعومة كبيرة تفوه بهذا الرثاء:
ليظهر لك الرب الرحمة ياكونت رولاند ، يا صديقي
كنت فارسا عظيما ومثلك لن يرى ثانية
للقيام بالحروب الكبرى ونيل النصر ايضا
واسفي ، امجادي تغرق لتنتهي
وفقد الملك شارلمان وعيه وماعاد بإمكانه مساعدة نفسه
٢٠٧ - واستفاق الملك شارلمان وبدأ يسترد وعيه
وامسكه اربعة بارونات بين ايديهم ونهضوا به
جسمه جميل ، لكن جلده كله ابيض شاحب
وحرك عينيه اللتين طالهما الليل
وبصدق وحب ندبه شارلمان قائلا :
رولاند ، يا صديقي ، الرب قد رفع روحك
الى جنات الفردوس بين الورود النضرة
مولاك التعيس قد ارسلك الى اسبانيا لتموت
لن يعيد النهار الراحة الى عيني
بسرعة قصوى ذوى سروري وضعفت قواي
لن استطيع الاحتفاظ بشرفي. مشرقا
واعتقد انه لم يبق لي صديق واحد تحت السماء
لي اقرباء ، لكن مامن واحد منهم مثلك
ومزق شعره بكلتا يديه لشدة اساه
وشهق مائة الف من الفرنسيين حزنا
ومامن واحد منهم الا وبكى وعلا صوته بالنحيب
٢٠٨ - رولاند ، يا صديقي ، انا ذاهب الى فرنسا ثانية
وعندما سأكون في ليون في مملكتي
سيأتي كثيرون من ممالك وشعوب غريبة
يسألون : اين هو ، الكونت القائد العظيم ؟
وانا لا بد ان اخبرهم انه متمد ميت في اسبانيا

- ٤٢٢٠ -

وسأحكم طوال حياتي بالحزن
ولن اتوقف يوما من الايام عن الشكوى والالام
٢٠٩ - رولاند ، يا صديقي ، يا صاحب القلب الشجاع الطيب
عندما سأكون في اكس تحت سقف بيعتي
سيأتي كثيرون وسيسألون عن الاخبار
وعندها لابد من اخبرهم بالحقيقة الغريبة والثقيلة
ابن اختي ميت ، ذاك الذي اخضع لي جميع ممالك
ثم سيثور السكسون ضد حكمي (٢٩٢١ - ٢٩٤٨)
والهنغار والبلغار وكثير من الشعوب المعادية سيأتون
من روما وبالرمو وابوليا للنهب
وعصابات الافارقة ، فريق الكاليفرنين
وعندما ستتجدد اضطراباتي ومتاعبي
اين هي الطاقة التي تمكنني من قيادة عساكري
بعدما مات النين اعتاد دوما ان يمكننا من النجاح؟
واسفي عليك يا فرنسا الجميلة ، كم انت تعيسة
انا كئيب جدا ، وسأهلك انا ايضا
ومزق لحيته التي كانت بيضاء كالثلج
واقتلع من رأسه شعره الابيض من الجذور
ومائة الف من الفرانسيين فقدوا وعيهم مثله
٢١٠ - رولاند ، يا صديقي ليمنحك الرب رحمته
وليجعل مقر روحك في الفردوس المبارك
ان الذي قتلك دمر فرنسا ايضا
حزني عظيم جدا حتى انني أود لو كنت ميتا
اسفي على اهل بيتي النين قتلوا دفاعا عني
اجعل الان يارب يا من استلقيت على صدر ماري
قبل ان تتمكن قدماي من جواز ممر سيزر
تخرج روحي من جسدي
واجعلها بين ارواحهم ، ومكنها من السكنى معهم
واجعل جسدي تحت التراب الى جانب اجسادهم
وبكى لاساه ، وندف شعر لحيته الشهباء

وقال الدوق نايمون : شارلمان في وضع محزن للغاية
٢١١ - ثم تكلم غودفري دي انجو قائلاً : مولاي الامبراطور
ارجوك ان تهذا ، والا تحزن بمثل هذه المرارة
دعنا نفتش في ارض المعركة عن رجالنا وامرائنا
الذين قتلوا رجال اسبانيا اثناء المعركة
وان ندفنهم جميعا في قبر واحد
واجابه الملك : سأفعل ، اذهب واصدح في بوقة
٢١٢ - وجعل غودفري دي انجو بوقه ينهق
وبأمر من شارلمان ترجل الفرنسيون بلا تأخير
وعندما تم العثور على جثث جميع اصداقائهم
وضعواهم جميعا في حفرة كبيرة تحت الارض
وطاف الاساقفة ورعاة الالبيرة بين الدشود هناك
وكذلك القساوسة والرهبان ورجال الدين الذي حلقوا منتصف
روؤسهم

وباسم الرب حللواهم وصلبواهم
واحرقوا المر والبخور فتعالى الدخان كثيفا مثل السحاب
وطيبواهم جميعا بكل عناية وايديهم حولهم
ثم رفعوا جميعا بتشريف عظيم نحيب الدفن والعويل
وتركواهم هناك ، وماالذي بافكانهم ان يفعلوا اكثر؟
٢١٣ - واعد شارلمان رولاند لطقوس الدفن
والى جانبه الاسقف توربين واولفر
وجعل اجسادهم مكشوفة امامه
وغلف قلوبهم بقماش حريري ناعم
ووضعهم في تابوت من الرخام الابيض
ومالبثوا ان صنعوا الغطاء من جلد خاص
وذلك بعدما غسلواهم اولا بالسدر والخمر
ودعا الملك تيبولد وغيبون للوقوف الى جانبه
وكذلك المركيز اوڤون وكونت ميلون وقال لهم :
ضعوهم على ثلاث عربات وانتم ينبغي ان تكونوا قادتهم

- ٤٢٢٢ -

ومدوا على كل واحدة شقة من الثياب الغلاطية
٢١٤ - كلهم انطلقوا يريدون الوطن تحت لواء
شارلمان (٢٩٧٤ - ٢٩٩٨)
وفجأة جاء احد الطلائع المسلمين
كان قد ركب مسرعا امام السفراء
المكلفين بحمل اخبار التحدي من الامير :
لا تفكر ايها الملك التفاجر بالمغادرة سالما دون جراح
انتبه إن باليغانت مطاردا لك بشدة
جلب معه حشدا عظيما من العرب
والان سنرى فيما اذا كنت قوي القلب
ومرر الملك اصابعه فوق لحيته
وهو يتذكر خسائره والضربات المريرة
وبفخار القى نظرة على حشود فرنسا
ثم ارسل صوتا عاليا سمع عن قرب وبعد :
بارونات فرنسا ، الى خيولكم ، الى السلاح
٢١٥ - وكان الملك اول من حمل السلاح للنزول الى ساحة
الوغى

ارتدى بكل سرعة دروعه اللامعة
وشد بيضته على رأسه وتمنطق بسيفه الفولاذي
جويوس الذي يفوق شعاع نصله شعاع الشمس
وعلق على رقبته مجنه القوي الاصيل
وتناول رمحه ، وهزه من قناته
ثم امتطى حصانه الاصيل تزدندور وساق
وعند مخاضه ارسون او قبيلها ربح الدابة
والقى مالبالين صاحب زربونه من على مقعده
بعدها ارخى لفرسه العنان ساق ضده بشدة
وعدا يركض مسرعا ليرى جميع رجاله
داعيا الرب وذاك الذي يحمل المفاتيح .
٢١٦ - وترجل الفرنديون في السهل مباشرة

- ٤٢٢٣ -

ووضع مائة الف او اكثر على انفسهم دروعهم
وبالنسبة للتجهيزات توفر لديهم كل ما يتمناه القلب
خيول سريعة ورشيقة واسلحة اعدت بشكل جيد
وامتطوا خيولهم واظهروا تدبرهم ونظامهم
وعندما يحين الوقت سيقاتلون بكل شجاعة
وفوق رؤوسهم خفقت الاعلام زاهية
وعندما راي شارلمان كم هو رائع منظرهم
وهكذا التفت نحو الدوق نايمون وانتلمي الشجاع صاحب ميذس
وجوز راين صاحب بروفانزس وبادرهم بالقول :
بمثل هؤلاء الرجال يمكن للانسان ان يثق
ومن يشك بهؤلاء يعد احمقا
حسنا فعل هؤلاء العرب انهم جاءوا للانتقام
اظن انهم سيدفعون غاليا ثمنا لدوت رولاند
واجابه الدوق نايمون : ادعو الرب ان يمنحك ذلك
٢١٧ - واستدعى شارلمان رابل وغوينمانت
ثم خاطبهما الملك قائلا : امركما ايها السيدين الان
ان تاخذا مكان رولاند واولفر
وليأخذ احكما السيف والاخر البوق
واركبا وتقدما قائدني على رأس الجيش
مع خمسة عشر الفا من الفرنسيين وراءكما
من العزاب والشبان والاكثر شجاعة في البلاد
ثم سيشكل عددا مساويا الرتل الثاني
يتولى قياده غيدوين ومعه غوينمانت
والدوق نايمون والكونت جوزراين
مارشال الارتال تبعا لهذه الخطة
وسيكون هناك عملا كبيرا عندما سيقاتلون يدا بيد
٢١٨ - وتكون الرتلان الاول والثاني من الفرنسيين
والرتل الثالث ، الذي كونه بعدهما
تشكل كليا من الرجال البافاريين الشجعان
وكان قوامه عشرين الفا من الفرسان

- ٤٢٢٤ -

صفوفهم في المعركة لن تكسر ولن تلوى
عدهم شارلمان اعلى ما عنده تحت السماء
اللهم باستثناء فرنسييه النين ربوا لصالحه هذه الممالك
الواسعة

وكان اوغيرير الداني ، الكونت الطيب ، على راسهم
وكانوا عساكر عظيمة وكان هو مقاتلا مرعبا
٢١٩ - وامتلك الامبراطور شارلمان الان ثلاثة ارتال
ثم قام الدوق نايمون فشكل رتلا رابعا
وتم تشكيل هذا الرتل من لوردات شجعان جدا
كلهم المان ، وكلهم ولد في المانيا
وروي ان عددهم كان عشرين الفا او ما يقارب ذلك
وكانوا مجهزين بشكل جيد بالسلاح والخيول
هم لم ينكلوا أبدا مع أنهم قد يتعرضوا للفناء جميعا
وقادهم هيرمان دوق تريس الى الحرب
وكان هذا يؤثر الموت على التراجع او الذكول
٢٢٠ - الدوق نايمون والكونت جوزراين
اختارا الرجال لتشكيل الرتل الخامس من اراضي النورمان
وكانوا عشرين الفا حسبما احصاهم الفرنجة
معهم مايكفيهم من الخيول ومع كل رجل ما يحتاجه من عتاد
وكانوا يؤثرون الموت على ان يديروا ظهورهم للاعداء
ومن الصعب ان يوجد من يحاربهم تحت السماء
وكان رتشارد العجوز قائد صفوفهم
سيسدد ضربات طيبة بسنان رمحه الحاد المحمول بيده
٢٢١ - وكان في الرتل السادس رجال بريتاني
(٣٠٥٢ - ٣٠٧٤)

وكان تعدادهم الكامل ثلاثون الفا من الفرسان
وزحفوا الى الامام ، وساقوا امام الجميع مسرعين
حاملين رماحا ملونة عليها اعلام خفاقة
وتولى يودون القيادة على هذه الجماعة

- ٤٢٢٥ -

المركيز اوڤون وتيبولد لورد الرايمز
استدعاهما كونت نيفيلون وإليهما توجه بالخطاب
أرجوكمما قودا رجالي ، وتقبلا هذه الهبة مني
٢٢٢ - بات لدى الامبراطور ستة أرتال جاهزة

ومضى الدوق نايمون لتشكيل السابيع
ووقع اختياره على لوردات أوفرين وبواتو
وتجمع لديه أربعون ألفا من الفرسان أو نحو ذلك
وكلهم جيد التسليح وامتطوا خيولا طيبة
وعسكر بهم في بطن أحد الوبيان تحت إحدى الهضاب
وباركهم شارلمان جميعا بيمينه
وتولى قيادتهم غودسلم وجورزاين معا
٢٢٣ - وشكل نايمون بكل سرعة رتلا ثامنا

تكون من القلمنكيين وبارونات فريزيا
وكان بصحبته أربعين ألفا من الفرسان أو ربما أكثر
وكانت صفوفهم القتالية مرصوفة بدون خال
وقال شارلمان : أفضل من هؤلاء لايمكنني أن أتمنى
الشجاعة الصحيحة هي المتحكمة هؤلاء الجنود
٢٢٤ - ولم يتوقف الكونت جوزراين ونايمون عن العمل
بل شكلا الرتل التاسع من العساكر الشجاعة
من رجال اللورين ومن شعب برغنديا
وقدرت حشودهم بخمسين ألفا من الفرسان
خوذاتهم مشدودة وسوابغهم مربوطة
رماحهم قصيرة لكنها قوية بشكل فائق
إذا لم ينهزم العرب من صدمة المعركة
ما أن يندفع هؤلاء سيعطوهم كل ما يستحقونه
لقد قادهم ثيري دوق اراغون الطيب
٢٢٥ - ووقف في الرتل العاشر لوردات فرنسا واصطفوا
وكانوا مائة ألف من خيرة قادتنا
ووقفوا بكل فخر ، وكانت قاماتهم ممدودة تماما

- ٤٢٢٦ -

وكانت رؤوسهم علاها الشيب ولحاهم شهباء
ولبسوا السوابغ وضاعفوا الدروع
وتمنطقوا بالسيوف المصطنعة بجودة في فرنسا أو اسبانيا
وكان لبيهم ترسة رائعة مشرقة بشكل بديهي
وامتطوا خيولهم ومضوا بانتظام الى القتال
وصرخوا - جبل المسرة - وكان معهم شارلمان
وغودفري دي انجو الذي نصب الراية المقدسة
وكان اسمها « القديس بطرس » ثم دعيت « رومين »
لكن الى « جبل المسرة » غيرت فيما بعد اسمها
٢٢٦ - وترجل الامبراطور الان من على حصانه
(٣٠٩٦ - ٣١٢٤)

وجثا على ركبتيه فوق عشب اخضر وطأطأ رأسه
ثم رفع وجهه نحو الشمس المشرقة مباشرة
وتوجه بالدعاء الى الرب باحترام قلبي قائلا :
ابانا الحقيقي ، في هذا اليوم سادافع عن قضيتي
انت الذي مددت عودك الى يوذس
في جوف الدوت ، واخرجته سالما من هناك
وبعدما وفرت ملك نينوى
انقذت عبدك دانيال
من بين انياب الاسد الشجاع المفترس
ووقيت الاطفال الثلاثة وسط النار
مولاي اجعل هذا اليوم هبتي وعوني
واذا كان يرضيك ، امنحني ذاك قبل نهاية النهار
لانتقم تماما لابن اختي رولاند
ونهض بعدما أنهى صلاته ، ووقف منتصباً
ورسم علامة القوة على حاجبه وعلى صدره
وقفز الملك مرة جديدة إلى ظهر فرسه
وأمسك جوزراين ونايمون بركابه
وتناول ترسه ورمحه الحاد السنان أيضا

- ٤٢٢٧ -

كان جسمه متماسكا وقامته منصوبة
ووجهه فرنجي ، ونظراته واثقة
وانطلق نحو الامام متمكنا من ركابه
من المقدمة الى الساقة ارتفع الزئير وتصاعد
وتردد صوت البوق فوق رؤوس الجميع
وذكرى رولاند جعلت الدمع يتحدر من عيون كل الفرنسيين
٢٢٧ - ومضى الامبراطور شارلمان في طريقه بشكل مهيب
وترك لحيته تتطاير فوق درعه
وحبا به فعل الفرنسيون مثله الشيء نفسه
هكذا كان من الممكن تمييز هؤلاء المائة الف
وعبروا الجبال وعبروا المرتفعات الصخرية
وخلفوا الشعاب العميقة والواديان الضيقة خلفهم
وزحفوا مسرعين عبر الممرات والأراضي الجرداء
لقد زحفوا عبر الأراضي الاسبانية
وفي أحد السهول عبأوا صفوفهم للقتال
وفي الوقت ذاته عاد الكشافة الى باليغانت
وروى احدهم ، وكان سوريا ، ماراه كما يلي :
رأينا الملك شارلمان بكل عظمته
رجاله أشداء ، ليس للفرار في ذهنهم مكان
أحمل سلاحك الآن ، لذلك ستشتبك بالقتال
وقال باليغانت : تلك شجاعة ، أعلن هذه الاخبار
الى جميع المسلمين ، اذهب وازعق بالبوق عاليا
٢٢٨ - وقرعوا وسط الحشود طبول الحرب
وصوتت نفرهم ، وزعقت ابواقهم
واندفعت حشود المسلمين الى حمل السلاح
وتقدمها في ذلك الامير العظيم
وارتدى سابغة طلي مئزرها باللون العصفري
وشد بيضته المرصعة بالجواهر والمحلاة بالذهب
وتمنطق بسيفه على جانبه الايسر
وبفخاره العظيم اوجد اسما له :

ليتبارز مع شارلمان ، الذي سمع الرجال يتحدثون عنه
(انه حمل لقب « بريشيوس » فبهذا دعي السيف)
وكان هذا شعاره في الحرب عندما توشك المعركة على الوقوع
وحتى ينادي فرسانه بشعاره تعلموا ذلك
وعاق حول عنقه صدريته العريضة
وسطها مذهب وحوافها مرصعة بالجواهر
والحزام من حرير قوي مطرز بشكل انيق
وتداول الان بيده رمحه « مالتيت »
قناته سمكة مثل مطرقة ثقيلة
وكان وزن السنان يساوي حمل بغل او اكثر
وامتطى باليغانت ظهر حصانه
(مركول الذي جاء من وراء البحار امسك
بركابه) (٣١٥٦ - ٣١٨٣)
متين هو ، وواسع الكف
واسع الكفل ضيق الخصر رشيق
عريض الصدر ، جميل التكوين
كتفاه عريضان ، بشرته نقية وصافية
مظهره مظهر مقاتل ، شعره المجعد طويل
ابيض كوردة في صباح يوم صائف
برهن عن شجاعته مرات ومرات
لوانه كان مسيحيا ، ياالهي ماروعه من مقاتل
نخس مهره حتى تدفق منه الدم النقي
ومضى يعدو مبرعا فوق الهضاب والوديان
على بعد خمسين قدما تعالت هتافات المسلمين جميعا
للمحافظة على زحفه قائلين : لدينا قائد عظيم
الفرنجة الذين يحاولون ان يجاروه قوة بقوة
سيزحف او لن يزحف ضدهم جميعا
شارلمان احمق ، عليه الانسحاب
٢٢٩ - كانن منظر الامير ذاك اليوم جميلا
لحيته بيضاء مثل اية وربة متفتحة

- ٤٢٢٩ -

هو في الرأي مستقيم وحكيم
وفي المعركة ثابت لا يعرف الذكول
وابنه مالبرامز فارس جدير بالثناء
قوي البنية وطويل ومعتد من شعبه
واخبراباه قائلاً : مولايي ، دعنا نسير في سبيلنا
اذا مارأيت شارلمان سأثير اعجابك
وقال باليغانت : سذغل ، لانه شجاع
في كثير من تواريخ الاعمال ملا صفحة مشرفة
لكن ابن اخته رولاند ، فقد وقتل
لن تكون لديه القوة ليصمد امام هجومنا
٢٣٠ - قال باليغانت ، انتبه يامالبرامز ، ولدي الحكيم
(٣١٨٤ - ٣٢١١)

بالامس واجه الامير الكبير رولاند حذفه
مع اولفر صديقه النذيل الشجاع
والاثراب الاثني عشر الذين اثرهم شارلمان بمحبته
وعشرين الفا من المقاتلين الفرنسيين المنتخبين
انا اؤمن البقية مذلما اؤمن قفاز قديم
الامبراطور قادم للقائنا ومعه رجاله
فهذا ما اخبرنا به ربيثتنا السوري
مع قوة عظيمة ، شكلها في عشرة ارتال
وشجاع ذلك الذي يذفخ بالبوق امامهم
وبعث اليه رفيقه كليريون بجواب
هذان اللذان في الطليعة ، يقودان هذه الصفوف
وتوجب على خمسين الف من الفرنجة ان يكونوا مع
الذين يدعواهم شارلمان « ابنائه » وهم فرسان شباب اصحاء
ووراء هؤلاء مايساويهم عددا مرتين
سيقاتلون بشجاعة وبشكل جيد
وقال مالبرامز : اعطني الشرف اننذ
٢٣١ - اجاب باليغانت بطلاقة : ولدي مالبرامز
يسرور انا امنحك الذي سألتني اياه

- ٤٢٣٠ -

ستكون اول من سيقاقل الفرنسيين على ارض المعركة
وسيكون الملك الفارسي تورلو معك
ودا بمورت الملك اللوشي
اذا ما استطعت هزيمة هؤلاء الادعياء
سيكون جزاؤك منحك قطعة من ارضي
ممتنة من شيريانت حتى وادي مارشيز
واجاب مالبرامز : مولاي ، اقدم لك شكري
ثم تقدم نصوه وتسلم منه المنحة
الارض التي كانت وقتها ملكا للملك فلوري
والان ملكا له ، لن يرى ذلك الارض ثانية (٣٢١٢ - ٣٢٣٩)
لن يسهم في تلك الاقطاعية ولن يستثمر
٢٣٢ - ومضى الامير العظيم بزحفه وسط الحشود
وبعده ولده ، نبي البنية الجبارة
ثم الملك دابامورت وملك تورلو
ومالبثت قواتهم ان تشكلت في ثلاثين رتلا
وقام فرسانهم بعرض رائع
كاذوا على الاقل خمسين الفا من الذفوس
وتكون الرتل الاول من رجال من بوتنتروت
وبعدهم مايكونايس برؤوس ضخمة وشعور طويلة
متدلية على ظهورهم حتى عظام الحوض
تشبه الشعور الخشنة للتيسة
وكان قوام الرتل الثالث رجال من الذوبة وبولوس
والرابع من برونني وساحل سلافونيا
وتكون الخامس من الصرب والصقالبة
والسادس من المغاربة والارمن
وتشكل السابع من رجال من اريحا
والثامن من السودان والتاسع من شعب غروسان
والعاشر من رجال افوياء من باليدا
الذين هم عرق شرير مخادع
واقسم الامير الان قسما عظيم ما

- ٤٢٣١ -

بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ومعجزاته واثاره :
الملك شارلمان صاحب فرنسا مقبل على اقتراف خطأ عظيم)
ستكون هناك معركة مالم يهرب مسرعاً
لن يحمل رأسه بعد اليوم تاجه الذهبي
٢٣٣ - وبعد هذا ظهرت عشرة ارتال اخرى
في الاول رجال اشداء من كنعان
(خارج وادي الفواكه مر طريقهم عبر البلاد)
الثاني من الترك والثالث من الفرس (٣٢٤٠ - ٣٢٦٧)
والرابع من البشناق وعصابات البيرسك
والخامس من الافار ومعهم السوتيران
والسادس من الاوغل ومن الاورماليان
والرقل السابع كله من البلغار
والثامن من البروسان والتاسع من الكلافران
والعاشر من اقيانوسيا الجرداء
ابناء الصحارى ، العشيرة المتوحشة الكافرة
انت لن تسمع مطلقاً بمثل هؤلاء القساة
جلودهم على الاطراف والرأس اقصى من الفولاذ
وهكذا ازدروا دروع الفولاذ ولم يستخدموا الخوذ
وكانوا في المعركة على درجة عالية من الحدة والاندفاع
٢٣٤ - ومالبث ان امتلك الامير عشرة ارتال
في الاول عمالقة من مالبرايس
الثاني من الهون والثالث من الهنغار الاقوياء
في الرابع رجال من بالديسا الطويلة
في الخامس مقاتلين من وادي دولوروس
وتكون السادس من جماعات من ماروس
والسابع من ليش ورجال من استريمون
والثامن والتاسع من ارغولي وكلاربون
وشكل العاشر من طوال الحى من فروند
هذه شعوب لاتحب الرب
هكذا ذكر تاريخ الاعمال الفرنجي ثلاثين رتلا

- ٤٢٣٢ -

الحشود عظيمة وصوت البوق مرتفع
وتابعت صفوف المسلمين الزحف وهي تواقه للقتال
٢٣٥ - الامير العظيم جبار ومشهور
وحمل علمه المحلى بصورة التنين امام قواته
وراية تيرماغنتت ومهوند
وتمثال ابو لو القوي الشرير (٣٢٦٨ - ٣٢٩٥)
وقد تولى حراستهم عشرة من الكنعانيين
وطوال زحفهم اعلزوا بصوت مرتفع
من اراد نيل الحماية من اربابنا هؤلاء
عليه ان يسجد لهم ويتوجه بالدعاء الخالص
واطرق المسلمون رؤوسهم وحدقوا بالارض
والقوا بخونهم البراقة على الارض
وصرخ الفرنسيون : انتم ستموتون اليوم ايها الكلاب
ليحل الدمار بكم ولتحبط جميع اعمالكم
ابق يامولانا ، ايها الرب ، شارلمان سليما صحيحا
باسمه العظيم سنقاتل هذه المعركة
٢٣٦ - كان الامير رجلا عاقلا وحكيما
استدعى ابنه مع اثنين من الملوك وانفرد بهم قائلا :
ايها البارونات ، سادتي ، انطلقوا الى الامام زاحفين
اسندت اليكم قيادة ارتالي وارشادها
ماعدًا ثلاثة احتياط احتفظت بهم من رجال مجريين
الاول من الترك والثاني من فرسان الاورمالين
وبالنسبة لثالث من العمالة المالبريسيين
وانا نفسي سأقود قبيلة الاقيانوس
وسنتحارب مع شارلمان ومع الفرنسيين
اذا مارغب شارلمان ان يقارن قواه بقواي
سيجد رأسه قد قطع من جسده
هذا كله سحصل عليه مني وسيجده
٢٣٧ - الحشود عظيمة والشجاعة بدت على ارتالهم
لم يكن بين الفريقين لارابية ولا وادي

- ٤٢٣٣ -

في منبسط من الارض وقفوا وجها لوجه
وقال باليغانت : يامسلمي ، انهضوا وانطلقوا .
ازحفوا الى الامام لتتشبوا المعركة (٣٢٩٦ - ٣٣٢٦)
ورفع امبور اوف اوليفيرن الراية
وعلى بريشيوس دعا المسلمون بالاسم
وضرخ الفرنديون جميعا : ستعانون من خسائر عظيمة هذا
اليوم
وردوا بصوت مرتفع : « جبل المسرة ، جبل المسرة » ثانية
طلب الامبراطور شارلمان ان تصدح جميع ابواقه
وزعقت الابواق اعلى من اي يوم مضى
وضرخ المسلمون : لدى شارلمان صفوف جيدة
المعركة التي سذواجهها ستكون شديدة وعظيمة
٢٣٨ - السهل واسع ومترامي الاطراف
الخذ تشع وتلمع بالجواهر وبما حليت به من ذهب
والترسة البراقة والسوابع المطلية بالزعفران
الرماح المتلألئة التي تخفق من عليها الرايات
وزعقت الابواق باصوات عالية ونافذة
وكانت الاصوات التي صدرت عن الذفير واضحة ومؤثرة
وامر الامير كانابيوس بالاقتراب
كان هذا اخوه ، عرشه موشى وجميل
مد سلطانه الى وادي سيفري وامتك
امره ان يعرف مكان رتل شارلمان ويقتصده
انظر ، هناك يقف فخر فرنسا وشهرتها
وبينهم هناك يزحف الامبراطور بجراة
في الصفوف الاخيرة وسط هؤلاء الشيوخ ذوي الحى الطويلة
الذين تركوا لحاهم ترفرف فوق دروعهم
لحاهم التي هي بيضاء مثل الثلج المتساقط
بالحراب والرماح سيوجه هؤلاء الرجال ضربات طيبة
سذشذبك في قتال سيكون صعبا وقريبا
قتال لم يعرف مثله ابدا بعد

- ٤٢٣٤ -

وسيرمي الرجال بحرابهم بقدر ما اوتوا من قوة
ومضى الملك باليغانت امام شعبه
وخاطبه بكلمة واحدة قائلا :
ايها المسلمون اقبلوا ، انا منطلق نحو قتال الاعداء
وهز قناة رمحه الجيد واعدته (٣٣٢٧ - ٣٣٥١)
وضد شارلمان وجه سنانه ليطعنه
٢٣٩ - عندما رأى الملك شارلمان الامير
مع راية التتتين وسلاح كامل
رأى القوات العربية الهائلة بعدما بان
تملا الارض على قدر مد البصر
باستثناء المكان الذي وقفت فيه حشود شارلمان
ثم صرخ الملك الفرنسي بصوت صعب :
يا بارونات فرنسا ، انتم جميعا خيرة الاتباع
المعارك التي خضتم غمارها كثيرة
تطلعوا الى هؤلاء المسلمين جماعة من الجبناء والادنياء
اربابهم لاتعين ولا تساوي فلاسا واحدا
سادتي ، من يهتم ، مهما كانت اعدادهم كبيرة
ليذهب الى البيت من لا يود الزحف معي
ثم نخس بمهمازيه مهره بلطف
ومن ثم قفز من تحته تزنسندور اربع قفزات
وقال الفرنسيون جميعا ها هو الملك الحقيقي
نحن معك الى اخر رجل ، تقدم ايها المولى الجيد
٢٤٠ - اليوم منير ، والشمس مشرقة في السماء
الجيووش عظيمة وفرق القتال كثيرة
ووجهها لوجه وقفت الطلائع امام بعضها بعضا
واستعد الكونت غونيمانز والكونت رابل
ارخو اعنة خيولهم الطيبة السريعة
وانقضوا ، وهجم الفرنسيون جميعا
ومضوا ليطعنوا برماحهم الحادة والثقيلة
٢٤١ - الكونت رابل فارس شديد المراس (٣٣٥٢ - ٣٣٧٧)

- ٤٢٣٥ -

بتجافيفه المذهب شق طريقه بخفة
وزحف ضد تورلو الملك الفارسي
لا القرس ولا الدرع امكن لهما ان يصمدا لضربات
وانفذ الرمح المذهب من خلال جسده تماما
والقاء على ايكه صغيرة ميتا
وقال الفرندسيون : الرب الآن الى جانبنا
لن نتخلي عن شارلمان ، شارلمان على حق
٢٤٢ - انقض غونيمانز برمحه على ملك ليشيا
حطم القرس المزين بالورود من طرف الى طرف
ودمر السابفة وقطع عراها
وانفذ الرمح وما تعلق به خلال صدره
وضربه فاماته ، وليبكي من يبكي وليضحك من يضحك
وتعالت اصوات الفرندسيين لدى رؤيتهم لهذه الضربة البارعة :
وقالوا : ايها البارونات ، اخربوا ولا تقصروا
ضد هؤلاء الاشرار ، فلشارلمان الحق في قتالهم
الرب بحكمه العدل اودعهم هكنا بين ايدينا
٢٤٣ - جلس مالبرامز على حصان ابيض
بين الفرنجة يقاتلهم يدا بيد
يضرب بهذا الاتجاه ثم ينعطف فيسدد اشد الطعنات
رمى جثة فوق جثة وجعلهم اكوام
ثم صرخ امامهم باليغانت قائلا :
سائتي ، لسنوات طويلة حفظتكم واطعمتكم
وانظروا كيف يبحث ابني عن شارلمان
وكم من اللوردات قتل بسيفه
تابع احسن منه انا لا ارغب ان اجد
بـرماحكم النافذة امضوا وساعدوه في
القتال ٣٣٧٨ - ٣٤٠٤

وتفوه بهذه الكلمة على راس الحشود المسلحة
الهراع حاد ، والضربات المتبادلة شديدة

- ٤٢٣٦ -

وازداد الان القتال شدة وتعاضم العناء
بشكل لم يكن من قبل ، ولم يكن في اي وقت من الاوقات
٢٤٤ - الحشود عظيمة ، وفرقهم على درجة عالية من الشجاعة
الارتال جميعها الان على الطرفين مشتبكة .
قاتل المسلمون بشجاعة رائعة وحذق
يا الهي كم هي اقنية الرماح التي انقصت الى قسمين
كم ترس تحطم وكم سابغة اذشطرت الى اقسام
الارض تغطت بهم في كل مكان
العشب الاخضر الذي كنت تراه في السهل
كله تلتخ بالدم الاحمر وتلون
وصرخ الان الامير بال بيته بصوت مرتفع :
ايها الساسة اضربوا بشدة ضد العرق المسيحي
المعركة شديدة وتزداد قسوة
لم يكن مثلها من قبل معركة عظيمة
لن تكون هناك هدنة حتى ينهي الظلام النهار
٢٤٥ - وحرص الامير الان عساكره قائلا :
اضربوا ، ايها المسلمون اضربوا ، فهذا ما جئتم للقيام به هنا
ساعطيكم نساء ، نبيلات وشقراوات
واشرفكم وامنحكم اقطاعات من الارض
واجابه المسلمون : خدماتنا واجب علينا ندوك
ضرباتهم كانت شديدة ، الرماح تقصفت الى قسمين
مائة الف سيف ابرقت امام الابصار
المعركة قاسية ، مخيفة ، ومرعبة
ولقد تعلم معنى الحرب كل من قاتل فيها
٢٤٦ - وحرص الامبراطور الان جميع الفرنسيين :
ايها البارونات ، سادتي ، انا احبكم واثق بكم ايضا
كثيرة هي المعارك التي قاتلتم بها دفاعا عني
لقد اخضعتكم كذا من الملوك وقهرتم كذا من الممالك
اعرف تماما انني ملين لكم
بكل ما املك ، وبجسدي وبالاراضي والثروات

- ٤٢٣٧ -

انتقموا الان لاولادكم وورثتكم ولاخوانكم
الذين قاتلوا مؤخرا في رونسيفو وسقطوا
انتم تعلمون ، انني محق بقتالي الكفرة
واجابه الفرنسيون : سيدي ما قلته هو الصدق
وتجمهر حوله عشرون الف رجل
الذين تعهدوا بصوت واحد بايمانهم وبشرفهم
انهم لن يتخلوا عنه مهما عانوا او لولا قوا الموت
بالرمح والحربة ، لم يكن بينهم من لم يبذل غاية جهده
ثم امتشقوا السيوف فظهروا قوة اعظم
المعركة حادة ورائعة ومخيفة
٢٤٧ - وخرق مالبرامز الصفوف على ظهر حصانه
واحدث بين الفرنسيين مذبحه مريعه
وراه الدوق نايمون ، وكانت نظراته حادة ومتعالية
وبمنتهى الجراة شق طريقه نحوه ووافقه
وضرب الترس فشطره من نصفه
وخرق السابغة القرطبية المضاعفة
وانفذ من الصدر البيرق المربوط الى قناة الرمح
واطاح بـ ميتا وسط سبعمائة من الجثث
٢٤٨ - الملك كانابوس اخو الامير الكبير (٣٤٢٩ - ٣٤٥٤)
نخس بمهمازيه مهره وانطلق مسرعا
وامتشق سيفه الذي حده مثل الزجاج الصافي
وسدد ضربة نحو نايمون فجاءت على عرف خوذته
لذا تفتت نصفها من جراء الضربة وتقطعت عراها
وسرت الضربة خلال خمس طبقات من البطانة وقطعتها
ولم يصمد الدرع وتقطعت عراه
وتهاوى غطاء الدرع حتى الجلد بعدما تقطع
ولاقسوته سقطت قطعة كبيرة منه على الارض
وانهلت الضربة المرعبة الدوق واخافته
ولولا عناية الرب وعونه لانت عليه تماما
لكنه امسك برقبة فرسه وتعلق بها

- ٤٢٣٨ -

ولو اوتي المسلم الفرصة لتجديد الضربة
لكان البارون بين الاموات ولما استطاع النجاة
انتبهوا ، سارع شارلمان صاحب فرنسا لانقاذ المقاتل
٢٤٩ - كاد الدوق نايمون ان يموت من خوفه
وبسرعة رفع المسلم سيفه ليجهز عليه
وصاح شارلمان : ايها الشرير ، الاحسن الا تتورط
وبكل ما اوتيه من شجاعة انقض عليه
وسدد ضربة نحو القلب فخرق الترس وحطمه
ودمر السابغة شروعا من واقية الوجه
والقاء ميتا ، وترك السرج فارغا
٢٥٠ - واحزن الملك شارلمان كثيرا واقلقه
رؤية نايمون يصاب بالجراح امامه
وان يرى الدم يجري على العشب الاخضر
وخاطبه الامبراطور وقال له مباشرة :
نايمون ايها السيد الحكيم ، ابرأ الى
جانبي ٣٤٥٥ - ٣٤٨٠

السخ الذي اذاك لبعض الوقت بين الاموات
امررت رمحي به واطحت به الان
الدوق قائلا : انا مدان لك ، سيدي
انا ان انسى ذلك ما دمت حيا
ثم ركبا جنبا الى جنب في حب وثقة
مع عشرين الفا من الفرنسيين الطيبين حقا والمجزيين
من لم يتوقف اي منهم عن الضرب والطعن
٢٥١ - ومضى الامير الان يتجول في ارض المعركة
وساق ضد الكونت غوينماز بكل سرعة
وسدد ضربة ضد قلبه فحطم درعه الفضي
ودمر سابغته وقطع حلقاتها الفولانية
ومن طرف الى طرف شطره الى قسمين
والقاء ميتا ، من على ظهر مهره السريع

- ٢٣٩ -

رتشارد العجوز ، لورد نور ماندي
ولورانت وغيبوين ، لهؤلاء الثلاثة قتل
وصاح المسلمون : الشجاعة ثمينة حقا
اضربوا ، ايها الاساة اضربوا ، نحن على ثقة من الدفاع
٢٥٢ - كم هي عظيمة شجاعة الفرسان العرب في القتال
واصطف رجال الاوقيانوس ، وارغويل وباسكل
يطعنون ويضربون واعطوا رماحهم منتهى الحرية
ولم يحلم الفرنسيون ابدا بالتخاذل
واستمر القتال شديدا حتى حاول الظلام
وعانى لوردات الفرنجة من خسائر كبيرة
مع مزيد من المآسي قبل ان تربح المعركة
٢٥٣ - كل من الفرنسيين والعرب يقاتلون بشكل جيد
(٣٤٨١ - ٣٥٠٧)

كم من الرماح انقصف وكم من الحراب انشطر !
من راها رأى كم من الترسه قد تحطم الى قطع
وسمع الدروع البراقة تطحن وتمزق عراها
وسمع قرع الرماح على الخوذ
ورأى اولئك الفرسان وقد قذفوا خارج سروجهم
وعاشت الارض كلها مع الموت وبصراخ الموت امتلات
ولعل صور المعاناة ستظل في الذاكرة طويلا
هذه معركة من الصعب تحملها ، وقاسية
استغاث الامير الان باربابه -
مهوند ، وابولو وتيرماغانت قائلا :
ايها الارباب ، يا اربابي ، لقد خدمتكم من قبل بشكل جيد
والان ساصنع تماثيلكم من الذهب الصافي
اذا ما منحتموني النعمة وجعلتموني اربح ضد شارلمان
وفجأة ظهر صديقه المقرب غيما افين
وكانت الاخبار التي حملها حقا شريرة وقال :
سيدي باليغانت بالنسبة لك بدا النهار يعتل

- ٤٢٤٠ -

ابذك قضى ، لقد خسرت مالبرامز
واخوك كانابوس قتل ايضا
ولقد تولى فعل ذلك اثنان من الفرنسيين
الامبراطور نفسه ، واحد منهما كما اظن
هو قوي البنية ومظهره كما يبدو مظهر ملك
لحيته بيضاء مثل اي وردة من ورود الربيع
ثم غرق حاجبا الامير تحت بيضته
واسود وجهه وعلاه الشدوب
وبدا الامر وكأنه سيموت من حزنه فورا
واستدعى جنغلو الذي هو من وراء البحار إليه •
٢٥٤ - قال الامير : اقبل الى يا جنغلو ، وكن صريحا
انت شجاع ، ورجل حكيم جدا
واعتمادا على آرائه اعتدت منذ زمن طويل أن أعمل
كيف أثير بك ، العرب والفرنجة ؟
هل سننال النصر في ايدينا هذا اليوم ؟
واجابة : أنت ميت يا باليغانت
ولن يستطيع اربابك كلها انقاذك من سوء المصير
شارلمان مصمم وجذوده شجاعان
انا لم أر بعد رجالا مثلهم يقاتلون بجنان
لكن ادع لعونك سادة الاوقيانوس
واتراكك ، والعمالقة ، والعرب والافارقة
وليحدث ما سيحدث ، لا تتأخر ، بل قاتل
٢٥٥ - ترك الامير العظيم لحيته تتطاير أمامه
إنها بيضاء مثل اي وردة على شوكه
هو لن يبقى مختبئا بل عليه أن يهاجم
ووضع على فمه نفيرا أمسكه
ونفخ به بصوت مرتفع ، فسمع المسلمون النداء
فأقبلوا من كل جانب للهجوم
رجال الاوقيانوس يزمجرون ، وينبذون ويصرخون
وكان رجال أرغويل جميعا مثل الكلاب يذبذبون

وانقضوا على الفرنجة بكل شدة وغضب
مزقوا الصفوف وبعثروها
ونتيجة لهذه الضربة مات سبعة الاف مقاتل
٢٥٦ - لم يكن الكونت أوغير قط ضعيفا بالحركة
ما من تابع امتلك الصبر مثله في القتال
عندما رأى صفوف الفرنسيين قد تمزقت
دعا ثيري ، دوق أرغون
والكونت جوزارين وغودفري أوف آنجو
والى شارلمان نفسه كلمه هكذا ناقدا :
انظر كيف أثار المسلمون الفوضى بين قواتك
لينزع الرب التاج من على رأسك
إذا لم تنتقم لهذا العار حق الانتقام
ومامن واحد رد بكلمة واحدة على هذا اللوم
نخسوا خيولهم ، وأرخو أعنتها
وزحفوا ليضربوهم أينما أمكنهم ذلك
٢٥٧ - قاتل الملك شارلمان بشجاعة هذا اليوم
وشجاعا كان الدوق نايمون وشجاعا كان أوغير الداني
وكان شجاعا غودفري الذي حمل الراية
أشجعهم جميعا كان دان أوغير الداني
نخس حصانه وتركه يعدو بسرعة
وانقض على حامل راية التنين بقوة وغضب
ونكسه محطما ، وسقط أمبور بكل وزنه
وسقط التنين والراية جميعا على الأرض
ورأى باليفانت رايته مرميه
رأى راية مهوند توقفت فجأة
عندها بدأ الأمير يشعر بالخوف
الخطأ معه ، والصواب مع شارلمان
وترنج العرب المسلمون وسط المعركة
وصوت الامبراطور شارلمان يصرخ عاليا : النجدة ، النجدة
أن تساعدوني أيها الساسة ، باسم الرب

- ٤٢٤٢ -

ورد الفرنجة : لماذا تسأل ؟ أنت أسأت إلينا
اللعنة على الذي لا يضرب بشدة
٢٥٨ - النهار شارف على الانتهاء والشفق بدأ يقترب
(٣٥٦٠ - ٣٥٨٨)

مسلم وفرنجي يتجالدان الآن بالسيوف
أظهرا شجاعة وقوة
ولم يذس أحد منهما النداء يشعار حربه
من جانب الأمير تردد صوت « بريشيوس »
ومن جانب شارلمان « جبل المسرة » شعار قتاله تردد
لقد تعرفا على بعضهما بعضا بوساطة هذه الاصوات العالية
والواضحة

وكل منهما في ساحة الوغى نشد عدوه فوجده
تقابلا ، هجما ، وتبادلا ضربات شديدة
على حلقات الدروع قرعت أسنة الرماح بقوة
وخرقت الترسه وحطمتها
وحولت السوابغ والدروع الى قطع متطايرة
لكن جسديهما لم يلمسا وظلا بسلام
قطعت الأحزمة ، ومال السرجان
فوقعا على الأرض ، وبات الملكان جالسان
لكن ما لبث كل منهما أن هب واقفا على قدميه
شجاعتهم عظيمة ، وعلى الفور كان سيفاهما مشهوران
ما من شيء يمكنه أن يوقف هذه المبارزة الآن
لن تتوقف حتى يسقط أحدهما على الأرض ميتا
٢٥٩ - شارلمان ملك فرنسا الجميلة رجل عظيم وقوي
ولم يعرف الأمير الخوف ولم يفكر بالفرار
وأشهره الآن سيفيهما المجريين عاليا
وتبادلا على المجنين ضربات قاسية من كلا الجانبين
فقطعا الخشب والجلد المكون من طبقتين
وتقطعت عرى السابغة ووقعت السابغة

- ٤٢٤٣ -

وبلا دروع تقاتلا الآن صدرا لصدرا
وتطايير الشرر من جراء الضربات على الخوذتين
ما من شيء يمكنه أن ينهي صراعهما
حتى يعترف أحدهما أنه مخطيء والآخر على صواب
٢٦٠ - قال الأمير فـكريا شارلمان وأنظر في
(٣٥٨٩ - ٣٦١٤)

أن تعتذر إلي من كل ما اقترفه بحقي
لقد ذبح ابني وأعرف أن ذلك تم من قبلك
واقترفت الآثام على أراضي التي أخذتها
كن واحدا من رجالي وسأكون مولاك
ثم تعال واعمل في خدمتي من هنا الى الشرق
وقال شارلمان : لا أنا اعد ذلك خيانة
لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام
أمن أنت بما أوحاه الرب
اعتنق المسيحية وعندها سأكون صديقك الاول
الملك القدير وقتها سيرعاك وايمانك
وقال باليغانت : طقوسك ما هي الا دعوة مريضة
ومجندا حارب أحدهما الآخر بالسيف
٢٦١ - الأمير العظيم مليء بالقوة والبراعة
سد على بيضة شارلمان ضربة هائلة
حتى أن الفولان على الرأس انحنى وتحطم
ومضى حد الحسام الى الشعر ثم جلدة الرأس
وقطع الجلد مقدار عرض كف كامل
حتى أن العظم ظهر عاريا تحت الجلد
وترنح الملك شارلمان وفي تلك اللحظة هبط الليل
وارادة الرب كانت ضد أن يهزم أو يقتل
وجاء القديس جبرائيل هابطا مسرعا نحوه
وقال : وماذا ، ألسنت هاهنا ، أيها الملك العظيم ؟
٢٦٢ - عندما سمع ما قاله الملك المبارك

- ٤٢٤٤ -

لم يعد يخشى الموت ، وتحرر من خوفه
وعادت قواه ، وعاد الى نفسه ثانية
وانطلق نحو الامير شاهرا سيفه الفرنسي (٣٦١٥ - ٣٦٣٣)
وشطر البيضة ذات الجواهر اللامعة
وحطم الراس ودفع الدماغ الى الخارج
ومضى السيف قاطعا حتى لحيته من خلال الوجه
وكانت ضربة مميتة اتبعها فإطاح به أرضا مقتولا
وعلى الفور ومباشرة نادى بشعار حربه « جبل المسرة »
وهنا جاء الدوق نايمون ، يقود من عنانه
تدسندور الجيد ، حيث امتطاه شارلمان
هرب المسلمون ، الرب لن يستطيع ايقافهم
الجميع عمل ، الجميع ربح ، لقد ربح الفرنسيون اليوم
٢٦٣ - المسلمون فروا ، لأن الرب أراد ذلك
وطاردهم الفرنجة بشدة ومعهم الامبراطور
وعندها قال الملك : سادتي خذوا ثاراتكم
ابذلوا قصارى جهدكم ، ارفعوا معذوباتكم وشجاعتكم
لأنني هذا الصباح بالذات ، شاهدت عيونكم تبكي
وقال الفرنجة ، مولاي ، بالفعل هذا ما كان
وسددوا بكل ما أتوه من قوة ضربات هائلة
قلة ممن كانوا هناك سينجحون
٢٦٤ - اشتدت حرارة القتال ، وتصاعد الغبار الى ما يشبه
السحاب

وهرب المسلمون ، وساق الفرنسيون خلفهم بشكل حثيث
واستمرت المطاردة حتى مدينة سرقسطة
وصعدت الملكة براميموند الى أعلى برجها
ووقفت الى جانبها كاتبها وقاضي
ذلك الايمان المزيف الذي لم يسمح به الرب
ورجال دين الكنيسة غير منتمين ولانصاف رؤوسهم غير حاليين
ورأت العرب مهزومين مطاردين

وزعقت بصوت متحشرج مرتفع :العون يا مهوند
أه أيها الملك النبيل ، رجالنا هزموا
الأمير الكبير قد قتل ، يالها من ساعة عار
وما أن سمع مارسيلون هذا حتى استدار (٣٦٣٤ - ٣٦٧٠)
بوجهه نحو الجدار ، وبكى ، ثم أطبق جفنيه
ومات حزنا ، ضربه الرعب فأتى عليه
وتخلى عن روحه الى قوات الجحيم
٢٦٥ - المسلمون جميعا قتلوا أو يفرون رعبا
وانتهت حرب شارلمان بشكل رائع
دمر باب سرقسطة حتى الأرض
وبات متيقنا أنها لن يمكنها الدفاع
استولى على المدينة وبخلها مع جيوشه
وناموا تلك الليلة هناك منتصرين متملكين
ومضى متفاخرا ، الامبراطور صاحب اللحية الفضية
وسلمت الملكة براميموند جميع أبراجها
أبراجها العشرة الطوال ، والخمسين الأقل طولا
التوفيق حالف ذلك الرجل ، الذي الرب أعانه
٢٦٦ - وانتهى النهار ، واقترب الظلام مبشرا بالليل
القمر مشرق ، والنجوم تلمع مضيئة
غدت سرقسطة كلها في قبضة الامبراطور
يضعه الآف من الفرنسيين يفتشون المدينة وبعضهم يتجسس
وأخذوا يدمرون الكدس والمساجد ومعابد الكفار
بالمطارق الثقيلة والمطارق المعدنية
ودمروها كليا وأزالوا بقاياها
لأن شارلمان يخشى الرب وسيظل يناضل في خدمته
ثم طهر الاساقفة الماء
والى جرن المعمودية ساقوا جموع المسلمين
وأي انسان سيرفض ما أمر به شارلمان
سيشنق سيذبح ، أو سيحرق بالنار
وهكذا جرى تعميدها ألف أو أكثر (٣٦٧١ - ٣٧٠١)

- ٤٢٤٦ -

وتمسحوا ، وفقط الملكة توجب معاملتها بشكل مختلف
كانت ستذهب أسيرة الى فرنسا رويدا رويدا
وسيتولى الملك تحويلها ، حبا بالرب
٢٦٧ - ومضت الليلة ، وأشرق صباح النهار منيرا
وعلى الفور شحن شارلمان الابراج بالرجال
فقد عين ألفا من أجود الفرسان
ليحفظوا المدينة سالمة لصالحه
ثم امتطى الملك والجيش خيولهم ثانية
مع برايموند أسيرة تسير في ركابهم
ولم يستهدف شارلمان سوى سلامتها وابقائها حية
بسرور وشعور بالنصر ركبوا الطريق نحو الوطن
واقترحوا نربونة ، ثم غادروها عابرين
ووصلوا بورردو ، المدينة ذات الشهرة العالية
هناك على مذبح القديس سفرين
تركوا البوق مملوءا بالذهب الصافي
(حتى يراه الحجاج عندما يزورون المكان)
وعبروا غيرونند ، حيث وجدوا الكثير من السفن الجيدة بالانتظار
وهكذا أحضر الملك ابن اخته وأرسله الى بلاني
مع مرافقه ، الكونت أولفر العظيم
ورئيس الاساقفة الذي كان حكيما وشجاعا
ومندهم جميعا ، أعنى هؤلاء النبلاء ، في قبور بيضاء
هناك تممدوا ومازالوا ، اللوردات الجيدين ، في القديس رومين
وأودعهم الفرنسيون للرب ، لقوته ولاسمه
وتابع شارلمان سفره صاعدا الجبال وهابطا الاودية
ولم يتوقف حتى وصل الى أكس
وأخيرا ترجل أمام بوابات القصر
وبعدما جلس في قاعة العرش العالية
أمر باستدعاء القضاة ، وأرسل رسائل مستعجلة الى :
السكسون والبافاريين والفريزيين واللوريين
واستدعى ايضا البيرغنديين ورجال ألمانيا

وذورماندي وبواتو وبريتين (٣٧٠٢ - ٣٧٢٩)
ورجال فرنسا ، وهم أعلاهم علما وحكمة
لا بد من اعداد غائلون للاستجواب
٢٦٨ - وانطلق الامبراطور شارلمان من اسبانيا يؤم بلاده
ووصل الى أكس ، أفضل قلعة فرنسية
وصعد سلم قصره وبخل الى القاعة
وجاء لمقابلته هناك أودي ، الفتاة الجميلة
وسألت الملك : أين القائد المرعب
وقالت : أين رولاند الذي وعدني بالزواج
وعندها امتلا قلب شارلمان بالأحزان
وقاضت الدموع من عينيه ، واهتزت لحيته البيضاء كالثلج وهو
يقول :

أختي ، أيها السيدة الحلوة ، سألتيني عن ميت
مع هذا سأعطيك بدلا عنه رجلا أكثر نبلا
أعني لويس ، ماذا يمكنني أن أفعل خيرا من ذلك ؟
هو ابني ، وهو الوريث لجميع ممالك
قالت أودي : بالنسبة لي هذه الكلمات بلا معنى
الرب وقديسيه وملائكته يحرمون الآن
أن أعيش بعدما أفنى رولاند حياته
وسقطت عند قدمي شارلمان ، بعدما اختفى لونها
وماتت مباشرة ، وأعطى الرب الراحة لروحها
وبكاها السادة الفرنسيون بألم وندبوا
٢٦٩ - ووضعت أدا الجميلة حدا لحياتها
ظن الملك أنها فقدت وعيها فقط
أسف لها ، وتساقطت دموعه من عينيه
أمسكها من يدها وأراد انهاضها
لكن رأسها مال على كتفها
وعندما رأى شارلمان أنها ماتت حقيقة
استدعى أربع كونتيسات للوقوف بجانبها

وحملت الى دير للراهبات لتدفن (٣٧٣٠ - ٣٧٥٤)
ومكثوا الى جانبها طوال الليل وحتى بلوج النهار
ثم دفنت الى جانب مذبح بطقوس حزينة
واهتم بها شارلمان وشرفها بقدر ما أمكنه
٢٧٠ - عاد الامبراطور شارلمان الآن الى اكس
غانلون الزائف الآن بالأغلال
وقف وسط المدينة أمام القصر
وربطه الغلام الى عامود
بأحزمة من جلد الغزال ربطوا يديه
بعضي صغيرة وكبيرة وجهوا اليه العديد من الضربات
لم يستحق جزاء غير هذا
وانتظر المحاكمة بألم ، وبشعور بالعذاب
٢٧١ - في تواريخ الأعمال القديمة كتب هذا كله ليقرأ
كيف جمع شارلمان أتباعه من جميع أقطاعاته
 واجتمعوا الآن في مدينة اكس لاشابل
كان يوما رفيعا ، وعيدا عظيم التقديس
عيد القديس ، وعيدا عظيم التقديس
عيد القديس سلفستر كما يراه كثير من الناس
الآن نبدا المحاكمة والاستئناف
لغانلون الذي قام بأعمال خيانية
وأمرهم الامبراطور أن يجروه الى أمام عرشه
٢٧٢ - ثم قال الملك شارلمان : أيها البارونات ، سادتي
احكموا اليوم بيني وبين غانلون
لقد ذهب معي ومع حشدي الى اسبانيا
وسبب مقتل عشرين ألفا من فرنسيي
وابن أختي الذي لن تروه ثانية
وأولفر ذلك اللورد الايب الشجاع (٢٧٥٥ - ٢٧٨٢)
وجميع الأتراك الاثني عشر ، في سبيل المال خانهم
قال غانلون : أنا أنكر ، ولا أعترف بهذا الشيء
أخطأ رولاند بحقي بالمال والاملاك

لذا تأمرت على موته وشقائه
لكنني انكر التآمر ضد الدولة
ورد الفرنجة : هذا يستدعي كثيرا من النقاش
٢٧٣ - انتصب أمام الملك الكونت غانلون
بجسم رشيق ، ولون نقي
وبدا سيدا جيدا ، أو لم يكن هذا زيفا
ونظر الى الفرزي وتفحص قضاياه جميعا
ومؤيديه وكانوا ثلاثين من شعبه
ثم صرخ عاليا بصوت واضح وقوي
سادتي ، اسمعوني الآن ، من أجل محبة الرب
أيها السادة ، في الحقيقة ذهبت مع الجيش
وبصدق وحب أنا خدمت الامبراطور طويلا
ابن أخته رولاند كرهني وأساء بحقي
وتأمر على موتي بشكل مريع
جعلت سفيرا الى الملك مارسليون
لكنني استخدمت براعتي ، وهكذا خرجت سالما
وتحيت رولاند ، ذلك المقاتل الشهير
وأولفر وجميع مرافقيهما
وسمعت شارلمان وباروناته وفهموني
لقد انتقمتم ، لكنني لم أكن
ورد الفرنجة : علينا أن نتناقش بعد هذا
٢٧٤ - عندما رأى غانلون محاكمته بدأت هكذا
كان حوله ثلاثون من أقربائه
وكان بينهم واحدا أعطوه زمام القيادة
اسمه بينابل وقلعته سورينس (٣٧٨٣ - ٣٨١٠)
وكان متحدثا بارعا ، وسريع الفهم
وفي حمل السلاح كان قويا وبارعا
قال غانلون : انتبه الي حتى لاأهان أو أقتل
أنا اعتمد عليك يا صديقي حتى تخرجني من هذا
قال بينابل : سأخرجك نعم سأفعل

- ٤٢٥٠ -

إذا ماحكم عليك أي فردسي بالشنق
يجب على شارلمان أن يضعنا بالقائمة وجها لوجه
وبسيفي البتار ، سأنهي حياته
وانحنى غانلون ليقبل قدميه
٢٧٥ - وانسحب الاسكسون والباغاريون للتشاور
مع النين من فردسا وبواتو ونورماندي
وكثير من التيوتون ورجال المانيا
استخدم النين من أوفرين منتهى الكياسة
ولخوفهم من بينابل تكلموا بنعومة
وقالوا : بالنسبة لهذه المحاكمة الافضل أن
نتخلنى عنها ونقدم الى الملك رجاء
لهذه المرة يجب أن يترك غانلون حرا
وبعدها سوف يخدمه بصدق واخلص
رولاند ميت - لن يرى ثانية -
لايمكن لأحد اعادته بالمال أو بالايجار
بينابل قاتل ؟ من كان متعجلا ؟ لست أنا
وواحد واحد فقط رفض الموافقة انه
أخي اللورد غودفري ، الذي اسمه ثيرى
٢٧٦ - وعاد هؤلاء اللوردات الى شارلمان ثانية
وقالوا للملك : بتواضع يرجوك رجال محكمتك
ان تعفو عن الكونت غانلون لما اقترفه من آثام
وسيخدمك من الآن فصاعدا بصدق وحب
نرجسوك دعه حيا ، هـ وأصـيـل مـنـ حـيـث
المولد (٣٨١٠ - ٣٨٣٧)

موته لايمكن أن يعيد أبدا اللورد الشجاع
ولايمكن أيضا إعادة الميت بالمال
ورد الملك : خونه مزيفون أنتم جميعا
٢٧٧ - عندما وجد شارلمان أنهم جميعا خذلوه وتخلوا عنه
أربد وجهه واسود وأثقل جسمه

بالأسي لرؤيته جبناء بهذه الدناءة
وعندها انبعث الفارس ثيري وتحرك
وكان أخا لغودفري دوق انجو ، بالميلاد الصحيح
جسمه رشيق وأطرافه مرنة وحساسة
بشرته داكنة وشعره اسود متجدد
لم يكن طويلا جدا ولا يمكن أن تعده قصيرا
وتوجه الى الامبراطور يتكلم بلياقة قائلا :
سيدي الحكيم ومليكي لاتدع هذه الاحزان تزعجك
أنت تعرف تماما كيف خدمتك باخلاص
هذا الخصام خصامي بحق العرق والطبيعة
ومع أن رولاند اساء بعض الشيء بحق غانلون
ضباطك مقدسون بأشخاصهم
وأن تتخلى عنه كان خيانة وقتل
بالنسبة لك سيدي غانلون كان مزيفا ومخادعا
أنا أحكم عليه بالموت شنقا ، زد على هذا :
الامر (بسحل جسده بخسة على مدفة)
بما يتوافق مع مثل هذه الخيانة الممجوجة
واذا مارفض أحد من أقربائه هذا الحكم
عندها ، بالسيف المعلق هنا حول وسطي
في أي لحظة أنا جاهز لمواجهة
وصاح الفرنجة جميعا : صحيح ماقلته بالتأكيد
٢٧٨ - ووقف الآن بينابل أمام الملك
وكان قويا وذشيطة وكبيراً جدا وقاسيا
وعلى طرف أراضيه رمال الحياة تجري
وقال لشارلمان : هل هذا بلاطك ، ياسيدي عجبا ؟
أخبر هؤلاء الناس ليوقفوا الضجة بالحال
أنا أرى هنا ثيري ، الذي جالس ليحكم
أنه يكذب ، أنا سأقاتله ، وسأنتزع حلقومه وأقطع رقبتة
وأعطي الملك قفاز يده اليمنى المصنع من جلد الغزال
قال الملك : قدم لي مايكفي من الرهائن الجيدة

- ٤٢٥٢ -

وتعهد الاقرباء الثلاثون بالعهد والايمان
وقال الامبراطور : أنا سأخذ عهد الآخرين
وأمر بحراستهم حتى تأخذ العدالة مجراها
٢٧٩ - عندما رأى ثيري أن مبارزة التحدي ستقوم
ناول شارلمان قفاز يده اليمنى كميثاق
وقبل الامبراطور التعهد وأعطاه بدوره ميثاقه
ثم أمرهم بجلب أربعة قضاة الى المكان
وجلس المتبارزان هناك وانتظرا
كل واحد اعتقد ان هذه المبارزة ستعد
ووضعت الاجراءات من قبل اللورد أوغير الداني
ونفذ هذا ، وتم اعداد الخيول والسلاح فورا
٢٨٠ - عندما استعدا للمبارزة وتسلحا (٣٨٥٨ - ٣٨٨٢)
قاما بالاعتراف ، وتحللا وصلبا
واستمعا الى القداس وتناولوا القربان من خبز المسيح
وقدما ولاءهما للكنيسة مع مزيد من الاحترام
ثم عادا الى شارلمان جنبا الى جنب
وربطا على عقبيهما المهاميز باحكام
ووضعا درعيهما ، وكانا جيدين مناسيين ولونهما ابيض
وشدا فوق رأسيهما بيضتيهما اللامعتين
وعلقا سيفيهما بمقابضهما الذهبية الرائعة
ووضعا حول عنقيهما واقيتان لامعتان
وأمسكا بيمينيهما رمحيهما الحادي السنان
وبرشاقة امتليا فرسيهما
بكى الرجال لما رأوهما ، وكانوا مائة ألف فارس بالتمام
الذين حزنوا على رولاند شعروا بالخشية على ثيري
الرب وحده يعرف كيف سينتهي هذا القتال
٢٨١ - على مقربة من سور اكس امتد سهل فسيح
هناك وقف المتبارزان وجها لوجه
كلاهما نبيل صحيح ، وشجاع عالي المقام
وامتليا فرسين نشيطين ، يعدوان بشكل جيد

بالنسبة لغايلون هذه العدالة ستقذف

وحتى نهاية الزمان ستظل حكايتها تروى
وأجابه بينايل : أقول : أيها الرب امنع ذلك
سأدافع عن شرف قومي
مامن اذسان على قيد الحياة سيراني متراجعا
أنا أفضّل الموت على أن ألعن العــــــــــــــــــــــــــــــــار
بنفسى (٣٩٠٩ - ٣٩٣٣)

ثم أخذاً يتقارعان بسيفيهما من جديد
على بيضتيهما المحلاتان بالذهب والجواهر اللامعة
وتطاير الشرر حتى غنان السماء بشكل محرق
لن يذفصلا ، وحنقهما مامن واحد يمكنه إيقافه
ولا يمكن إيقاف هذه المبارزة حتى يموت أحدهما
٢٨٥ - بينابل قوي : هو فارس سورنوس الشجاع
على بيضة ثيري المصنعة من فولاذ بروفانس ضرب
منها تطاير الشرر وأوقد النيران في العشب
ثم برأس سيفه نحو وجهه ثيري سد
وعلى جبينه وجه ضربة ماحقة
حتى أن السيف حز منه قطعة
تاركا الدم يسيل على وجنتيه
وجرى الدم على الدرع من الأمام والخلف
مكن بعون الرب ، تلك الضربة كلفت حياته
٢٨٦ - عندما رأى ثيري الضربة نفذت خلال الجسد
ورأى الدم الأحمر يجري فوق العشب
عندها وجه ضربة نحو بينابل
اشطر البيضة الفولانية البراقة من عند عرقها
نفذت ضربته الى الدماغ وألقت به خارج الرأس
سحب سيفه ثم أقام ميتا
تلك الضربة العظيمة ربح وصنع النهاية
صاح الفرندسيون : الرب أظهر قدرته

- ٤٢٥٥ -

وطلبت العدالة إعداد الحبل لرقبة غانلون
ولرقاب اقربائه الذين رهنوا أنفسهم
٢٨٧ - انتهت الآن معركة ثيري بالنصر (٣٩٣٤ - ٣٩٥٩)
ومباشرة جاء الامبراطور شارلمان اليه
وكان يسير بين يديه أربعة من باروناته :
الدوق نايمون الجيد واللورد أوغيير الدانماركي
ووليم أوف بلاي وغودفري الانجيفيني
واحتضن الملك ثيري بذراعيه
وبفرائه الثمين نظف وجهه
ثم نزع عنه ثيابه وتولى الآخرون الباسه
ثم انتزعوا سلاح البطل بكل لطف
ومن ثم وضعوه على برذون عربي
وهكذا عادوا بسرور وحبور
وبخلوا الى أكس ، وفي الساحة الكبرى ترحلوا
وأعدوا العدة لتنفيذ حكم الاعدام بالآخرين
٢٨٨ - وجمع شارلمان الآن كل كونتاته ودوقاته وقال :
كيف تريدونني أن أعالج مسألة هؤلاء الرهائن ؟
جاءوا لمساندة غانلون في هذه القضية
ورهنوا أنفسهم لصالح فوز بينابل
ورد الفرنجة : لا توفر أحدا ، الموت هو ما يستحقونه
وعندها أمر ضابطا اسمه باسبورت قاتلا :
انهب واشنقهم على شجرة العدالة
بلحيتي هذه التي لونها لون الفضة
إذا نجا واحد منهم من الموت ، فوا أسفي عليك
ورد الرجل : وماذا تريدني أن أفعل أيضا
وتولى مائة من السيرجنتيه سحب الطاقم كله
وكل واحد من الثلاثين علق بانشوصة
الخيانة تدمر نفسها وتدمر الآخرين أيضا
٢٨٩ - الآن البافاريون ورجال المانيا
ورجال بريتاني ، وبواتو ونورماندي

وقبل كل شيء رجال فرنسا ، كلهم وافقوا
وقرروا أن يكون موت غانلون بالتعذيب
ولهذه الغاية أمروا بأربعة من الخيول
وربطوه اليهم من يديه وقدميه
وكادوا أربعة من الخيول الشديدة والمتفوقة السرعة
وقادهم أربعة سيرجنتيه وحرضوهم على السرعة القصوى
نحو مهرة تركوها تعدو في الحلبة
وكان عذاب غانلون مخيفا ومتطرفا
لأن كل عروقه تقطعت من رأسه الى عقبه
وكل طرف منه اقتلع من مكانه تماما
وجرى دمه براقا على العشب الأخضر
مات غانلون وتم افناء جميع ذريته
٢٩٠ - استوفى الامبراطور الآن بينه وانتقم
ثم استدعى اساقفته الفرزسيين لعونه
اساقفة بافاريا والاساقفة الالمان وقال :
عندي مقيم هنا سيدة نبيلة اسيرة
اقيموا لها قداسا وقصوا عليها مواعظكم
لتؤمن بالرب وتتبنى المسيحية
ومن ثم عمدوها لعل روحها تصان
قالوا : وندعها بعد ذلك بعهدة أم الرب
(ايتها السيدة الاصليلة المولد ، تناولي تعاليم الايمان)
كان الجمع عظيما حول الحمامات في اكس
هناك عمدوا براميموند ، ملكة اسبانيا
واختاروا لها اسم جوليانا (٣٩٨٦ - ٤٠٠٢)
مسيحية هي ، سارت على الطريق القويم
٢٩١ - انتهى الامبراطور الآن أعمال المحاكمة
ومع تنفيذ العدالة ، انطفا غضبه العظيم
وبراميموند جلبت الى حظيرة المسيح
ومضى النهار وتحول المساء الى ليل
أوى الملك الى فراشه في الحجرة المقببة العالية

- ٤٢٥٧ -

القنيس جبرائيل رسول الرب جاء اليه وقال :
انهض شارلمان واحشد جميع قواك الامبراطورية
وبالقوة والسلاح ازحف ضد البيرا
الحاجة قائمة لأن تتولى انقاذ الملك فيفرين
المقيم في مدينته ايمفي ، فهو محاصر من القبائل المسلمة
هناك يستغيث بالمسيحيين وينشد عونك
قلب شارلمان صغير حتى يتحمل أعباء السفر والقتال
وقال الملك : ياإلهي كم هي حياتي متعبة
وبكى ثم ربط لحيته البيضاء المتطايرة
هنا نهاية سجل الأعمال التي سيتلوها تورولدس

ملحمة رتشارد قلب الأسد

أه يامولاي يسوع ، ملك المجد
الذي وهب النصر
والشجاعة للملك رةشارد
الذي لم ير جباناً قط
انه لجيد جداً أن تسمع في حكايا المغامرات (٥)
عن بسالته وغزواته
ان الكثير من رجال القصص الخيالية يصنعون الجديد
من الفرسان الشجعان الاقوياء المخلصين
ويقرأ الناس عن أفعالهم في القصص الخيالية ،
في كل من انكلترا وفرنسا : (١٠)
عن رولاند وأوليفر
وكل النبلاء المشهورين (الأتراپ الاثنى عشر في ملحمة رولاند)
للاسكندر وشارلمان
والملك آرثر وغاوين
كم كان لطيفاً مأزرة هؤلاء الفرسان (١٥)
من توربين وأوغر الدانمركيين
وعن طروادة يقرأ الناس في كثير من الأشعار
ماذا جرى في الأزمنة القديمة :
أخيل وهكتور - الجذود البارعون
وأي ناس قتلوا في ذلك القتال الطويل (٢٠)
في كتب اللغة الفرنسية القديمة كتب هذا الشعر
ولم يعرفه الناس غير المتعلمين
ولم يعرف عنه شيئاً غير المتعلمين من الناس الفرنسيين
بين المائة نادراً ما عرفه واحد
ومع ذلك بأنن متلفهه
جهدوا لسماع الأفعال الشهيرة
قصص المغامرات النبيلة ، كما أفهم
عن فرسان انكلترا الاقوياء ،
وبناء عليه أخبركم الآن
عن الأعمال الجريئة العظيمة - للملك

الانكليزي - (٣٠)

الملك رتشارد افضل محارب
يمكن أن يجده الناس في أي قصة مغامرات
والآن كل من يسمع القصة النبيلة
عليهم نعم رحمة الرب

(٣٥) سانتني أرجوكم أن تسمعوا بلا ازدراء
كيف أنجب الملك رتشارد الشجاع وولد
كان اسم أبيه الملك هنري ،
وكان في زمانه بالتأكيد

كما وجدته مكتوبا بلا نزاع
أن القديس توماس الطيب قد قتل هناك ،
(٤٠) عند حجر مذبح كنتر بري

حيث غالبا ماتظهر المعجزات وترى
وعندما أصبح عمره عشرين شتاء
كان هذا الملك بحق بالغ الجراءة ،
ولم يكن ليتخذ زوجة ، كما فهمت
مالم تمتلك ثروة عظيمة في يدها
وعندما حثه بارونات على الزواج
اتفق الملك معهم فيما قالوه

وأرسل على الفور عصبا من رجاله
الى كثير من الاراضي البعيدة المختلفة
وأجمل امرأة كانت في الوجود
(٤٥) على رجاله أن يحضروها له ليتزوجها

وأرسل بالرسل في حركة سريعة
ومضوا الى السفن تلك الليلة بالذات
وسرعان ماذشرت الاشرعة
(٥٥)

وهبت الريح قوية خلال الليل وفي الفجر
واذا ما أصبحت السفن وسط طريق المحيط
راوا الاشرعة تتدلى متراخية مترنحة

وبينما جلس هؤلاء الفرسان الطيبون وقد استبد بهم الخوف
ظهرت سفينة أخرى ، قريبة تماما
ولم يكونوا قد رأوا مثل هذه السفينة أبدا : (٦٠)
كانت بيضاء ناصعة ذات لمعان متلألئ
وكل مسمار فيها كان من الذهب المحفور
والضلع من أنقى الذهب المطروق
والصاري مرصع بالعاج (٦٥)
والأشرعة من الحرير باقية للجميع
وكانت الحبال أيضا مجدولة من الحرير
وهي في بياض أصفى من الحليب
وكانت الأسطح مفروشة بأقمشة ذهبية
مركب نبيل انتبهوا وأصفوا (٧٠)
وكذلك الشرف ومرفاع المرساة أيضا
كانت مطلية بلون أزرق سماوي صاف
وكان بالامكان أن يرى هناك على السطوح
مجموعة من العذارى الجليلات ،
مشرقات كضوء الشمس عبر الزجاج (٧٥)
ولم يكن ممكنا أبدا تخطي سيرة منهن
ونادى فرسانها على جماعة هنري
طالبين منهم أن يصعدوا الى السطح
للراحة والاسترخاء ولا يبالوا بشيء
وأن يخبروها عن ماذا يحدثون (٨٠)
نهبنا الى كثير من الأراضي الشاسعة الغريبة
لأن ملكنا هنري قد أرسلنا
لنجد له ملكة نبيلة
أجمل مايمكن أن يشاهد على الأرض
ونهب من ملك من على كرسي ملكي (٨٥)
عندما سمع ماقالوه هناك
وكان الكرسي من حجر العقيق الأحمر
ولم يكونوا قد رأوا أبدا عرشا مساويا

ووقف دوقان الآن بجانب الملك
رجلان نبيلان في أبهة ملكية
(٩٠) ورحبا بكل واحد من الرسل
على ظهر السفينة حيثما ذهبوا
وأمكن الرجال أن يروا ثلاثين فارسا
يحيونهم مع هذه الصحبة
وعندما صعدوا الى ظهر السفينة الذهبية
الفاخر (٩٥)

كرسل لشهرة هنري
كان المزيد من الفرسان والسيدات حاضرين
سبع مجموعات وأكثر ، كما فهمت
ليرحبوا بكل واحد منهم على ظهر السفينة
وأعدوا مائدة موائمة لهم
(١٠٠) مد فوقها غطاء من حرير
وأمر الملك عندئذ وصيفة شابة
بأن تحضر ابنته التي ليس لها شبيه
لتجلس أمامه على كرسي
(١٠٥) وبدأت الابواق الذهبية تدوي
وهي تصعد الى كرسيها ،
وكان يصحبها عشرون فارسا
وكان هناك أيضا وصيفات في الانتظار
وانحنى الرسل عند قدميها
(١١٠) وسألوها ماذا تريد أن يفعلوا
وأكل الجميع وشربوا وجعلوهم مسرورين
وفق ماأمر صاحب الجلالة الملك نفسه
وبينما هم ينعشون أنفسهم بالطعام
كانوا يتحدثون في تلك الفترة الفاصلة
أعلن الملك قراره (١١٥)
فقد جاءه في الرؤيا

- في الأرض التي جاء منها
ان يذهب الى انكلترا فهذا مقصده
وأن ابنته العزيزة جدا عليه
(١٢٠) يجب أن تذهب معه كما بين تماما :
« وبهذه الطريقة أبحرنا
نحو الأرض التي أتيت منها »
عندئذ أجاب أحد الرسل بوضوح
وكان اسمه برناغر
(١٢٥) « لن نبحث اذا عن أي شيء بعد الآن
حيث سنأخذها الى سيدي
وعندما سيراهما بأم عينه
سيكون قد جوزي تماما »
ثم هبت ريح شمالية شرقية نحو انكلترا
(١٣٠) وطارت سفينة الملك عبر الزبد الى الأرض
وخلال ساعات كان الرسل
قد اقتربوا من الملك في أعلى البرج
واخبروه بأمر تلك السيدة الجميلة
أجمل سيدة في أي مكان
(١٣٥) وأمر الملك بتهيئة الامور
ومع البارونات والاييرلات والفرسان
استرع نحو سفينة الملك الغريبة ،
لأنه كان أصيلا وأنيبا
وتم اصطحاب الأنسة الى اليايسة
(١٤٠) التي فرشت أمامها بالاقمشة الذهبية
وانتصب أبوها في وقفة ملكية ، واقدام
وقد زين جبينه بتاج من ذهب ،
وبيضا أحاط بها الرسل من كل جانب
كان المغنون ايضا ، يشيعون الدفء والابهة
(١٤٥) وركب الملك هنري فرسه الذي راح يعدو
ليحيي بحرارة ، الملك الذي لايعرفه

وأبنية الجميلة في لهفة ،

مرحبا بكم جميعا عندي

ثم مضى الجميع الى وستمنستر

(١٥٠) واتجه اللوردات والسيدات الى القاعة

وسرعان ما بدأت الأبواق تدوي

لتعلن عن المائدة التي أجيد اعدادها هناك

وخدمت الحاشية بشكل جيد جدا

ولاحاجة لذكر ما أكلوه

(١٥٥) ونهض الملك بعد الوليمة

واتجه الى الزوار في ملابس نهبية

وتوجه هنري الى الملك الغريب مخاطبا :

سيدي الطيب أخبرنا أتوسل اليك ما اسمكم ؟

فقال : اسمي هو كوربازنغ ،

(١٦٠) وأنا ملك انطاكية

وأبلغهم بقراره

بأن يبحر الى انكلترا بسبب رؤياه

وانحنى هنري للسيدة الجميلة

وأنت يا أنسة يامن لاشبيه لها ؟

(١٦٥) فقالت : « كاسودوريون »

وحنت رأسها في تواضع وخجل

فقال : يا أنسة « طاهرة ومشرقة

هل تعيشين هنا وتصبحين ملكتي ؟

فأجابته بصوت لطيف :

(١٧٠) « سيدي سأفعل بخيار أبي »

فأجابها أبوها مسرعا بالحال

بأنه يمنح الملك هنري بركته :

ويجب أن يتزوجا بسرعة

وأن تشاطر هنري فراشه كملكة

(١٧٥) وناشده بلطف الموافقة

على أن يتم ذلك بأكبر خصوصية

وتم الزواج في تلك الليلة والذات
ورقص البغلط طويلاً حتى اضاء الفجر
وجعل سرورهم الليل يمضي سريعاً
وأشدد قسيس القديس في الغداة
(١٨٠) وعند رفع القربان المقدس
سقطت الملكة في اغماعة كالشبح
وكان الناس مدهوشون في خوف مؤلم
واذ سجيت في غرفة نوم
قالت : « علمت » بالمصادفة (١٨٥)
لن أنظر أبداً الى القربان المقدس
وغادر أبوها مع المد في الصباح
اذ لم يعد بإمكانه ان يبقى هناك
وعاش الملك في سعادة مع ملكته
(١٩٠) وكان بينهما أولاد لهما
ولدان صغيران وعذراء فاقنة
وصحيح جداً كما نقل الى كتابي
كان الأول رتشارد ، وهذا ما علمت ،
وبه تتعلق هذه القصة الشعرية
وكان الآخر جون كما سمعت ، (١٩٥)
وكانت أختهم توبياس الثالثة
وعاشوا في سعادة غامرة جداً
حتى السنة الخامسة عشرة
وذاذ يوم قبل أن يركب الملك هنري
ليسرع الخطى الى القديس في بهجة
(٢٠٠) حضر الى هناك إيرل ذو جلال
وقال : « ياسيدي » كيف يمكن أن يكون هذا
ان الملكة زوجتكم وسيدتكم
لاتجروا على رؤية القربان المقدس ؟
اعطونا انكم لنجعلها تمنع النظر فترة (٢٠٥) من البداية
بالانجيل

- وحتى يتم انشاد وتلاوة القديس
ويجب ان لا تثقلوا
ووقف الملك هادئا ، وقال اخيرا :
(٢١٠) امسكوها باحكام بقوة فيها عناية
لا من أجل السراء والضراء
دعوها تخرج من هذا القديس
وهكذا عندما بدأ الناقوس يقرع
في الوقت المخصص
(٢١٥) تخرج ماضية من الكنيسة
ثم قال الايرل : ابق من أجل الرب
ياسيدي ، ستبقين هنا ،
واسوف تمسكين عند ترك الكنيسة
وامسكت بابتها بيدها ،
(٢٢٠) ثم احتضنت بسرعة جون
علنا وأمام ابصارهم
وسقط جون بينما كانت متجهة الى الاعلى
وكسر فخذه فوق الارض
(٢٢٥) وهكذا انطلقت هاربة بابتها (١)
وتركت ملاكها في فزع حزين
وكان الملك حزينا جدا بسبب هذا الحادث
ومن الطريقة التي غادرت بها وماعنتها
حتى أنه لم يعد يذهب الى القديس أبدا
ولن يزول حبه لها أبدا (٢٣)
ولعل من المعروف أنه بعد موته
يجب أن يرتقي رتشارد العرش
وطالب الملك هاري بتتويجه بعد الوفاة
وكان رتشارد بن هنري بالتأكيد
(٢٣٥) قد أتم الخامسة عشرة من عمره
وكان هذا الشاب عظيم القوة جدا
وسلك سبيل العمل بالسلاح

- ٤٢٦٩ -

كما ينبغي أن يفعل الملوك والفرسان النبلاء
وأصبح شجاعا جدا وقويا أيضا
ولم يكن أحد يستطيع أن يصمد طويلا أمامه (٢٤٠)
وأحرز الشرف في كل ميدان
كما يفعل ملك وقاتح
وأمر بعد أن أصبح ملكا
في ساليسبورى بمقارعة رائعة بالسيف
وأوكل رجل بالحضور
مسلحا بالدرع والسيف والحرية (١) (٢٤٥)
بما في ذلك الايرلات والبارونات وكل انسان
وأن لا يبقى أحد في بيته
تحت طائلة فقد الحياة والأرض
لأن الملك لا يمكن أن يمنعه شيء عنهم (٢٥٠)
وقد نودي بذلك كما فهمت
في كل أنحاء انكلترا بكاملها
وفي كل مكان يمكن للمرء أن يراه
وجاء الفرسان كما أمر
راكبين فوق التلال والمستنقعات (٢٥٥)
ولينفذوا أمره الملكي
سوف يقف كل الفرسان أمام بعضهم بعضا
كما كانوا يلتقون في الميدان
وتذكر الملك تماما بصورة جيدة
في ثياب غريبة لا تكشف عنه لأحد (٢٦٠)
وركب منطلقا من واد كثيف
ليشهد كل حيل من يشتركون في المباراة
وكفارس مغامر
كان لباسه منذرا بالسوء
فكله كان أسود كسواد الليل (٢٦٥)
وكذلك كان المهر الذي ركبه منتصباً
ووقف غراب أسود فوق خونتته

- ومنقاره فاغر على سعته كما لو كان مستحوذا عليه
وحول عنق هذا الغراب جرس
وسأذكر السبب في ذلك الآن (٢٧٠)
فالغراب الاسود يرمز
لمن يكبح كبحا طويلا بلا كلل
ودلالة الناقوس المجلجل :
ان الكنيسة مستقر للجميع
وهي تدمر كل من يجلب لهم الحزن ، (٢٧٥)
ولا يشاطرهم هذا الاعتقاد
وحمل الملك عمودا كبيرا وقويا
وكان طوله أربعة عشر قدما
وكان صلبا وغليظا أيضا
محيطه حوالي احدى وعشرين بوصة (٢٨٠)
وأول فارس قابله الملك هناك
انقض عليه متلهفا
وضربه محدثا شقا غائرا في وسط درعه
وساق حصانه نازلا الى الميدان ،
سقط هذا الفارس الابله على الارض (٢٨٥)
وجده الموت تقريبا في التزع الاخير
من الشجاع التالي الذي لقيه هناك ،
جاء يتلقى ضربة قوية ،
على هامته وطوقه أيضا
وكسر رتشارد عنقه الى قسمين (٢٩٠)
سقط هو وحصانه على الارض
ومات الاثنان فوق هذه الراية الدامية
وتحدى رتشارد على كل جانب
اذا كان هناك من مزيد يركب اليه
وعندما بدأت الابواق تدوي (٢٩٥)
جاء فارس من آخر الصف الطويل
فارس جريء تماما وشجاع وطيب

- ٤٢٧١ -

- وكان يمتطي فرسا احمر بلون الدم
وقد تسليح بكل قوته
(٣٠٠) بكل عدة فارس قوي شجاع
وامسك بعامود كبير وقوي ،
وكان ثقيلا يقدر ماكان طويلا
وقال إنه سيركب ضده
اذا كان سيبقى هكذا في الميدان
(٣٠٥) وبدأت الارباق تدوي
لتعلن لكل النين اجتمعوا هناك
بانهم مرة أخرى يجب أن يصفوا
لأن لديهم خصما حقيقيا
وقد رأى الملك هذا الفارس يركب هناك
(٣١٠) وبرمحه اتجه نحوه
وجابه في وسط الميدان
وأحدث بدرعه ثقباً وانتزع نصفه
ونهب غطاء عنقه بعد ذلك ايضا
وعظم كتفه الايمن ايضا
(٣١٥) ثم قناع خوذته وحلقه
فتأسف بمرارة لأنه جاء الى هناك
والثفت رتشارد منذرا الباقيين
وسألهم جميعا إن
كان هناك رجل آخر أو فارس
(٣٢٠) يرغب أن يركب ضده أو يقاتل
ولما رأى أن أحدا لن يأتي ذلك اليوم
ركب هكذا ماضيا في طريقه
متوغلا في غابة مبتعدا عن عيونهم
وهناك بدل ثيابه في تنكر جديد .
(٣٢٥) واختار ميرا احمر بلون الدم
مع كل الجل الاحمر الذي فوق ظهره
وكذلك الحصان والدرع والسلاح ايضا

يجب أن لا يعرف أحد من يكون هو هذا الفارس الجديد
وفوق خوذته كلب أحمر - دموي
(٣٣٠) بنيل أحمر يتدلى نحو الأرض
وكان ذلك دليلاً على قصد الفارس
أن يحضر للوثنيين قدرهم
وعزمه على قتلهم جميعاً باسم الرب العزيز
والمطالبة برد أسرى المسيحيين
(٣٣٥) وفي وسط الميدان أوقف مهره
وتلفت حوله ليبدأ عمله
وساق نحو الفرسان مستعرضاً إياهم
وطاف حولهم واستعرضهم من الداخل والخارج
فراى بارونا انتحى الى أحد الجوانب
(٣٤٠) وفي اتجاهه بدأ يسوق
وأعطى رمحه الى تابعه
لأنه لم يرد حمله نحو هذا الرجل
نحوه انطلق حاملاً صولجانه من الصلب
وفكر في أن يعطيه ضربة محكمة
(٣٤٥) على خوذته السميكة القوية
وتطاير الشرر من تلك الخوذة الصماء القاسية
وأدار البارون وجهه جانباً
وقال : « أيها الفلاح اقف تقدم واركب
ومع أندادك انهب والعب لعبتك
ولكن لاتأت إلي بعد الآن أقول لك
(٣٥٠) لأنه حقا اذا جئت إلي
سأعطيك ضربتين قويتين
وبهش الملك من قول هذا الرجل
الذي هكذا لم تؤثر به ضربة الملك
وعاد الملك من طريق آخر
(٣٣٥) وفكر في القيام بلعبة أفضل
ووقف واضعاً قدمه في ركابه

- ٤٢٧٣ -

ليخبرته بقوة أعنف وبمزاج غاضب
ووجه ضربته الى الخونة المعنوية
(٣٦٠) ولكن الفارس بقي جالسا فوق سرجه
وبسرعة ودون مزيد من القول
أخرج الفارس صولجانه ليلاقنه درسا
وكانت هذه العصا مصنوعة من نحاس مطروق
وحث الرجل الآخر على المرور
(٣٦٥) وبضربة متميزة وفي بالاثنتين
فأطار قدم الملك من الركاب
وسحقت مابين الصفيحة والسترة الداخلية الواقية
وما بين الدرع وعبر الزرد
ولم يكن قد شعر بمثل هذه الخربات من قبل
التي جعلته نصف مسجج ومـرضوض ونصف
مقروح (٣٧٠)
وبسرعة بدأ يركب ويسوق
خارج الجماعة المحيطة بالميدان
وهمهم صارخا ولكن صوته كان خافتا
لا يمكنني أن اتلقى مثل هذه الضربات وأمضي
ثم ركب مرتدا الى بثره (٣٧٥)
وبوساطة خونته شرب كفايته
وشرب جوانه هناك ايضا
في حين أعد عنته الثالثة
وكانت كل ملابسه بيضاء كالجليب
وحزام الفرس والاشربة التي تمسكه من أجمل
الحرير (٣٨٠)
وفوق كتفه صليب أحمر لامع
كرمز لخسارة ربنا العزيز
الذي ضد أعدائه سيقا تل
ليربح من أجل الصليب انا أمكنه ذلك

- ٤٢٧٤ -

(٣٨٥) وفوق خوذته حمامة في بياض الثلج
وهي تظهر محبتها للروح القدس
وهكذا كان جريئاً حر الروح
ليدمر أعداء الرب

ومرة أخرى شرع الملك يسوق
(٣٩٠) نحو نبيل ، بخطى سريعة
وكان اسم هذا النبيل فولك دويلي
وكان الملك يحب هذا النبيل لسمعته
والى فولك وجه ضربة قوية
ليظهر قوته ومزاجه

(٣٩٥) ضربه بقوة فوق خوذته البراقة
وشققها بكل قوته

حتى أنها اندشقت حتى عظم وجنتيه
ورجاء السير فولك ان يذهب
وانه يجب أن لا يبقى بقربه

(٤٠٠) والا فانه سيشعر بالمشقة
ورأى الملك أنه لم يذق طعم الألم ،
ففكر في أن يضربه مرة أخرى
والقى عصاه الحديدية فوق رأسه

وجه هذه الضربة بكل قوته (٤٠٥)

ولكن البارون مع أن هذه الضربة ازعجته
فانه قد وجه بعصاه الثقيلة التي من الصلب
ضربة الى الملك ليضعه يحس
واندشقت خوذة الملك

(٤١٠) ولم يعد يستطيع البقاء جالسا على سرجه
وخرجت قدماء من الركاب

فهو لم يشعر مطلقا بمثل هذه الضربة القوية
واندشقت هذه الضربة

فلم يحدث أبدا أن ألقي به هكذا

(٤١٥) من أجل هذه الضربة التي تلقاها

- ٤٢٧٥ -

لم يعد يعرف اذا كان الوقت نهارا أم مساء
ولكنه سرعان ما استرد وعيه من الدوخة
واتخذ طريقه الى قصره

ثم امر وهو في قاعته
بأن يذهب المنادون ليدعوا
(٤٢٠) كل فارس لأن يتابع طريقه
ويعود الى أهله وأصدقائه
ثم بعث الملك رسوله
وأرسله الى هناك سرا

(٤٢٥) الى السير توماس مولتون الشجاع
الذي كان بارونا وسيما ضخما
وأیضا الى السيد فولك دويلي
كي يحضرا على الفور ليراهما
(٤٣٠) وأن لا يتأخرا لحظة واحدة
حتى يقفا أمامه ليسمعا منه السبب

ومضى الرسول في طريقه
وأخبر الرجلين اللذين أرسل اليهما
بأنهما يجب أن يصحبا
راسا الى الملك كي يراهما
(٤٣٥) وهكذا حدث الفارسان الشجاعان الخطي
ومضيا الى الملك مسرعين
وأبيا له التحية في اكبار واجلال
ولاحظا أن وجهه لم يبد متجهما
وهو يوجه اليهما الكلام بطلاقة :
« مرحبا بكما عندي »

وقاد الاثنین بيديه (٤٤٠)
الى غرفة بعيدا عن العيون
ثم قال لهما الملك : « يا صديقي العزيزين »
« قولا لي الصدق ، أتوسل الآن اليكما
(٤٤٥) في كل اختبارات المقارعات المرهقة جدا

من الفارس الذي كان أفضل من ركب ؟
وأي فارس عرف هناك ببراعته أنه الأفضل
في الاستعمال الجيد للعمود الضخم القوي
وفي الاختراق الذي اسقط عن الخيل أعداءه ؟
(٤٥٠) وأي فارس شجاع أظهر ذلك للعيان هناك
وأظهر معرفته بالهجوم بالرمح ؟
وأجاب ملتون ، « فارس يلبس السواد
جاء راكباً الى المقارعة ذلك اليوم
وكل من رآه هناك يقول
كيف ركب في مزاج غاضب (٤٥٥)
فوق جواد قوي وقارع الكل
وفوق خوذته كان غراب ابدوسي أسود
وبينما ركب داخلاً ليختبر قوته
كان العمود الذي يحمله قويا غليظا
وكان طول عموده هذا أربعة عشر قدماً (٤٦٠)
ومحيطه احدى وعشرين بوصة
وسأل اذا كان هناك من يريد اختيار جدارته
وبتقدمهم ليثبتوا شهرتهم
بقتاله في هذه اللعبة الجريئة ،
وجاء فارس شاب ، أعزب (٤٦٥)
انطلق راكباً واقسم أن يقوم بتحد قوي
وأمسك عموده ووكز جواده
وركب ضد هذا العدو في الواقع
وقابله الفارس الاسود في الميدان
ووجه ضربة قوية الى ساعده (٤٧٠)
والقى بالرجل والحصان لما بهما
وجرى هذا الفعل من قبل الفارس المجهول
ونفذت الابواق وصاح المتنادون
ولكن احداً لم يكن حينئذ ليركب ضده
او يتبارز معه بالصولجان او بالرمح

فقد شعروا أن مثل هذا الضخم لم يعطهم أي فرصة (٤٧٥)

وذلك الفارس الضخم الجريء النادر
قد استخدم عموده ببراعة وترفع وبرود
وقال الجميع : « لقد ربح هذا الميدان اليوم »
ولن ينطق أحد الآن بالمديح (٤٨٠)
حيث أنه فعل ذلك بكل استخفاف
الا اذا قابل ضرباتنا مرة أخرى
لكنه قبل ان يوجه ضربة مرة أخرى !
وكز حصانه خارجا من بين الناس الاسلحين
وقد أمسك بعموده الضخم في حالة اسـتعداد
تام (٤٨٥)

والتقى الاثنان بعدئذ وسط الميدان
ورمى المغامر نفسه بالثرس جانبا
وكان العجيب أن فارسنا وقع
ولم يقمع الغضب الأحمر الذي كان الفارس يحمله
فاسقطته الضربة وكسرت عنقه (٤٩٠)
وبدا ثالث الفرسان الكلام :
« ان هذا شيطان وليس رجلا حقيقيا
الذي يضرب رجالنا هكنا ويقتلهم
لن أهدأ حتى

أقابله في الميدان اليوم ! » (٤٩٥)
وتقدم الفارس المغامر دون ابطاء
واتجه مباشرة بحصانه الى هذا الفارس الجريء
ثم الى قسمين شق درعه ،
وبعموده كسر كتفه

وألقي به فوق ظهر الفرس (٥٠٠)
وهكنا سقط بقوة وكسر ذراعه
ولكنه لم يتلق أي أذى أكثر من ذلك

ثم التفت الفارس الجسور مرة أخرى
وتحدى بزئير قوي

من يقارعه (٥٠٥)

ونظر اليه الجميع بوجوه متجهمة
فلا أحد يريد أن يقارعه مرة أخرى
خوفاً من أن يسلبهم حياتهم

وهكذا عندما رأى مامن أحد أتى

وكز فرسه تاركاً هذه اللعبة الجسورة (٥١٠)

د ثم خرج هذا الفارس راكباً من عمق الغابة

خطى كله بلباس أحمر في مظهر مرعب

وكان حصانه ودرعه كلاهما أحمر

وأوقع في ذفوس الجميع الهلع والخوف

وكان كلب أحمر يقبع فوق رأس خوذته (٥١٥)

وقد جاء للتحدي والاختبار

إذا كان هناك من يجرؤ على المبارزة

وعندما لم يجبه أحد أدرك

أن عليه أن يجبر واحداً على القتال

وركب في الميدان باحثاً عن فارس (٥٢٠)

يكون الشيطان قد احتجزه حيث يكون !

ولأعرف لماذا اختارني بالذات

بيد أنه هز وصيفي برمحه

وحملق في بنظرة متعالية

ثم ضربني بقوة بعموده الصيدي الغليظ (٥٢٥)

ومالم يكن من خلال رحمة عزيزنا يسوع

أقول لاندكسر عنقي إلى قطعتين

وعزمت عليه أن يركب ويمضي في طريقه

ويلعب مع أولاد من طبقة الخاصة

وجاء ثانية ليقوم بجولة ثانية (٥٣٠)

ووجه لي ضربة أسوأ من تلك بكثير وأشد

- ٤٢٧٩ -

- ولكنني جلست فوق فرسي بهدوء
ثم صحت كثير من ابن ام
« والأسفاه ياسير توماس مولتون
(٥٣٥) لقد ضرب وجلس هناك ساكنا »
ولوححت بعمودي بمهارة قوية
وضربت به بقوة كما عرف الجميع هناك
وطوحت به عن فرسه طائرا تقريبا
عندما أوقعت به هذه الضربة
(٥٤٠) ومثل تلك الضربة لن ينساها أبدا
ولم يبق لمزيد من الضربات
لأنه سرعان ما بدأ يسوق »
وعندما روى مولتون قصته هكذا
السير فولك دويلي البارون الشجاع
(٥٤٥) وجه الكلام عندئذ للملك رتشارد
« والفارس الثالث الذي جاء بعد ذلك
كان بسابغة بيضاء كما الثلج
ونظر الكل اليه من أعلى الى أسفل
وكان على ترسه صليب أحمر بلون الدم
(٥٥٠) ووقفت على خوذته حمامة بيضاء
وساق أمام الجميع ثم بطريقة باردة
نادى أي فارس جريء جدا
يكون رجلا قوي البنية شديد الاحتمال
ليبارزه في تلك اللعبة العنيفة
ولم يبعد أن رجلا هناك به ————— هذه الجــــراة
(٥٥٥) والضراوة
ليجرا على القتال هناك بالذاب معه
وساق راكبا فرسه مسرعا مستعرضا الفرسان
ثم جاء إلي أخيرا وفي النهاية »
واستأنف السير فولك الكلام : في الحقيقة سيدي الملك

- (٥٦٠) لقد كان هذا الفارس شيئا غريبا
وواجه عموده خولتي وهي من الصلب السميك
وما أن وجه بيده الضربة
بتلك القوة العظيمة بشدة وعنف
حتى كاد دماغه كله أن يسحق
ولكني سخرت منه ببضع كلمات باردة : (٥٦٥)
أرجوك أن تنهب أيتها الزبابة الخشبية الصغيرة
والعب مع طفل يكون ندا لك !
وأنا عدت بهذه الطريقة فاني
سأعلمك كي أجعلك عاقلا
(٥٧٠) ولكنه عاد إلي مرة أخرى
وأعطاني هناك ضربة أثقل
وبعمودي ضربته بقوة
فخرجت قدماه عن ركابه
ومثل الدائح خرج راكبا من بين الحشد
ومضى متوغلا في عمق الغابة (٥٧٥)
وجلس الملك رتشارد هنا ساكنا خافض الرأس
وقال يا أصدقائي أرجوكم لا تتنهذوا
ولا تركنوا للحزن ، لقد كنت أنا
الذي عندما احتشدتم بعدكم
(٥٨٠) ركبت اليكم ، وكنت منكم قريبا ودانيا
وكان أقواكم في الاختبار
هو الذي أمكنه هناك أن يرد ضرباتي بصورة أفضل
وقال : « سادتي إنني أعرفكم أنه يحسن
أن تعرفوا مايجول بنهني الآن ؟
(٥٨٥) إنني أود أن نذهب الى الأرض المقدسة
نحن الثلاثة ودون أي مزيد لآخر من الفرسان
وسوف نذهب في زبي حجاج مسعفين
لكي نستطلع الأرض والقوات التي هناك
وأريد أن تقسموا لي الآن

- (٥٩٠) ان لا يعرف أحد بما أدليت به لكم الآن
لأخيرنا ولأولينا
حتى نمضي في رحلتنا »
هذان الاثنان وافقا مسلمين لرغبته عندئذ
لان أيا من الرجلين لم يرد أن يقول لا
وأقسما على أن يعيشا أو يموتا معه (٥٩٥)
وغفرا له ضرباته العنيفة
ووضعا أيديهما فوق الكتاب
وأقسما على أن يكونا مستقيمين في هذه المغامرة
ثم قبل الثلاثة وجنات بعضهم بعضا
وأقسما على أن يكونا فارسىة الخالصين (٦٠٠)
ودعتهم الأبواق الى المأدبة
وبعد أن أبرما هذا الاتفاق
وفي اليوم العشرين أخيرا
كان الجميع مستعدين للانطلاق
بعباءات الحجاج والعكازات في الأيدي (٦٠٥)
كحجاج الى الأرض المقدسة
في الأبيات ٦٠٧ - ٦٥٠ : أبحر هؤلاء كحجاج الى الأرض
المقدسة ليستطلعوها من أجل حملة عسكرية ستتلو ، ثم بدأوا في
حينه رحلتهم للعوبة الى انكلترا
بعدها مروا ببحر اليونان العميق (٦٥١)
في المانيا توقف هؤلاء الحجاج الثلاثة برهة قبل أن يمشوا قدما
وقد جلب لهم هذا كثيرا من الأسف المضمي للقلب
ولسوف أعيد من جديد رواية ماجرى هناك (٦٥٥)
اصغ عندما أخبرك الآن !
في الحانة حيث التمسوا الراحة ونهب الملك رتشارد الى المدفأة
حيث انحنى السير توماس فوق النار (٦٦٠)
وبينما كان فوذك يحرك صلصة المرق
واشتروا في حينه تلك الاوزة غاليا !

وعندما تم شواء أوزتهم جيذا
في النزل كان يتمشى هزيل
وقال لهم : أرجوكم اسمعوا دعواي
كي تسمعوا غنائي !
وعندما أمر رتشارد هذا الرجل أن يذهب
ردت له كلماته كثيرا من الأسى
وبعدما ردد أفكارا غاضبة في الذهن
قال : انتم الثلاثة غير طيبين أبدا ! (٦٧٠)
واذا ما أتيت لي ساهزمكم فانتم لم تقدموا الي لا اللحم ولا
الشراب !

حيث يجب على الرجال الأماجد أن يشتركوا في طعامهم
مع المغنيين المتجولين ولا يبعدوهم
عن لحمهم الطيب والنيذ والجعة
بل أن يشاطروا المغنيين المتجولين وليمتهم
الجميلة (٦٧٥)

وكان هذا الرجل انكليزيا وهكذا عرف تماما
من ثيابهم وكلامهم أين كانوا يقيمون
ومضى قدما في تلك الليلة المظلمة
إلى قلعة على مرتفع القرية (٦٨٠)
وأخبر الملك وبعضهم والكل
أن ثلاثة رجال قد جاءوا إلى المدينة
وهم رجال أقوياء جسورين غير هيايين
في كل الدنيا ليس لهم نظير
وكان الملك رتشارد أحد هؤلاء الثلاثة (٦٨٥)
وتم كان فولك دويلي الآخر
وكان السير توماس مولتون هو الثالث
فرسان نبلاء سمع عنهم الجميع
وكان تذكرهم في ثياب حجاج خشنه
لذلك لم يكن أحد يعرفهم (٦٩٠)

- ٤٢٨٣ -

واليه تحدث الملك عندئذ : « يا صديقي
إذا كان على كلمتك يمكنني أن أعتمد
ستكون لك مكافأة سخية
وسأمنحك الهدايا »

ثم أمر الملك كل فرسانه (٦٩٥)
بأن يتسلحوا بكل قوتهم

ليقبضوا على هؤلاء الحجاج الثلاثة :

« واجلبوهم بسرعة وعودوا بهم الي »

وركب الفرسان منطلقين في كوكبة مربعة

واعتقلوا الحجاج الشجعان الكبار (٧٠٠)

وجيء هؤلاء الثلاثة الى حضرة الملك

وسألهم ماهذه البلاءة

التي جاءت بهم الى بلاده المراسعة

من انكلترا قالوا له هكذا جئنا

ما اسمك ؟ عندئذ سأل الملك (٧٠٥)

وقال رتشارد دون كذب

وأنت ؟ سأل فارسا آخر

فولك دويلي كان الجواب الصحيح

وأنت ياسير ياذا الشعر الرمادي الطويل جدا ؟

توماس مولتون أجيب الملك (٧١٠)

وسأل الملك الثلاثة كلهم

لماذا تسللوا الى داخل بلاده

أني اتهمكم أنتم الثلاثة بالتذكر

لكي تأتوا الينا هنا كجواسيس أشرار !

وقد تجسستم في أراخي أعلاها وأدناها (٧١٥)

وأعتقد انكم تخططون لخيانة كريهة لي

وأما بالنسبة لك ياملكي الشاب الشجاع

ولباروناتك الاثنين ، دون كذب

فانتم لم تتصرفوا تجاهي بصدق صحيح

لذلك فانكم بالقانون وبالقوة (٧٢٠)

- ستوضعون في سجن شديد
لأنكم تتأزرون علي أن تخطئوا معي
فأجاب الملك رتشارد اعتقد أنك
بهذا الفعل تصبح غير وفي
(٧٢٥) ان كل الحجاج الذين يسلكون الطريق
أحرار في الذهاب ليلا ونهارا
أيها الملك مودرد من لطفك وفضلك
لا توقع بنا نحن الحجاج شيئا خسيسا
فمحبة به قد سعينا نلتمس الحج
(٧٣٠) فدعنا نذهب ولا تحجزنا أبدا
ولكن دعنا نواجه مايمكن ان يقع لنا
في اي أرض يمكن أن نركب فيها
ولكن الملك الشرير أمر بسرعة
بأن يلقي بهم في السجن
(٧٣٥) وكما فهمت أن البواب
أمسك بيد الملك رتشارد
وأخذ رفيقه هناك كليهما؟
وهكذا تخلوا عن دورهم كحجاج
وفي الصباح عند الساعة التاسعة تماما
(٧٤٠) جاء ابن الملك في وقت مشؤوم
وكان اسم هذا الأمير أردري؟
وكان فارسا ذا شهرة كبيرة جدا
وكان قويا غير هباب
ولم يكن له صندوق في كل تلك الأرض
(٧٤٥) فقال « أيها البواب » أرجوك أن
تدعني الآن أرى سجناءك!
فقال السجنان : سيدي ، كما تريد
سأفد كل رغبة لك
عندئذ أخرج السجناء الثلاثة
(٧٥٠) وجاء رتشارد ، الاول في المجموعة

- عندئذ تكلم أردر مع الملك
الست رتشارد بلاكذب
الذي يتحدث عنه الناس في كل أرض ؟
هل تجرؤ أن تأخذ معي ضربة باليد ؟
(٧٥٥) في الصباح سأمنحك الآن بالمفادرة
تلك الضربة باليد مني سوف تتذكرها
وعلى الفور تكلم الملك رتشارد الشجاع
فوافق على أن يتبادل معه الضربة
وكان ابن الملك الشاب معتدا جدا وضخما
وضرب الملك بيده ضربة قوية (٧٦٠)
تطاير معها الشرر من عينيه الغائمتين
وبينما كان رتشارد يرى أنه قد أخطأ في حقه
أقسم قسما بالقديس مارتن قائلا
غدا سأرد هذه الاساءة !
(٧٦٥) وعندئذ أمر أردر بارانة متفطرسة
بأن يأخذوا كفايتهم
من كل الشراب واللحم أيضا
ولهم أن يأكلوا أفضل ما لديه
(٧٧٠) حتى لا يمكن أن يضطر للانتظار
ويستبق ضربة رتشارد ويتعجلها
وعلى الاستقرار في الفراش طلبا للراحة
وهكذا كان ابن الملك يأمل أن يسر
ووضع الملك الانكليزي في وضع سهل
(٧٧٥) وفي الصباح عندما أهل النهار
نهض رتشارد كما أقول لكم وأخذ شمعا صافيا لامعا
ثم اقترب من ناره
وشمع يديه بشمع النحل الصافي
(٧٨٠) مرة وأخرى حتى يمكن أن يتأكد أنه
قد أصبح بسمك القشة وأقل منها بكثير
لأنه صمم أن يضربه ضربا مؤلما

- بتلك اليد التي جعلها مشدودة جدا
ليرد الضربة بأقصى قوة
(٧٨٥) وجاء ابن الملك حسب الخطة
ليحصل على أجره كرجل حق
ووقف أمام الملك رتشارد بجرأة وشجاعة
ووبخه بكل ازدراء وعجرفة
وقال له : « اضرب بكل قوتك »
(٧٩٠) بما أنك تسمى القوي الشجاع!
وإذا أنا جفلت أو ابتعدت
سوف لن أحمل أبدا درعا في شجار ،
وضربت قبضة الملك وجنة أردر
وكل من رأى سوء حظ ذلك الصبي
(٧٩٥) قال إن اللحم والجلد قد انتزعا
وهكذا سقط أردر وقد أشرف على الموت
وانكسر عظم خده الغليظ نصفين
ووقع على الأرض ميتا كالحجر
وأسرع السجنان إلى حضرة الملك
وأخبره بهذا الأمر السيء
الذي فعله رتشارد بابنه
فصاح وأسفاه لم يعد لي أحد!
وبهذا الذواح سقط على الأرض
وكرجل تملكته كارثة مميتة
(٨٠٥) أغمي عليه في أسي عند أطراف العرش
وساعده فرسانه حتى بلغ مقعده المرتفع
وصاح أحدهم سيدي « لنضع هذه الفكرة
الآن لقد وقع الأمر وحزنكم لن يجدي شيئا »
ونفض مودرد وقال متنهدا
(٨١٠) لكل الفرسان النين وقفوا على مقربة منه
حول هذا الأمر الحزين أرجو أن تشرحوا لي
وأن تقصوا على كيف قتل ابني الشاب

- ووقفوا هناك جامدين كلهم
وفي أساهم لم يستطيعوا قول أي كلمة
(٨١٥) وبسبب الصخب الشديد اندفعت الملكة داخلة
وقالت: « وأسفاه ما الذي سبب هذه الضجة ؟
لماذا تبكي بصوت كله أسي ونحيب
ما الذي جلب لكم كل هذا الهم ؟ »
قال الملك : يا عزيزتي . أنت لا تعرفين
(٨٢٠) أن ابنك الجميل قد حل به الموت !
منذ أن ولدت
لم يحل بي مثل هذا الأسي !
لقد تحول كل سروري الى كرب
والآن للموت أمضي بكل سرور !
(٨٢٥) وعندما فهمت الملكة ذلك
اقترب مزاجها من حافة الجنون
وناحت قاذلة وأسفاه « ماذا أفعل » !
وخمدت وجهها ودمعها ينهمر
وكما تفعل النساء في أعماق الكروب
غطى وجهها الدم الكثيف
(٨٣٠) ومزقت الثوب الذي كانت تقف فيه
ونديت اليوم الذي ولدت فيه
بأي طريقة لقي ابني حتفه ؟
وأجاب الملك « يجب علي أن أخبرك
(٨٣٥) كما أخبرني هذا الفارس الحزين
هكذا أخبر ملكك أيها الرجل المنتحب
بأي طريقة بدأ هذا الفعل ؟
مالم تكن تعرف الحقيقة الكاملة لتخبرها
اليوم يبعث بك الموت الى الجحيم »
(٨٤٠) وطلب الملك مودرد من السجن أن يقترب
وقال له إنه يجب أن يوضح تماما
ما الذي راه - ويجب أن يشرح

بأي طريقة قتل ولده !
فقال السجان في الفجر الماضي ومع انبلاج الصباح
جاء ابنك في وقت منحوس (٨٤٥)
الى عند باب السجن الي
وأراد أن يرى الحجاج النبلاء
فأحضرت اليه أولئك الاشرار
وعندئذ جاء الملك رتشارد أولا
فسأل الامير أردر بصوت خافت وكلمات معتمة
(٨٥٠)

إذا كان الملك رتشارد يمكن أن يبادله ضربة
بأن يتلقى ضربة منه له ويرد له بأخرى
ضربتان لن يرفضهما الفارسان بازدراء
فقال رتشارد مع ضوء هذا الفجر
اضرب ايها السيد الشاب بكل قوتك ! (٨٥٥)
وهكذا ضرب أردر الملك رتشارد
بشدة لدرجة أنه كان بإمكانه أن يتباهى ويشعر بالارتياح
وقال الآن يا رتشارد أعزم عليك
غدا سوف تعطيني ضربتك
وافترق الاثنان على ذلك
ونهمز رتشارد عند بزوغ النهار
ثم اليه جاء أردر في الحال
ونادى رتشارد باسمه
وبالاسم بين الاثنين ذلك اليوم
ضربه رتشارد ضربة في الحقيقة أن تقول (٨٦٥)
هشمت عظم خده السميك الى نصفين
فسقط أرضا ميتا كأي حجر
وكما أقسمت أن أخدمك هنا
هكذا جرى بهذه الطريقة !
وقال الملك مودرد في غضب كثيب (٨٧٠)
في السجن سرعان ما يصبحون ضعافا

- وسوف تقفل السلاسل بسرعة عليهم
من أجل أفعالهم الكريهة الجارية تجاهنا
وهذا الذي أردى ابني قتيلا
(٨٧٥) إن قوانين بلادي ستقضي عليه بالموت !
وغادر البواب الى حيث قد صرف
لينفذ أمر سيده
وذلك اليوم لم يقدم لهم طعاما يأكلونه
ولا شربا يطفئون به ظمأهم
(٨٨٠) وكانت ابنة مودرد في منتجعها الريفى
تهجع مع وصيفاتها من ذوات الشرف الرفيع
وكان اسم هذه العذراء مارغري
وكانت قد أحبت رتشارد بقلبها الملتهب
وعندما ارتقى الصباح ومال نحو الظهيرة
(٨٨٥) مضت الى رطوبة السجن بسرعة تامة
واصطحبت معها ثلاثة من الوصيفات
وقالت : يا أيها السجناء دعني الآن أرى
السجناء الذين لهم مثل هذه الشهرة الكبيرة
فصاح : على الفور ياسيديتي
وجاء بالملك على مرأى منها
فحيّاها بلطف وكياسة حقا
وقال لها بقلب شجاع حر :
ما هي رغبتك ياسيديتي مني ؟
وعندما رآته واقفا بهذه الشجاعة
انطوى قلبها عليه تماما
وقالت : « ياسير رتشارد بالله الاعلى
أني أحبك أكثر من كل شيء هنا »
فقال: وأسفاه في هذه الحالة
المزيد من اليأس قد بعث إلي
(٩٠٠) مألذي يمكن أن يعطيه حبي لك هكذا ؟
أني سجين مسكين كما ترين الآن

- وهذا ثالث يوم يمضي
وليس لدينا طعام ولا شراب!
وغمر قلب هذه السيدة شفقة عظيمة
(٩٠٥) فقالت: لن يدوم جوعه أكثر من هذا
وأمرت عندئذ السجنان الصارم قاذلة،
«أحضِرْ لهم كل من اللحم والشراب
وارفع عنهم أغلال الحديد الآن
أمرِك من أجل خاطري العزيز
(٩١٠) بعد العشاء في المساء المظلم
أحضره إلى غرفة نومي
ومن أجل لباس هذا الرجل النبيل
عليك أن تلبسه كتابع فارس
لهذا ، وباسم يسوع ، مولانا العزيز
(٩١٥) سوف تحصل على مكافأة سخية ،
وفي تلك الليلة لم يذسها البواب
عندما جاء برتشارد إلى غرفتها
ومع تلك السيدة الجميلة المعتنة الأنيقة
لعب كل الليل بكل نزواته
وحتى اليوم السابع (٩٢٠)
كان يمضي كل ليلة هكذا سرا
ثم تجسس عليه فارس هناك
فهزول مسرعا ليخبر الملك
عن أعمال رتشارد كل مساء
(٩٢٥) فسأل الملك بسرعة تامة
كيف تسنى لاسيري هذا الماكر الكريه ؟
فقال الفارس بسرعة الملك رتشارد
هو الذي قام بهذا الفعل الشرير
سيدي بالنصرانية العزيزة لقد
(٩٣٠) راقبته وهو يجيء إليها
وازداد قلب مودرد الغاضب الما

- ٤٢٩١ -

ولم يعد أحد يستطيع أن يكلمه !
وبسرعة كي يريح فكره
استدعى مودرد مجلسه الاستشاري الحكيم
(٩٣٥) الايرلات والبارونات والكهنة العالمين
ليخبرهم بهذه الأعمال المكربة
فركب الرسل خارجين من البلاط
ليستدعوا حكماء الرجال من كل مكان
وبحلول مساء اليوم الرابع عشر
جاءوا جميعا دون ابطاء (٩٤٠)
وتوجه الملك بالخطاب الى هؤلاء العلماء
واليهم جميعا توجه بالطلب
وقال: سادتي « أرحب بكم جميعا »
وبينما هم يتمشون معتبين في القاعة
جلاس الملك في وسطهم جميعا (٩٤٥)
وقال لهم: بتاجي الجليل
أقول لكم لماذا بعثت في طلبكم
عن خائن أريدكم أن تعطوني قراركم الحكيم
خائن هنا قد اساء الي
وهو يجلس الآن في زنزانة محصنة (٩٥٠)
وشرح الامر للجميع
كيف اردى رتشارد ابنه قتيلا
وكيف استبيحت ابنته :
« واسوف يريح موته كدمات قلبي الحزين
ولكن القوانين قضت كما أعرف
لايمكن أن أقتل هذا الملك كما أعرف » (٩٥٥)
عندئذ توجه اليه بالكلام بارون شجاع :
« كيف حدث انكم احتجزتم هذا الملك الشجاع ؟
هال له كملك نبيل جدا
وتجاهه لم يجرؤ أحد من الناس أن يحاول شيئا شريرا »
وتحدث مودرد عن درته الثمينة

وكيف وجد في تذكر خشن
وكان معه بارونان اثنان
نبيلان صاحبا عمل جريء
(٩٦٥) « اسرثهم ولم افعل شيئا خطأ
واحتفظت بهم في زنزانتي الحصينة ،
ومع هذه الملاحظات استأنن خارجا
ورجاهم أن يقضوا بلا إرجاء
كيف يمكن له هكذا أن يشفي غليله بحكمه
وبأي وسيلة يصل الى هذه الغاية (٩٧٠)
وأضى النبلاء ثلاثة أيام وهم يزنون هذا الأمر
ليقرروا ماطلبه الملك
وبينما هم يعملون ثار غضبهم وهم
يلتمسون طريقا لمجازاة هؤلاء الأعداء
وقال بعضهم إن مـ ودرد يجب أن يسـ حل
الملك (٩٧٥)

وقال آخرون : إن القانون يحظر مثل هذا الشيء
وتجادلوا ولكنهم لم يتمكنوا من الاتفاق
على ماذا يجب أن تكون عاقبة رتشارد
وقال الأحكم هناك عندئذ « الصحيح أننا
(٩٨٠) لا يمكن أن نصدر عليه حكما ،
وبعدوا بهذا الجواب الى الملك
وبه لم يعطوه أي تشجيع
ثم تكلم فارس بارع فقال :
« لا تحزن بعد هذه الليلة سيدي
(٩٨٥) لاني أعلم حقا أن السير الدريز
يمكنه تماما أن يبدع وسيلة مرعبة
لأنه رجل ذو نفس كرية
وسبب الموت لأعداد كبيرة
فأمر مودرد بهذا الرجل الضاري جدا

- (٩٩٠) ان يجلب اليه في الحال
وجيء به الى حضرة الملك
الذي ساله حينئذ بقوله:
هل يمكنك ان تبتكر لي طريقة
« يمكن ان اجازي بها هذا الفعل الكرية؟ »
(٩٩٥) فأجاب السير الدريز بمكر:
« يمكنني ان اذكر لك هذا بسهولة
انك تعرف تماما المرء لا يمكن ان يفعل ذلك بالقانون
ان يقطع رأس ملك أو يشنقه أو يسحله
لهذا يجب ان تعمل وفق منطقي
(١٠٠٠) انتق بسرعة سبعا ضاريا
وأمنع عنه لحمه اليومي
ولمدة ثلاثة أيام لاتعطه شيئا يأكله
ورثشارد ايضا يجب ان لا يغذى
وليقاد الاسد الى زنزانته
(١٠٠٥) وبهذه الطريقة يقتل
ويتحقق انتقامك منه
إن السبع يقتل بمخلب وحشي
وهكذا انك لن تخرق القانون ،
(١٠١٠) وعلمت مارغري بهذه الحيلة
وعليه بعثت وراءه بسرعة
لتحذره من نية الملك
وعندما جاء بسرعة الى غرفتها
« مرحبا ، قالت تلك السيدة المولهة في الحب
(١٠١٥) لقد تعلم أبي من قاض ماكر
طريقة لا يذاك بحقه
فخلال ثلاثة ايام سيدفع الى زنزانتك
بسبع جائع جدا سريع ومتوحش
وسيقضي هذا السبع على حياتك
(١٠٢٠) ومعك يموت سروري الصادر من القلب »!

ثم قالت هكذا: « يا محبوبي العزيز
سنهرب الليلة من هذه الأرض
مع ذهب وفضة بكميات هائلة
وكل ما سوف نحتاج اليه في المستقبل !
(١٠٢٥)

وأجاب رتشارد: « اني أفهم
ان الهرب سوف يخرق قانون الأرض
والهرب أن نذهب من هنا دون اننه
وأبوك سوف لا يمنحني اي الرجاء
وأنا لا أخاف السبع الآن

(١٠٣٠) « وأول ما يدور بخلي هو كيف أقتله »
وفي الساعة التاسعة من اليوم الثالث اللنحوس
سيكون معي قلبه الضخم
أقول لك هذا :

« احضري لي مناديل من أصفى الحرير
أربعين في بياض أصفى حليب
الى زنزانتي ستحضرينهم (١٠٣٥)
قبل المساء بقليل »

ووجدت وسيلة لتأخذ طريقها في حينه الى زنزانته
صحبت معها فارسا نبيلًا

(١٠٤٠) عمل طعاما ساخنًا من أجل تقوية رتشارد
وأمر رتشارد أن يشاطره طعامه صديقاه الأمينان العزيزان
« وأنت ايها البواب الصديق ، اعمل على تنفيذ كل ما تأمرك به
سيدتك »

(١٠٤٥) وتلك الليلة جدا حبهما
حيث سحبا الى زنزانته فراشا
رتشارد وتلك الأنسة الفتية

واسترسلا كل الليل في نغم الحب
وفي الفجر عندما بزغت الشمس مبتهجة جدا
(١٠٥٠) رجاها رتشارد أن تأخذ طريقها عائنة

- لا ، صاحبت دمن أجل الرب في الأعلى
سأكون بجانبك من أجل حبك
وسأبقى هنا معك ،
وأواجه موتي بجانبك أيها الشجاع
(١٠٥٥) ولن أنهب من زنتانك القاسية
وسأخذ ما يأتي به الرب !
وقال رتشارد : يا سيدتي الحرة العزيزة
مالم تتركيني سريعا
سوف تحزني قلبي بالم شديد
لاني لن أتمكن من حبك أكثر أبدا ،
وعلى هذا أجابت العذراء : « لا » !
فالرب العزيز الذي مات فوق الشجرة
سينقذ حياتك اذا كانت هذه مشيئته ،
(١٠٦٥) ثم أخذ المنايل في يده
وصنع حول ذراعه رباطا
واعتقد أنه في برهة قليلة
سوف يقتل السبع بالقوة والحيلة
ووقف قويا في سترته القصيرة
(١٠٧٠) منتظرا السبع في بسالة وجراة
وسرعان ما أخذ السجن طريقه اليه
وكان معه في ذلك اليوم فارسان
ومعهما سبع قوي
وكانت مخالبه ضارية وحادة وطويلة
(١٠٧٥) ودفعوا بباب الزنزانة ليذفتح على مصراعية
وأطلقا السبع الهائج في الداخل
وصاح رتشارد : « الهى العزيز احفظني ! »
واذ قام السبع بقفزة قوية
كان يمكن أن يمزقه طرفا عن طرف
(١٠٨٠) راغ الملك رتشارد بوجهه العابس المتجهم
وضربه ضربة على صدره

- ضربة قوية ماهرة محظوظة
فقبع السبع وعضلاته مشدودة
ولوح بنيله في ألم مجنون
(١٠٨٥) وفغر فكية الرهيبيين على سعتهما
وزار حيث جعله الجوع يتوقف
وأحس السجان ورجاله باغماء وشيك
بينما زار السبع بدون توقف
واعتقد رتشارد أن هذا الوقت كان الأفضل
(١٠٩٠) وقفز ودفع بشدة بذراعة الملافوف
في حلقه بتصميم قوي ،
ومزق قلبه مخرجاً إياه وكل شيء آخر وجده
وسقط الوحش ميتاً فوق الأرض
ولكن رتشارد لم يكن به جرح ولا خدش
(١٠٩٥) وظل راکعاً في ذلك المكان الدامي
وشكر رتشارد يسوع على انعامه
الذي حفظه هناك من الأذى المؤلم
وأخذ القلب الذي كان ما يزال دامياً حاراً
وحمله إلى القاعة
أمام الملك ورجاله جميعاً (١١٠٠)
وكان الملك مودرد جالساً أمام الطعام مرتفعاً
والدوقات والايولات والفرسان يقربه
والى حيث كان وعاء الملح موضوعاً على المائدة
سار الملك رتشارد وعصر الدم (١١٠٥)
وغمس القلب في الملح
بينما وقف كل واحد وتراجع إلى الخلف
وأكل هذا القلب نيئاً وهو يقطر دماً
ومودرد وحنة منهول وبائس
يهمهم : « حقيقة اني أفهم
(١١١٠) هذه ليست يد انسان فان بل يد شيطان
التي أردت سبعي القوي قتيلاً

- ٤٢٩٧ -

وانتزع قلبه بأقصى قوة بنية
وهو منه الآن يأكل كفايته
انه يسمى بحق من أجل هذه المهارة الضارية
ملكا عمد بشهرة عظيمة (١١١٥)
رتشارد القوي قلب الاسد»

في الايات ١١١٧ - ١٥٧٢ ، دعا الملك مودرد ايرلاته وباروناته ، وأخبرهم بوفاة ابنه ، واغواء ابنته ، وبمساعدها للمك رتشارد على قتل السبع ، وقراره بإطلاق سراح رتشارد مقابل فدية ، وقد وضع الفدية عالية عن عمد : كأسا قربان من كل كنيسة من أراضي رتشارد . وجوابا على رسالة رتشارد الى انكلترا ، جمعت الفدية واحضرت الى مودرد . وحضر رتشارد ، ولكن مودرد طلب منه أن يأخذ مارغري معه ، وأصرت الملكة مع ذلك على أن تبقى مارغري في البلاط حتى يتمكن رتشارد من أن يرسل في طلبها .

وغادر رتشارد الى انكلترا ومكث هناك ستة شهور . ثم أعطى الروائي الرومانسي تاريخا موجزا للأرض المقدسة وللأحداث التي دفعت بالملوك المسيحيين لأن يقربوا المضي في الحرب الصليبية ، وعندما علم رتشارد بالمرسوم البابوي الرسمي (واضح أنه خلط مع الحملة الصليبية الاولى .) الذي أصدره البابا أوربان داعيا الى حرب صليبية ، قرر الذهاب ، وبعث بأسطوله المكون من مائتي سفينة الى مرسيليا ، بينما أخذ جيشا من أربعين ألف رجل الى المانيا ليسترد الفدية من مودرد : زاحفا بجيشه عبر مقاطعات مودرد دون سلب أو نهب أو تدمير لمحاصيل الفلاحين وأجبر رتشارد الملك الألماني على الانعان

وعرف مودرد أن عدوه قد جاء
ليطالب باعانة الفدية المرتفعة وليرمي به في زنزانه الى الأبد
(١٥٧٥)

- ٤٢٩٨ -

ان لم تساعدني ابنتي الآن !
من عرشه الفاخر دعاها الى قربه ،
« ماذا هناك يا سيدي ما الذي تخشاه ؟ »
« عليك يا عزيزتي ، ألقيت كثيرا من اللوم
(١٥٨٠) « ولكن دون مساعدتك سيحل بي العار »
فاجابت ، « يا سيدي ما هي خطتك ؟ »
« ما أنا إلا امرأة سيده »
« واذا أصبحت فقط ذا مزاج معتدل
لن يفعل بك الملك رتشارد إلا خيرا ؟ »
(١٥٨٥) « هبه كل ما يريد بنفس طيبة ،
ويجب ان تحقق له كل ما سيطلبه
فاذا منحته هكذا كل ما يريد
لن يعاملك كوغد كافر لثيم
أنت الذي كنت محنقا مغيظا كريها
(١٥٩٠) وسيكون هذه الاتفاق عادلا لكليكما ،
وإذا كانت المالكة أيضا سمحة كيسة
سترى هكذا منه أفعال جيدة »
وقادت أباه في ذلك اليوم
الى الملك رتشارد ، كما يقول كتابي
(١٥٩٥) وكان معه مزيد من الايرلات والبارونات ،
وستون فارسا خارج الباب
وعندما رأى رتشارد كيف جاء مودرد ،
اتجه نحوه ليعرض طلبه
وركع الملك مودرد على ركبته
وحيا الملك ——— ذرائع واعذار ——— سادرة عن القلب
(١٦٠٠)
« سيدي إنني تحت امرك ! »
فقال الملك رتشارد ، طلبي الوحيد
هو أن تعيد الي الآن ذهبي ؟
وبعد ذلك سأحبك بوضوح

- ٤٢٩٩ -

(١٦٠٥) وأعاملك دائما كصديق لي

وقال مودرد : ليحمينا الرب !

أقسم لك على الكتاب

أن كل ما أخذته منك جاهز لك

كنزك الثمين حاضر

(١٦١٠) وإذا أمرت فإني أزيده لك

وبذلك سأقيم السلام معك !

وغفر له الملك رتشارد خطيئته ،

وقبله على خديه العجوزين

وأصبحا صديقين سريعا وبوضوح

(١٦١٥) وفي اليوم نفسه دعا الملك الألماني

الملك رتشارد للعشاء

وبعد الوليمة عندما فرغ الجميع

قال الملك رتشارد بذبرات واضحة صادقة ،

لضيفه الذي كان جالسا بقربه

(١٦٢٠) « أشكرك جدا على هذا الترحيب

ولكني ياسيدي من أجل محبة الرب أرجو

أن تلبي لي الآن رغبتني

في حملتي الصليبية الى الارض

من أجل خاطر الرب العزيز ، أعطني يدك

وتطوع مودرد بالذهاب (١٦٢٥)

وعرض تقديم كل فرسانه أيضا ،

لمساعدة الملك الانكليزي في القتل :

« ليس صوابا بالنسبة لك أن تذهب ،

فأنت أحسن من أن تخوض مثل هذه الحرب ،

(١٦٣٠) ولكن ابعث بفرسانك الممتازين

مائة مقاتل ، شجاع وقوي

أفضل من ينتمي الى بلاطك

وأعطني من القموين ما يكفي ،

من أجل عام كامل من القتال العنيف ،

- ٤٣٠٠ -

وابعث أيضا باتباع ليخدموا رجالك
وقال الملك مودرد على ذلك « أمين »
وهبة أخرى سأعطيكها لك
يمكن أن تعينك في حياتك : هي
خاتمان سحريان ثمينان من أصفى الذهب
والاحجار فيهما منضدة وكاملة (١٦٤٠)
ومن هنا الى أرض الهند
لا يمكن أن تجد أفضل منهما في أي مكان ،
لأن من ليه حجر واحد منهما في يده
سوف لن يغرق في الماء أبدا
والحجر الآخر من يحمله (١٦٤٥)
لن تحرقه النار في أي مكان
قال ريتشارد : يا سيدي أقدم لك شكري قالها
وهو خارج لينضم الى قواته المسلحة

الابيات من ١٦٤٩ الى ٢٨٩٠ : من هناك رحل ريتشارد مع
جيشه وفرسان مودرد الى مسينا ليقابلوا ملك فرنسا فيليب وكان
الملك الفرنسي متلهفا ليؤذي ريتشارد من أجل التجبكم في أراضي
ريتشارد الواسعة ، فكتب الى تانكرد ملك صقلية ، رسالة اتهم فيها
ريتشارد بالتآمر بعمل خياني ضد الصقليين ، وكره تانكرد أن يصدق
مثل هذا الاتهام ضد الملك النبيل ، وأطلع الملك الانكليزي على
الرسالة ، وفي غضب من فيليب لهذا الفعل الظالم ، برا ريتشارد
نفسه من هذه التهمة ، وطلب من الملك الفرنسي تقديم تفسير .

ومع ذلك سخر الصليبيون الفرنسيون والمعسكرين في مسينا من
رجال ريتشارد ، وقتلوا كل من وجدوا من الفرسان الانكليز
الضالين ، وبذلك أوجدوا حالة من التوتر .

وأصبح ريتشارد غاضبا من فيليب ورجاله من هذه المعاملة

الفضلة ، فهاجم القوات الفرنسية وهزمها ، وأجبر فيليب على توقيع معاهدة عدم اعتداء لبقيّة الحرب الصليبية .

وأبحر فيليب الى عكا ، بينما أبحر رتشارد لتسوية خلاف مع اسحق ، امبراطور قبرص ، فقد اغرقت ثلاث من سفن كنوز رتشارد خارج مياه قبرص ، وذبّح الامبراطور بعض الناجين ، ليدعى بأحقّيته في الكنز ، وأبحرت سفينة الكنز الرابعة لتروي الفاجعة لرتشارد وذلك بينما كان باقي الاسطول يقترب من قبرص

لم يستطع رتشارد تحمل هذا العمل ، وهكذا بعث رسولا الى اسحق طالبا اطلاق سراح ألفا وستمائة من الناجين الذين أخذوا أسرى ، وأعادة الكنز ، وعندما رفض اسحق ان يرد الكنز أو الأسرى ، أمسك رتشارد ببُلطة يزن رأسها عشرين رطلا ، وأمر ألفا من فرسانه أن يعدوا أنفسهم للمعركة ، وركب خارجا ليجابه اسحق المتغطرس .

وفي المعركة التالية ، قتل رتشارد عشرين ألف قبرصي ، واستولى على الكثير من الكنوز ، بما في ذلك جـوابين لايمـكن مقارنتهما ، هما : فيفل وليارد وعندما رفض الامبراطور القبرصي المهزوم الاستسلام أمر رتشارد بتقييده بالسلاسل الحديدية ووضعه على ظهر سفينة رتشارد القيائية ليصحب الصليبيين الى عكا .

وقابل رتشارد واسطوله المكون من مائتي سفينة على الطريق مركبا شرايعا ضخما سريعا مثقل الحمل ناقلًا المؤن الى الحامية المسلمة المحاصرة في عكا ، ومع رفض الاستسلام وجه قائد هذه السفينة الاهانات الى مبعوث رتشارد عندئذ أمر رتشارد شنيّة بمهاجمة السفينة المعابية ، ودمر الصليبيون المركب بمعونة الرب ، وبعثوا بها ورجالها الالف والستمائة الى قاع المحيط ، وبعد هذا التأخير الطفيف ، تقدم الصليبيون نحو عكا .

وعندما وجد مدخل ميناء عكا مقفلاً بسلسلة ضخمة ، أمر ريتشارد شينيه أن تقترب من وسط السلسلة ، وصعد الى قوس سفينة القيادة وضرب السلسلة بعموده الحديدي ضربة قوية مرسل السلسلة وهي تغرق في اتجاه قاع الميناء ، وجرى ترحيب قلبي بالاسطول الداخل من قبل رجال فيليب ، وبعد أن أخبره رئيس أساقفة بيزا بمحاولات الملك ألفونسو غير الناجحة للاستيلاء على المدينة تولى ريتشارد قيادة القوات وقرر دراسة الوضع .

وقفز ريتشارد فوق جواده (٢٨٩١)

وانطلق مبتعدا بسرعة أثارت الغبار .

وركب حول الخندق المائي اللوثنيين

ومضى نحو مجموعة المخيمات العكاوية المسورة

حتى وصل الى مشفى (٢٨٩٥)

القديس يوحنا ، كما رأيت أن أذكر

وهناك نصب سرادقة

وأقام هناك برجه ميت - غريفون

فكان حصنا للرجال الانكليز

الجمعة المشاركة اللوثنيين (٢٩٠٠)

وبمساعده تم الاستيلاء على المدينة وأيضا بمساعدة النحل

يعندما شيد البرج جيدا

ثبت هناك عراداته

وأمر باحضار خلايا النحل بسرعة (٢٩٠٥)

ثم بين كيف توضع

وحين بدأ نفخ الأبواق

انتشروا في الاسفل لمهاجمة المدينة

وكان الملك ريتشارد فوق سور عكا المتين

وقذف بالنحل ليسقط في الداخل (٢٩١٠)

وكان الجو حارا في ذروة الصيف

عندما تفجر النحل خارجا من كل جانب

- ٤٣٠٣ -

- وكان متضايقا ومليناً بالكراهية
فأحدث بين المسلمين كثيراً من الهياج
(٢٩١٥) لانهم كانوا يلدغون في وجوههم
عندما كان النحل يطير بينهم
واختبأ الوثنيون في زنايات صماء
حتى لا يستطيع النحل أن يجدهم
ولعنوا روح الملك ريتشارد الى الجحيم
(٢٩٢٠) لأن « ذبابه » لسعهم بعنف شديد
ونصب ريتشارد آلة أخرى
ودعا هذه الآلة باسم روبنت ،
وهي آلة قوية وقفت بمفردها
وقذفت الى داخل عكا أحجاراً ضخمة
(٢٩٢٥) ولكي يكون ريتشارد هو الغالب
استدعى اليه رئيس عمال التلغيم
وعزم عليه يحفر له نفقا متقنا
يصعد في اتجاه البرج المسمى موبيت
وأقسم قسما بالقديس سيمون
(٢٩٣٠) بأنه اذا هدمه بحلول الظهر
وكذلك جميع السور الخارجي
فانه وقتها سيحطمه كله الى قطع متناثرة
وحفر عمال التلغيم نفقهم سريعا
بينما كان ، رجال الآلات يقذفون بقذائف كبيرة
(٢٩٣٥) وتسليح المسلمون جميعا
وركضوا مسرعين مرتقين السور
وكلهم ملفوفون بالملاءات من الرأس الى الركبتين
ليبعدوا عنهم لسع نحلات ريتشارد
وصاحوا « إن لهذا الرجل تصاميم كريهة
(٢٩٤) عندما يهاجم بالنحل وبالتلغيم
ما من ملك آخر ابتداء بهذه الطريقة
ولاشك لدينا أنه سيربح اليوم !

- ٤٣٠٤ -

ووقف الملك رتشارد فوق برج ميت غريفون
ليرتب الاعمال داخل المدينة ،
(٢٩٤٥) وكيف هرب الوثنيون في رعب
بينما كان رماة السهام من برجه
يذبحون بالقسي العقارة وبالسهام مربعة الرؤوس يؤذون
يطلقونها بين الأرجل والأذرع ونحو الرأس والقلب
وساعد الصليبيون الفرنسيون بتلكؤ
في التلغيم في ذلك اليوم الدموي
(٢٩٥٠) وأسقط السور الخارجي هكذا
وكان العديد من الوثنيين في تلك المدينة قد
قتلوا عندما ركب رتشارد الى داخلها
وعندما بدأ سيطرته هناك
(٢٩٥٥) ورجح المسيحيون في ذلك اليوم أكثر
من السنوات السبعة السالفة
وهرب المسلمون في تلك الساعة الدموية
وتسابقوا الى داخل البرج الاعلى
وأشعلوا المشاعل حول السور
وهـ كذا أمـ كنهم أن يروا الصـ ليبيين
ضخمين (٢٩٦٠)
وكانت هذه المشاعل تلقى ضوؤا غريبا
كان يتراقص خافقا فوق الفارس
الذي وصل للتو من انكلترا ،
والشخص الذي لايمكنهم الصمود أمامه
مالم يأت قائدهم صلاح الدين
(٢٩٦٥) بكل رجاله لينتقم لهم
وكان صلاح الدين على بعد عشرة أميال من هناك
لكنه رأى من هناك المشاعل في الهواء
فاستدعى اليه جميع حشوده
(٢٩٧٠) وكانت كثيفة كالطرر فوق ساحل عاصف

- ٤٣٠٥ -

قد تجمعوا فوق سهل
بجوار عكا ، فوق أرض وعرة
ستون ألفا من المشاة كانوا هناك
وقد أعدوا حزما من القش
ليحملوها ، هكذا كتب مؤلفي (٢٩٧٥)
ليملأوا الخندق المائي الخارجي للمسيحيين
وأقسم كل منهم يمينا
أن يقتلوا كل المسيحيين القساة المكروهين
وبعدهم جاء قادة وفرسان
مائة ألف أقوياء للقتال (٢٩٨٠)
وزحف هذا الحشد قدما فانتصر بنظام
وحمل الأول ألوية من سندس أحمر
وكان على كل لواء ثلاث غريفونات حقيقية
ولكل شريط بلون أزرق سماوي
وخلفهم ركب القادة الشجعان (٢٩٨٥)
بدروع تشع مثل الذهب البراق
ومع أعلامهم المثلثة والويتهم أيضا
وكانت مصدوعة من سندس لونه لون ريش الطاووس الأخضر
مع تنين ضار على جل واحد
يقاقل سبغا شرسا (٢٩٩٠)
وكانت أعلام الأول حمرا ثم بعد ذلك أصبحت خضرا
ثم أصبحت المجموعة الثالثة مرئية
خمسون أو ستون ألف فارس
مسلحون بكل قوتهم
وجاء بعدهم في بياض الثلج (٢٩٩٥)
خمسون ألفا في صف
وبينهم كان صلاح الدين
وابن أخيه تقي الدين
ولواؤهم الأبيض - الثلجي كما في الخرافات
عليه ثلاثة رؤوس سمور كشعار إسلامي (٣٠٠٠)

- ٤٣٠٦ -

وكان شكلهم حسن وحجوماتهم كبيرة جدا
وكان كل هؤلاء الرجال يحملون الترس والدرك
ومامن واحد كان قادرا على تبين طريقهم
في الخندق المسيحي الذي ركبوا حوله
(٣٠٠٥) بينما كان المشاة يلقون بحزم القش فيه
لكي يعدوا للفرسان طريقا ممهدا
ملأوا الخندق حتى الحافة
حتى يمكن للدشود أن تسوق مباشرة الى الداخل
وقام المسلمون بهذا العمل
(٣٠١٠) عندما قرر الرب القادر وهكذا قضى
أن يطرد المسيحيون الدشد
بينما هم يناشدون روح القدس
« الآن لدينا أفضل عون »
لأن لدينا قديسنا المنقذ !
(٣٠١٥) وكان معسكر المسيحيين يموج بالرجال
وهم يهرعون الى اسلحتهم بسرعة ،
وتسابقوا نحو حافة الخندق المطمور
الدفاع عنه مع نخبة المسيحيين
وفي هذا القتال الحزين مع ضربات الأخذ والعطاء
سقط عدد كبير من الرؤوس من فـــــــــوق
الاجساد (٣٠٢٠)
وانشق الكثير من الدروع نصفين
وسقط الكثير من الخيول أيضا
وفقد العديد من الفرسان أسلحتهم
وسقط كثير من الخيل وقد أصيبت بأضرار كثيرة
(٣٠٢٥) والعديد من الذفوس الشجاعة بلا شك
قتلت طوال ذلك اليوم الدامي
وسقط الملك رتشارد مريضا بجوى مرتفعة
واحبس كل رجاله أن أجله بات قريبا

- ٤٣٠٧ -

ولم يستطع أن يتحول عن فراشة
حتى لو أن خيمته احترقت (٣٠٣٠)
ومن ثم اتضح أن ملك فرنسا
سيقود المعركة وحده
وأن أحدا يجب أن لا يخرج من المعسكر
ولأن يمر قرب الخندق ليستكشف
بل أن يلزموا داخل المعسكر (٣٠٣٥)
حتى لا يكسب الوثنيين منهم كما يجب شيئا
وهم الوثنيون الذين اقتربوا من الخندق
وحاولوا عبور هذا الخط المسيحي
وبفعلهم هذا قطعوا أنفاسهم
وهناك واجهوا بسرعة موتهم (٣٠٤٠)
ورقد الملك رتشارد في فراش مرضه
والسبب في ذلك يجب أن أقول
ناجم من تعب البحر
والهواء الغريب في تلك البلاد البعيدة
والبرد القارس والحر المرير (٣٠٤٥)
والحم والشراب غير الطيب
وهكذا أعاقت هذه الأشياء جسمه عن الحركة
حيث أنه لم يستطع أن يجد طعاما مجلوبا من اذكلترا
وهكذا رجا الملك المريض الفرسان أن يبحثوا
له عن رجل حكيم هكذا قال (٣٠٥٠)
سواء أكان مسيحيا أم وثنيا أسود
ليخبره كيف يعالج حماه
وأعطى كل رجل نصيحة وتوجيهه
ولكن لم يكن هناك أحد بهذه الحكمة
حتى يتمكن من أن يوقف أساه المحموم (٣٠٥٥)
أو يحرره من ألامه
وكان الانكليز الشجعان يشعرون بالأسى
من أجل مولاهم في كربة

- ٤٣٠٨ -

وهكذا أيضا كان كل المسيحيين هناك
لأن رتشارد لايقود هذه النشاطات
(٣٠٦٠) وفوق ركب مثنية كان الحشد المسيحي راكعا
يصلي للأب والابن والروح القدس ،
في أثناء الليل والنهار بنية طيبة
ربنا هب ملكنا راحة سريعة !
(٣٠٦٥) من أجل حب مريم ليسوع العزيز
فأجابت سريعا صلواتهم القلبية
بفضلها وبركاتها الحلوة ،
وشفي الملك رتشارد من مرضه العضال
والحمهم لم يعد له ميل
ذهب كل الذبيذ والماء بددا (٣٠٧٠)
وتأقت نفسه العليلة للحم خنزير مشوي
حتى لو أن رجاله جميعا احترقوا
لم يتمكنوا من ابتياع واحد في هذه الأرض القاسية
بكل الذهب الذي كان تحت إمرتهم
اي قطعة من لحم خنزير غض (٣٠٧٥)
يمكن للملك أن يغمس فيه شوكرته
وبهذا علم في حينه فارس قديم السن
وعرف كيف تأق الملك المريض بمرارة
لحم خنزير وهو في بؤسه المحموم
عندها تحدث مع الطاهي على انفراد (٣٠٨٠)
حيث قال: ان ملكنا الطيب يرفض بازدراء لحومنا
ذلك أنه تواق للحم خنزير مشوي طيب
ولايمكننا في أي مكان هنا أن نشترى لحم خنزير مشوي ليرضى
ملكنا المريض !
ومع ذلك اني أعرف مصدرا يمكننا أن نعوول
عليه (٣٠٨٥)
لكنه لو علم إن رأسي ستسقط

- ٤٣٠٩ -

لذا يجب أن لاتبين له كنهه
خذ مسلما شابا خفيف الحركة
ممن يجب أن يفارق حياته البائسة بسرعة
عليك تنظيفه وسلخه وتقطيعه وفركه
ثم قبل أن يفسد لحمه

ملحه وعدله بتوابل حارة
ثم بالزعفران يطلى هذا الشواء الجيد
وعندما يتذوق ملكنا الطيب هذا الشواء
سيشفى من الحمى المرتفعة التي اعترته
وستضمن لنا عودة قواه

وبعدما يكسر صومه هكذا
ويأكل من هذه الوجبة الغريبة
ومن المرق يرشف طاسا
سيشفيه زوم عميق ويجعله صحيحا سليما
(٣١٠٠)

وهكذا ستسود رحمة الرب
وسيصبح ملكنا قويا معافى
هكذا أقول في بضع كلمات حزينة
ذبح غلام مسالم وششوى وأحضر لحمية الى
ملك
(٣١٠٥)

من بعيد في البطول والعرض التمسنا هذا الخنزير
أرجو أن ترشف المرق وتأكل هذا اللحم
وببركة الرب ، نتوسل اليك
ووضيع الشواء أمام الملك
وأكل من هذه المائدة المثيرة للاشمئزاز
(٣١١٠)

فالتهم اللحم وقضم العظم
وشرب مرق هذا اللحم غير المعروف
وعندما أخذ هكذا كفايته
تركه خدمة حسب رغبته
فتمدد في أغطيته الدافئة
(٣١١٥)

- ۴۳۱۰ -

وغطى حاجبه صورته النائمة
وتفصد عرقه وهو يرقد نائما
ثم أفاق سليما ومرحا
وعندما قام ارتدى لباس الحرب
وتمشى في خطوات سريعة مع مستشاره
وظهر لكل فرسانه هكذا
سليما صحيحا ومعافى من هذه المحنة
وشكر يسوع العزيز والقديسة مريم
لأنه شفي من مرضه
وفي هـ _____ هذه الاثناء كان المسـ _____ لمون يعملون
(٣١٢٥) بقوة

لطم الخندق المسيحي تلك الليلة
ولازالة دفاعات مدخل المعسكر
وهكذا بنوا مرتقى يوصلهم الى اعدائهم
وعندما علم رتشارد بهذا الهجوم
نادى في معسكره (٣١٣٠)
سلحوني جيذا بدرع سميك من اجل محبة يسوع مذقنا العزيز كي
احارب هذا العدو بكل قوتي

كما يجب ان نفعل جميعا في وضع النهار
حيث انني وانا الان في كامل صحتي
سوف اقمع اليوم هؤلاء المسلمين
والان وقد تجددت قوتي
فاننا في وسط هذا الحر بجلد
سوف نقاتل لنكسب هذه الارض المسلمة
وسأخذ معي بلطتي الجيدة القوية
(٣١٤٠)
حيث انني سأقاتل غير المسيحيين
وفي وسطهم سأضرب صعدوا ونزولا
وابعث بهم الى جانب ربهم
حيث اضربهم اينما سقت

- (٣١٤٥) وكان مسلحا جيدا لقتال هذا العدو
ونهب الفرسان واتباعهم أيضا
وكان جيش المسيحيين قويا جسورا
والمنظر الذي رؤي هناك كان رهيبا
وكان حقيقيا دون شك ،
(٣١٥٠) ان ستهزم حشود المسلمين وتسحق
في المقدمة كان داوية رتشارد
والانجويين ابناء جلدته واستباريته
وكان الملك امام ميمنة المسلمين
حيث شعر العديد من الاعداء هناك بقوة
(٣١٥٥) وضرب فارسا واحدا فوق درعه
فسقط رأس هذا المسلم في الميدان ،
وحصل آخر على مثل تلك الضربات الجريئة
ولم تقده كل هذه الدروع شيئا
وضرب ثالثا على قربوس سرج حصانه
(٣١٦٠) فسقط على الارض في ويل
وكانت الحشود المسيحية المؤمنة مبهجة
عندما شاهدت اعمال رتشارد
ولم يصمد اي درع امام هذه البلطة:
فقد شقت عبر الجميع كسكين خلال الشمع
(٣١٦٥) وراهم السلطان يحاربون بهذه القوة
وظن ان شيطاننا كان يقيم بينهم
وحيث قتل الملك العديد منهم هناك
انسحب العدو بحشوده
بسرعة مع مجموعة قادته
(٣١٧٠) الى مدينة يسميها الناس غزة
ولكن في الحقيقة كل قوات الساقه عنده
قتلوا من قبل ملكنا الطيب رتشارد
وعندها المسلمون فوق سور عكا
شعروا بالخوف واخذوا يستغيثون بالله

بينما كانوا يراقبون السـلطان وهـو يسـوق
مبتعدا (٣١٧٥)

وريتشارد يقتل رفاقهم المسلمين ويذبح

هكذا كل النهار وفي الليل

خاضوا هم والمسيحيون المعركة

وعندما مالت الشمس للغروب

انسحب كل الفرسان ليستريحوا (٣١٨٥)

القوة المسيحية غنيها. وفقيرها

انسحبت الى الوراء وراء خندقها الدفاعي

لتستريح خلال الليل الهادئ

وامر الملك ريتشارد كل فرسانه

ان يحرسوا خندقهم الواسع العميق (٣١٨٥)

بينما يحصل الآخرون على قدر من النوم

وشعر المسلمون بخارج الخندق

بالخوف من ان يستولي ريتشارد على خنادقهم

لانه كسب معركة ذلك اليوم

وهكذا ارادوا ان يهربوا من هناك (٣١٩٠)

ورغبوا في تلك الليلة ان يركبوا مبتعدين

لانهم لم يعرفوا مكانا آمنا للاختباء

ضمن مسافة عرضها عشرة اميال

وعندما ارتاح ريتشارد هناك برهة ،

سرعان ما حل فارس برعه (١٩٥)

كي يريحه ويعطيه مجالا للسكون

واحضرت له قطعة من الخبر المغموس بالنبيذ

فقال : « رأس ذلك الخنزير نفسه

الذي اكلته احضره لي الان ،

لانه اعانني على استرداد عافيتي (٣٢٠٠)

وأخشى أن مرضي يمكن أن يعود

والان ، قدم لي الرأس الذي اتوق اليه ! »

فاجاب الطاهي ، لقد ذهب الرأس !

- ٤٣١٣ -

- (٣٢٠٥) فاجأ به الملك : « ما لم ار رأس ذلك الخنزير
إنني صدقا أقول ستفقد أنت رأسك ! »
عندها رأى الطاهي الشاحب انه يتوجب
عليه ان يحضر الرأس له ليراه
وتوسل وهو راكع على ركبتيه
هذا هو الرأس فأرجو الرحمة ! (٣٢١٠)
وتم احضار رأس مسلم داكن اللون
بلحية ابنوسية ووجه مشوه
وشفاه متصلة ما زالت فاعرة باتساع
اي شيطان هذا ؟ صاح الملك رتشارد
ولكنه ضحك بعدئذ وقد فهم (٣٢١٥)
« هل لحم المسلم متماسك وطيب هكذا ؟
بموت ربي العزيز وصعوده
لن تذهب حياتنا بسبب الجوع
بينما يمكننا هكذا في هجومنا
ان نقتل المسلمين عندما تتناقص مؤننا (٣٢٢٠)
يمكننا الان ان نأخذ لحمهم طيب المذاق
لنسلق او نشوي او نقلي او نخبز
ونقسم اللحم نزولا الى العظم ،
وهكذا نستبعد التأخير من اجل الطعام
لان رجالي اذا احسوا بألم الجوع (٣٢٢٥)
سوف نأكل كلنا ونحارب مرة اخرى »

في الإبيات ٣٢٢٧ - ٣٢٩٦ : عرض صلاح الدين عندئذ تسليما
عكا ، وبيت المقدس وكل سورية حتى نهر الاردن لرتشارد ، وان
يدفع للصليبيين عشرة الاف دينار ذهبي ، وان يتوج ككونراد
مونتفرات ملكا على سورية .

ورفض رتشارد هذا العرض لان كونراد ارتكب اعمالا خيانية
ضده قبل ان تبدأ الحملة الصليبية . فقدم صلاح الدين عرضا

- ٤٣١٤ -

مضادا : هو انه سيعيد صليب الصلبوت للمسيحيين ، وسوف يدفع للصليبيين مائة الف دينار ذهبي ، ويعطيهم كل الاسلحة والنخائر التي في عكا ، وسيسلم لهم الستين الف اسير من عكا كرهائن حتى يتسنى تنفيذ الشروط الاخرى في العرض ، ووافق الملك ريتشارد على ذلك ، وبعد ذلك مباشرة ، على أي حال أرسل صلاح الدين سفراء الى ريتشارد ومعهم تعليمات للتخلص من ابتزازه .

وتكلم الملك ريتشارد بكلمات لطيفة
« هذا العرض الذهبي سأسحبه

واشجب ظنوكم وتفكيركم الشرير
لاني في البارحة وفي السفينة قد جلبت
(٣٤٠٠) من العملات الذهبية والفضية معي
اكثُر مما لدى سيدكم أو أي ثلاثة ؛
لهذا لاجابة لي بكنوزكم .

ومع ذلك فمن أجل محبة الرب أناشدكم
ان تجتمعوا بي حيث أقيم الآن
(٣٤٠٥) وهناك سأخبركم وليسمع الجميع
أي كلمات ستحملونها لسيدكم

وهي كلمات أعانني مجلسي الاستشاري في اعابها ؛
وعندما وافق الجميع على هذا باعتدال ،
(٣٤١٠) انتحى الملك ريتشارد بمساعده جانبا
واخبره بما سيفعله بالحال
« هذا هو ما سوف تفعلونه الان :

يجب ان تنزلوا عميقا الى الزنزانة
وتختاروا الاسرى ذوي الشهرة -
(٣٤١٥) اولئك الذين جاءوا من أغنى الاقرباء

وتعالجهم من إثم كفرهم
بقطع رأس كل منهم الكريه
ولكن قبل أن يموت كل منهم

- ٤٣١٥ -

خذوا اسمه واكتبوه بخط واضح ودقيق على ورق ثمين
(٣٤٢٠) ثم أحملوا بعدئذ هذا اللحم إلى الطاهي
واجعلوه يلقي في مرجل
واعزموا على الطاهي أن يسلقه بسرعة
ومروه بأن ينزع كل الشعر
من الرأس واللحية والشفة أيضا
(٣٤٢٥) وهكذا عندما تعد الوليمة الاحتفالية
تأكدوا من أن خدمكم لم يذسوا
وأعملوا على أن لا يترددوا
في أن يقدموا كل رأس فوق صحن ذهبي
وادخلوا كل واحد وهو ما يزال ساخنا
(٣٤٣٠) واجعلوا كل وجه يلبس ابتسامة بشعة
وتأكدوا من أن كل رأس متجه نحو الأعلى
وضعوا اسم كل واحد فوق جبينه
ويجب أن يذكر على كل بطاقة اسم العائلة
(٣٤٣٥) وتأكدوا من تقديم واحد ملتهب لي
هذه الوجبة يمكن هكذا ان تكافئني جيدا
وأنا عندما أكل كفايتي من غير مسيحي
كما لو أنه فروج طري
وراقبوا المسلمين عندئذ وقد أصابهم الغثيان
القهرمان كما يقال في حكايات المغامرات
بسرعة فعل ما طلبه الملك
(٣٤٤٠) وعند الظهر بدأت الأبواق تدوي
ولكن السفراء هناك لم يكونوا عندئذ يعرفون
قانون ريتشارد أو عاداته القديمة
وقال الملك لهم: أيها المسلمون البواسل
(٣٤٤٥) أرحب بكم في هذا السرادق
وإن جلسوا مع بطانتهم
وضع على مائدتهم الملح والخبز
لكن لانبئذ أبيض أو أحمر

- ٤٣١٦ -

- وجلس المسلمون وبدأوا يحملون
(٣٤٥٠) وفكروا ، واأسفاه كيف نأكل ؟
وراقب ريتشارد من منصة مرتفعة
وقد جلس الدوقات والايولات بقربه
الخدم وهم يقدمون الوجبة
مع أصوات المزامير والأبواق الخشنة
(٣٤٥٥) وتولى القهرمان الاشراف بحذر
ليخدم ملكه وهو على كرسيه
ولثلا يصاب رجاله بعد الوليمة بضرر
إذا لم تقدم هذه الوليمة الاحتفالية الكثيرة حارة
وكان الرأس المعد لريتشارد كاملا وساخنا
(٣٤٦٠) واسمه فوق الجبين في لقافة رائعة
وقدم الطعام للسفراء أيضا
فوضع رأس بين كل اثنين
مع الاسم مكتوبا فوق الجبين العاري
عندها شعر كل رجل هناك بالغضب
(٣٤٦٥) وشعروا بالخوف من هذه المكافاة الكريهة
وانهمرت الدموع من عيونهم المنتفخة
وعندما قرأوا الاسماء كلها
خشي الجميع ان يقتلوا هكذا
وراقب ريتشارد بعينين زرقاوين باردتين
(٣٤٧٠) كيف بدل كل هؤلاء الرجال لونها ومظهرهم
ومن أجل أصدقائهم انتحبوا وأقسموا
أن الذين فقدوهم لن يعودوا أبدا
لأنهم كانوا من أقرب اليهم
وهكذا في الكرب أمكنهم التماسك
(٣٤٧٥) لأنهم يجب أن يخشوا كل النصرانية
وبقدر ما أسفوا لأنهم حضروا
لم يأكلوا من وليمة ريتشارد لقمة واحدة
وجلس هو يستمتع بالمنظر

- ٤٣١٧ -

والتابع الذي خدم الملك
حفر بسكين حادة عندئذ الرأس
وأكل رتشارد باستمتاع نادر
وجلس المسلمون وحملقوا فقط
ثم وكز كل فارس الآخر
وقال : « إنه أخو الشيطان
الذي يقتل رجالنا ويقطعهم شرائح سميكة »
(٣٤٨٥)

ولم يذس ريتشارد هذه الغمزه
وهو يلقي بنظراته حوله ،
بوجه غاضب وغطرسة
نحو السفراء توجه بالخطاب :
لقد ليبتدع دعوتي (٣٤٩٠)
لهذا أطلب منكم أن تكونوا مرتاحين
وأسأل لماذا لم يسركم تقطيع اللحم
ولم تأكلوا كفايتكم كما أفعل ؟
أرجوكم أخبروني لماذا ترتجفون هكذا ؟
(٣٤٩٥)
وجلسوا جميعا في صمت وحبسوا أيديهم
وحيث لم يجرؤ أحد على الكلام أو الوقوف ،
كانوا يتمذنون أن يزحفوا الى جوف الأرض
لأن موتا أنظف كانوا يقبلون
وعندما لم يجبه أحد بكلمة
قال الملك : « ارفعوا عن المائدة
هذا اللحم الذي وضعته أنا أمامهم
(٣٥٠٠)
وأحضروا لهم لحما آخر تشتهيهِ أذواقهم » !
فاحضر الخدم شواء غضا
وأیضا نبيذا يمكن به شرب الأنخاب
نبيذا أحمر معالجا بالتوابل ، وشرابا آخر
(٣٥٠٥)
وعندما قال لهم رتشارد أن لا يفكروا
لم يأكل أحد كفايته أو جيدا

- وعرف رتشارد الى أين ذهبت أفكارهم
فقال : « أرجوكم أن لا تخافوا
(٣٥١٠) هذا هو الأمر الذي أعطيته
أن تخدموا أولا ، كما قدر الرب
برؤوس مسلمين ساخنة تطلق البخار
ولكني عن عاداتكم لا أعرف الكثير
كمالك مسيحي وحقا كذلك
(٣٥١٥) وبناء عليه اطلبوا مني وتحققوا
أنكم بأمان سوف تذهبون مرة أخرى
وإذا رفضت لأي شيء
من اسمي الطيب سوف تنطلق الكلمات السيئة
أن عندي مثل هذه الأخلاق الكريهة
(٣٥٢٠) كاساءة معاملة السفراء »
وعندما أكل الجميع وأخبروا
قام الملك ريتشار ليحذرهم ويذنبهم
حيث طلب مسلم أنه بالذهب
وكانوا جميعا مملوئين رعبا ومرارة
لأنهم كمبعوثين قد جاءوا
(٣٥٢٥) ولأن الجميع تمذوا لو أنهم بقوا في بيوتهم
مع زوجاتهم وأصدقائهم وجميع أقاربهم
بدلا من أن يكونوا في بلاط الملك رتشارد!
وتحدث الملك رتشارد عنئذ مع أحد الرجال
(٣٥٣٠) عد الى بيتك وأخبر سلطانك المعتد
أنه عليه أن يخفف من سوداويته
لأنه يعتقد أنكم تأخرتم جدا
وببطء شديد خمنتكم شروط هذنتكم
فقبل أن تحضروا أعد اللحم
(٣٥٣٥) لكل الرجال الشجعان الذين يخدمون معي
وكلهم صليبيون ومن حشودي
وأخبره أنه لن يجبيه أو ينفعه

- ٤٣١٩ -

حتى لو دمر طعامنا ومؤننا
من اللحم والسمك والخبز والقطائر
إننا لن نموت جوعاً أبداً (٣٥٤٠)
بيدنا نحن قادرون على الركوب والقتال
وقتل فارس مسلم غض العود
ثم نغسل اللحم ونشوي الرأس
بمسلم واحد كهذا يمكن أن نتغذى
أو بثمانية أو تسعة أو حتى عشرة (٣٥٤٥)
برجالي المقاتلين المسيحيين الأقوياء
تابع الملك « أقسم على هذا الشيء :
إنه ليس هناك لحم مغذ كهذا
لرجل انكليزي مسيحي
لا الحجل ولا الزقـزاق ولا مـالك الحـزين
ولا البجعة (٣٥٥٠)
ولا البقرة أو الثور ولا غنم الحظائر
كلحوم المسلمين
إنهم سمان ولحمهم جميل وطري
بيدنا كل رجالي هزيلون نحيلون
وفي حين أي مسلم يمكن أن يكون حياً (٣٥٥٥)
يقاتل في هذه البلاد البعيدة
حول طعام المسيحيين لن أهتم
فلننهي صيامنا ونرتحل نحو الخارج
لنقتل بقدر ما نحتاج
حيث نطعم رجالنا كل يوم (٣٥٦٠)
وهكذا لن نهروا إلى انكلترا
حتى نكون قد أكلنا الجميع

الآيات ٣٥٦٣ - ٥٤٦٦ : عاد السفراء إلى صلاح الدين
بـفاصيل رفض ريتشارد لـعـرض السـلطان والوليمـة

- ٤٣٢٠ -

الرهينة ، وناشدوا صلاح الدين أن يسلم للملك الانكليزي الشرس أي شيء يريده ، لأنهم خافوا على سلامة ذسائهم وأطفالهم ، وأرسل صلاح الدين عرضا آخر لرتشارد : اذا تخلى الملك المسيحي عن عيسى وتبع محمدا كسيد له ، فسيجعله السلطان ملكا على سورية ، ومصر وبابل وجزيرة العرب ، وأفريقية وأرض الاسكندر واليونان ، وصور والسلطان لكل الهند حتى مملكة يوحنا الموعود في أقصى المشرق .

وأجاب رتشارد على هذا العرض غاضبا ، إنه إذا عاش فقط بضع سنوات أخرى فانه سيستولي على هذه الأراضي جميعا على أي حال ، وليبدى رتشارد ازدرأه لاقتراح السلطان ، أمر بأن يقاد الستون ألف أسير من عكا الى السهل المجاور للمدينة وتقطع رؤوسهم هناك » لأعلم صلاح الدين كيف يقترح علي أن أعبد محمدا ! » وأخبر ملك على أي حال رتشارد بأن يعفو عن عشرين من الاسرى المهمين ليتخذوا كرهائن ، يحتجزون من أجل الفدية ، وأطاع رتشارد الأمر .

وفي وليمة بعد المجزرة بوقت قصير اقتسم رتشارد غنائم الحرب الصليبية مع رجاله ، وطلب من الملك فيليب أن يفعل المثل ، ورفض فيليب متعاليا ، ثم اقترح رتشارد أن يزحفوا خارجين ليكملوا حربهم الصليبية بمحاصرة وتدمير المدن والقلاع على الطريق نحو بيت المقدس ، مقسمين قواتهم الى مجموعتين ، وركب الملكان ومضيا قدما ، ورد فيليب من قبل المدن التي حاصرها جيشه ، وقام رتشارد مع ذلك بعد تقسيم جيشه الى ثلاث مجموعات تحت قيادته هو وفولك دويلي وتوماس مولاتون بالاستيلاء على كل المدن التي هاجمتها قواته، وأعطى سكان المدن الخيار في أن يصبحوا مسيحيين أو أن يقتلوا بالسيف ، واختار بعضهم يسوع ، واختار بعضهم البديل المروع .

وتراجع الصليبيون ، وقد وجدوا أنفسهم متعبين جدا من الحرب

- ٤٣٢١ -

الى حيفا ليستريحوا وليجدوا مؤنهم ، وهاجم صلاح الدين عساكر المؤخرة وهم ينتشرون بغير نظام تجاه حيفا ، واندفع رتشارد لمساعدتهم وبلاستعادة المعجزة لأرواح الصليبيين المعذوبة وبالقوة المستمدة من ظهور القديس جورج هزمت قوات رتشارد صلاح الدين مرة أخرى وبعد توقف مؤقت لفترة وجيزة زحف الصليبيون الى مدينة عسقلان

وتحداهم صلاح الدين للدخول في مواجهة مفتوحة على السهل خارج أرسوف وقبل رتشارد التحدي ، وهزمت قواته بعنف حشود صلاح الدين ، ثم بينما أكمل الصليبيون زحفهم جمع صلاح الدين قوة ضخمة أخرى لمهاجمة الصليبيين خارج أرسوف واقترب رتشارد من الجيش الاسلامي مموها تحت أعلام اسلامية مستولى عليها وضغطت قواته من أربعة جوانب ، وهزمت السلطان مرة أخرى .

وبعد هذه الهزيمة الثانية بوقت قصير ، تحدى صلاح الدين ثلاثة أبطال مسيحيين أن يلتقوا بثلاثة أبطال مسلمين في الميدان خارج النطرون وقابل رتشارد والسير توماس تورنهام والسير فولك دويلي وقتلوا الأمير أرسلان والأمير خضر والأمير غالب ، وعندما رأى سكان النطرون أبطالهم يسقطون منهزمين تعمدوا فوراً كمسيحيين

وبعد توجيه هذه الضربة لهيبة الاسلام ، ذهب صلاح الدين الى الرملة لاعادة بناء جيش آخر ، وعندما هرع رتشارد الى هناك ليستأنف قتاله فان سرعة هجومه أخذت صلاح الدين على حين غرة ومنعته من استعمال اعظم اسلحته ، سلاح الفرسان ووصل فيليب ليساعد في حصار باب اليون (القاهرة) ولكن عندما رد من قبل صلاح الدين ، اخفق الحصار

ارسل الملك فيليب الى ريتشارد رسالة
ملحة (٥٤٦٧)

- ٤٣٢٢ -

أنه لم يتمكن من البقاء ، حيث كتب
بسبب الجوع هو ورجاله أيضا
يجب أن يوقفوا الحصار ويسـيروا في اتجاه
بلادهم (٥٤٧٠)

وكان ريتشارد غير سعيد بذلك
وقال عنه قبة خائن
أعطاهم ليكسب المجد هنا
لقد لوث اسم يسوع العزيز
عندما أعطى المسلمين مهلة
والرب سوف يجازي الخيانة ! (٥٤٧٥)

ثم انسحب عندئذ فيليب من هذا الحصار
الذي لاقاه المسلمون بكثير من السرور
فقد عم السرور العظيم بينهم جميعا
فانشدوا الأناشيد وغنوا أغنية سعيدة
وفي اليوم التالي من هذا المعسكر المجاور
جاء الرسل من السلطان العالي
وحيوا ريتشارد ثم قالوا : « سيدي
لأنه معجب بقوتك

أرسل سيدي السلطان اليك
إذا أنت قبلت هذا العرض
أذك قويا بلحمك وعظمك
وهو بأسل شجاع حاليا

وأوضح أنك الحققت به -ضررا عظيما جدا
ودمرت عظماء بلاده (٥٤٩٠)
وقتل وأكلت حشوده الباسلة
أن حרבك معه خطأ محزن
لقد التمسث ارتا في هذه الأرض
وقد فهم ذلك جيدا

أنه ليس لك مع ذلك حق صحيح ! (٥٤٩٥)
أذك تقول أن ربك بالغ القوة

- ٤٣٢٣ -

هل توافق ومعك الدرع والحربة
لنقرر الحق على أرض المعركة
بالخوذة والزرذ وبالسيف القوي البراق
(٥٥٠٠) فوق خيول قوية جيدا ذات عزم وقوة
اي معبود لنا هو الأعظم قوة
يسوعكم أم الهنا
وقد أرسلني لأسألك هذا
هل تقبل منه جوابا من خيوله ؟
(٥٥٠٥) في كل الأراضي التي كنت فيها
لم تر جوابا مثل هذا أبدا
لانا فل ولاليارد من قبرص الحزينة
لهم البتة مثل فعلة
وانا أردت ففي هذا اليوم بالذات
(٥٥١٠) سوف يجلب اليك لتجربه
وأجاب رتشارد « لقد قلت قولاً جيداً !!
هذا الجواد بمشيئة القديس ميكائيل
سأخذه لأركبه
لأن حصاني مرهق وبأدس
(٥٥١٥) ومن أجل محبة سيدي
الذي يجلس عاليا في السموات العليا
أخذ الآن هذا الحصان الجيد جدا
وبرمحي سأسفك دم السلطان
إذا كان سيمنحني هذا الفعل ويحفظه
(٥٥٢٠) وبالطريقة التي ذكرتها
ولو انني لا بد ان اسلم روعي للرب
سوف اقابله في الميدان
واطلب منه ان يرسل لي هذا الحصان
وسوف اختبر من اي نوع هو
٥٥٢٥ فاذا كان موضع ثقة اقول لك

- ٤٣٢٤ -

- فلن اركب غيره في اي نزال !
وانصرف المبعوث من خيمة ريتشارد
عندئذ ليحمل ما قصده بقوله
انه سيواجه السلطان نفسه
٥٥٣٠ اذا استطاع صلاح الدين ان يتحمل الوطأة
ثم بعث السلطان في طلب كاتب
معلم شرير في تحضير الارواح
يمكنه ان يستحضر كما يجب ان اقول
من خلال فنه الشيطاني الذي من الجسيم
٥٥٣٥ عفريتين غريبين شريرين من الهواء
في شكل جوانين مموهين ،
وكانا متماثلين في الشعر واللون
كما قال الناس الذين كانوا هناك في حينه
لم يشاهد من قبل لهما شبيه :
٥٥٤٠ وكان احدهما مهرا قوي البنية ومضمرا
والثاني فتيا ، وجوادا نبيل
واينما كان هذا الجواد الفتى ، عند الحاجة اليه
لم يفخر بمثله ملك او فارس
وانه عندما مايصهل المهر الكريه بصوت عال
٥٥٤٥ ولا يمكن لاي راكب ان يتحكم في ادارته
او يحكمه بكل مهارته ،
سيركع لامة .. ويرضع
والسلطان سيوزع ضرباته العنيفة
وهكذا سوف يخضع الملك ريتشارد
٥٥٥٠ كل هذا جاء ملاك ليقوله
عندما اتى لريتشارد حوالي نصف الليل
وصاح استيقظ فارس الرب القوي !
يريدك سيدي ان تفهم
ان حصانا سيصل قريبا ليدك .
٥٥٥٥ جميل في شكله وقوته

- ليخذلك في قتال السلطان
فلا تخف من ركوبه
لانه سوف يساعدك ولكن بدلا من ذلك
احصل على عمود خشبي كبير وقوي
٥٥٦٠ وتأكد انه بطول اربعين قدما
وادفعه جيدا بعرض معرفته :
فكل ما يصادفه سيحس بالم كثير :
وبهذا العمود الخشبي ستجعله يصرع
٥٥٦٥ اركبه جيدا باسم الرب العزيز
حتى لا يتمكن من ان يلحق بك اي عار
وقال الملك خذ لجاما
وضعه بسرعة على رأسه :
واحكم اللجام في فمه
٥٥٧٠ وهكذا يمكنك ان تديره شمالا او جنوبا
وسوف يخدمك حسب ارادتك
عندما يركب السلطان ليقتل :
وعلى رمحك استعمل هذا السنان
لانه في درعه سوف ينطمر
٥٥٧٥ وهكذا يخرق درعه القوي
وعندما قال الملك ذلك
اتخذ طريقه نحو السماء مرة اخرى
وارسل الحصان الفتى عند طلوع النهار :
وكان الملك ريتشارد مسرورا بالحصول على الجواد
٥٥٨٠ وامر بوضع سرجه عليه من اجل حاجته
وصنع قربوس سرجه من الصلب
لانه يجب ان يكون قويا وموضوعا باحكام
وبسلسلة قيد بسرعة عمود الخشب الثخين
٥٥٨٥ بينما دفع باللجام على رأس الحصان الفتى
مثالما علمه الملك
وبخطافين حديدين جيدين ولم يذس شيئا

- ٤٣٢٦ -

- واستقر فوق السرج دون مخاوف عميقة
وبالشمع سد أنفي الحصان الكريه
وقال: « بالرسل الاثنى عشر
٥٥٩٠ كن انت رئيس الشياطين نفسه
الان سوف تخدمني عند حاجتي !
والذي نزل فوق الصليب
وعانى بشكل مروع مع كل نفس
ثم قام للحياة من الموت
٥٥٩٥ واشترى الجذس البشري من الجحيم الناري
٥٥٩٥ واخضع قوى الشيطان الكريهة
ثم صعد بعدئذ الى السماء الساطعة
والرب الان بكل قواه القويمة
تلك ذات الرب نفسها في الاشخاص الثلاثة
باسمه العزيز اطلب منك
٥٦٠٠ ان تقولي خدمتي حسب مشيئتي
وهز رأسه ووقف جامدا
وهيا الملك ريتشارد نفسه تلك الليلة
عند الفجر عندما اهل نور النهار
٥٦٠٥ جاء ست سلاطين بجيوشهم القوية
من المدينة ساقوا مباشرة
وتوقفوا عند شاطئ نهر
واصفوا في رتل ... بدروعهم العريضة
وكان الميدان في ذلك اليوم واقول الحق ،
٥٦١٠ مؤلفا من سلاطين وملوك في نظام جرى ،
وكان يمكن رؤية مائة واكثر ؛
وجيء حتى بانناهم مرتبة الى الساحة
عشرون الفا من المسلمين
في مقابل كل واحد من رجالنا المسيحيين
٥٦١٥ جاءوا يحملون حشدا من الرماح الضخمة الطويلة
كانت هناك تشبه غابة كثيفة •

- ٤٣٢٧ -

وكان لدى المسلمين حشد ضخم ؛
امتد عشرة اميال على طول الساحل
وانتشروا للراحة فوق السهول الواسعة الدافئة
بينما بدأ الرسل يركبون ٥٦٢٠

الى الملك فيليب والملك ريتشارد
ليسألوهما اذا ما برحا متمسكين بكلامهما
الذي سلف وقالاه في اليوم المنصرم
وكان المسلمون مستعدين للحرب :
وكان هناك منهم ثلاثمائة الف ٥٦٢٥

والملك ريتشارد يراهم في كل مكان
كما يغطى الثلج المتساقط جانب الجبل
ورأهم الملك معتمدين طويلا وعريضا
بسابغات الزرد اللامع والخوذ البراقة
وبالابواق والطبول ٥٦٣٠
وكان لصخب المسلمين جلبة رهيبة
كما لو ان الدنيا قامت قيامتها في الداخل والخارج
هكذا كان وقع الصوت قويا جبارا
وقد اذهل هذا الضجيج المسيحيين واربكهم
ولكن ملكنا لم يخش شيئا ٥٦٣٥

حيث قال لرجاله حاملي السلاح
ايها الرجال المسيحيون الطيبون لاتخافوا
بل ضعوا ثقتكم في ربنا العزيز
فاذا ربحنا الميدان هذا اليوم
من الوثنيين من المسلمين وهكذا تولينا ذبحهم ٥٦٤٠

فاننا الى الابد سنذكر سبها
من اجل من خلق الشمس والقمر
كونوا عوننا لنا واعطونا القوة !
وانظروا كيف ساقاثل هذا الملك الكريه
بالسيف والرمح وبلطة من الصلب ٥٦٤٥
ومالم اعطي ضربات جيفة اليوم

- عليكم من الان فصاعدا والى الابد
ان تعتبروني جبانا ضعيفا !
بل كل رجل مسيحي او وضعيف
عليه ان يستعمل كل قوته من اجل تراثه
٥٦٥٠ اضربوا رأس المسلم
ومن خلال معونة الرب العزيز وبمساعدتي ايضا
سوف افعل مثل هذه الاشياء بينهم
بالذين يمكن ان اباغتهم
٥٦٥٥ من الان وحتى يوم الحساب
يجب ان يتكلم الجميع عن لعبتي الشجاعة !
وتسلح المسيحيون بحماس
بكل من الحديد والصلب
ولبس الفرنسيون ايضا الدروع
واستعدوا لمهاجمة المسلمين
خلف المسلمين ركبوا
مستعدين لهذا الحدث
لقد قطعوا طريق الهروب على المسلمين
وهكذا حتى لا يمكن للمسلمين ان يتفادوا الملاحقة
ولا لاي مساعدة خارجية ان تصل اليهم
٥٦٦٥ وهكذا يجب ان يذبخوا جميعا وهم احياء
وبدا الفرنسيون في التباهي والتفاخر
كل منهم سيقتل العدد الاكبر
ولكن في الحكاية كما يقال
٥٦٧٠ لم يكن هناك فرنسيون بنصف هذه الشجاعة
حتى يخترقوا قوة المسلمين
حتى ظهر الملك ريتشارد فوق حصانه
هناك ركب ريتشارد مع كل حشوده ،
وقطع عليهم الطريق على طول الساحل
وحال بينهم وبين مدينتهم الآمنة
٥٦٧٥ حتى لا يمكن لاي مسلم كزيه ان يهرب

- ٤٣٢٩ -

ثم امر ريتشارد ثلاثة من المرافقين
بان يبقوا احدهم حرا في المدينة
واخذ الاثنين الاخرين معه
وعزم عليهم ان يحضروا له حصانه
الحصان الذي ارسله صلاح الدين
وقال : « هكذا بهيته هو
سوف احاربه ليلا نهارا
وقفز فوق حصانه وجلس منتصبا
في السرج بقفزة قوية ٥٦٨٥
وقد تسليح بكثير من الاشياء التي تجرح
ولم يفتقدوا الى اي شيء كان عنده
لان رجاله جلبوا له كل ماطلب
وعامود من الخشب للسرج طوله اربعين قدما
امام سرجه وضعه ٥٦٩٠
وتدبر ربطه بصورة محكمة هناك
وبذلك لن يخفق في هذه الاعمال
وهكذا ربطه خدمه باحكام
وثبتوه بخطاطيف من الصلب لامعه
ولم يثبت هذا الخشب بشيء اخر ٥٦٩٥
وتماسكت السلاسل الحديدية بشكل محكم جيدا
لانيها جميعا قد سكبت بصورة جيدة تماما
سواء الاطواق او درع صدر الحصان
وعدة حربية خاصة بالملك ريتشارد
هكذا فوق حصانه عرضت ٥٧٠٠
وتدلى من طوق سرجه كل من
بلطته التي من الصلب وعموده
وكان الملك ريتشارد هناك لابس ثيابه
من قدميه حتى عرف خوذته (١)
كان مغطى من راسه الى كعبيه ٥٧٠٥
بدروع من صفائح قوية من الصلب

- ٤٣٣٠ -

- خارج سابغة الزرد القوية
وكان رمحه الموثوق غليظا وطويلا
وفوق كتفه درع عريض قوي
مع ثلاثة فهود ضارية على سطحه
وكانت خوذته محلاة بالذهب ٥٧١٠
وكان مقدم الخوذة القوي الموثوق واضحا
وعلى عرقها حمامة ناصعة البياض
لتري الروح القدس في القتال
ووقفت هذه الحمامة البيضاء فوق صليب ٥٧١٥
صليب من الذهب الجيد والتمين
الرب نفسه ، والقديسة مريم والقديس يوحنا
وذلك الذي سمر فوق الصليب :
لتمجيد هؤلاء قاتل الملك ريتشارد
سنان الرمح الذي احضره الملاك ٥٧٢٠
ثبته باحكام فوق قبضته
وكان اسم الرب محفورا على السنان
والان وهم منحنون نحو الارض اقساموا
قبل ان يشقوا طريقهم الى المعركة
اذا حدث وتمكن الملك ريتشارد
من ان يقتل السلطان في ميدان القتال ٥٧٢٥
لتوجب عليه هو ورجاله ان يذهبوا
بارادتهم جميعا من اعلى واسفل المراتب
الى مدينة الرملة
ومملكة مقدونيا ٥٧٣٠
يجب ان يمسكها بيده القوية
ولكن اذا قتل سلطان هذه الارض
الملك ريتشارد في الميدان
بالسيف او بالرمح تحت درعه
على كل المسيحيين ان يرحلوا ٥٧٣٥
من هذه الارض الواسعة بالخيول والعربات

- ٤٣٣١ -

وسيحكم المسلمون كامل هذه الارض

وقال الملك ريتشارد : « موافق

وهاكم قفازي ، حيث اني فارس !

٥٧٤٠

وكانوا جميعا مسلحين بكل قوتهم

وقفز الملك ريتشارد على سرجه

ولم ينم اي مقاتل تعب

بل راقب كل واحد هذا القتال

و تسابق الجوادان بكل قوتهم

٥٧٤٥

وركب كلاهما هذين الجوانين ليلتقيا

وانطلقت شرارات نارية من ارجلهم

وقرعت الطبول ونفخت الابواق

بينما كان الجميع يرقبون ما سيتلو

وكيف ان الملك ريتشارد الملك النبيل

٥٧٥٠

سيواجه هناك السلطان الاسود

وبينما كان على مهره يركض هكذا في المجال

وضع ثقته في الحصان الشيطان

وكان للمهر كما يذكر كتاب المصدر

مخللة ثخينة مدلاة ذات اجراس

ومن درع صدر الحصان أيضا كانت

تتدلى الاجراس حوله ٥٧٥٥

ويمكن للمرء سماع اصواتها على بعد ثلاثة اميال

وصهل المهر عندئذ وجلجلت اجراسه

وهكذا بنية سيئة غنى المهر

٥٧٦٠

اعتقد ان به سيحقق فوزه

ويقتل الملك بضربة قوية

عندما يركع فرس ريتشارد ليرضع

ولكن ريتشارد هنا لم يكن مضريا

لانه سد الانين بالشمع

٥٧٦٥

حتى لا يستطيع جواده ان يسمع

ولم يشعر ريتشارد القوي باي خوف

- ٤٣٣٢ -

وضرب السلطان الشرير بقوة
واعطاه ضربة تحت الواقية
فوق درع السلطان ، اقول الحق
كانت افعى مرسومة ، جاءت من الجحيم مباشرة
٥٧٧٠

ووجه ريتشارد رمحه نحو ذلك السطح العريض
ليطعنه بعمق تحت درعه
ولم تساعد السلطان اسلحته
حيث تحطم درع الفرس ولجامه في الحال
كذلك فعل الركاب وحزام السرج على سعتهما
٥٧٧٥
وبدا مهره ينحدر نحو الموت
وعلى الرغم من هذا بدأ هو ينحني
للخلف فوق عجز مهره الكريه
ووصلت قدماه الى الارض الصلبة

٥٧٨٠
وخلفه كان يمكن ان يوجد سنان الرمح
وترك الحصان يرقد فوق الخضار
بينما كان ريتشارد يضرب بضربات حاذقة
باسم الروح القدس

واندفع نحو وسط الحشد المسلم
٥٧٨٥
وبينما كان يركب عبر الارض
مزق حزام السلطان
كل النين وقفوا امامه

خيل ورجال ضرب بعمود الخشب
على مسافة عشرين قدما في كل جانب
٥٧٩٠
وكل من لقيه في هذا الركوب العنيف
جلب له الكثير من الويل

وركب حينما امكن لحصانه ان يذهب
مثل النحل يحوم حول الخلية
وناضلت حشوده المسيحية من خلفه
٥٧٩٥
وانكسرت الخوذ وتفجرت الادمغة

- ٤٣٣٣ -

ومات العديد في هذا الطراد الحزين
وعندما رأى رجال فرنسا عندئذ
ان التفوق مال لصالح الرجال المسيحيين
ازدادوا جراءة وشجاعة

٥٨٠٠ ووكزوا خيولهم وهزوا رماحهم
وبروح مسيحية ، الملك فيليب

حمل نحو امير مسلم ورمحه بيده
وبدا ايرلات اخرون وبارونات شجعان
وهم رجال اقوياء يلوحون بسيوفهم

٥٨٠٥ ويقتلون المسلمين بلا تحفظ

وحارب كثير من فرسان الانكليز النبلاء
باخلاص هناك في ذلك اليوم الدامي
ومن ساسبورى سقط لو نغسباي
على الارض مع سيفه

وتجرا الجميع الذي امامه على الوقوف (٥٨١٠)

وكان دائما الى جوار الملك رتشارد

كما كان توماس الجريء الشجاع

وروبرت ليشستر وفولك دويلي

ولا يمكن للمسيحيين ان يروا فرسانا افضل منهم

٥٨١٥ عندما كان أي مسلم يركب قرب سيدهم

لم يوفروه ولم يوفروا تابعه الشاب

ولكنهم اسقطوا هناك كل مسلم

المسلمون داخل المدينة

كانوا في أسي عظيم هكذا كان هؤلاء من غير المسيحيين

٥٨٢٠ وبينما تساقطت الدموع الغزيرة من عيونهم

تصايحوا طالبين الرحمة

وأمرؤا بفتح البوابات على اتساعها

ليدعوا الصليبيين يدخلون اليها

وربح المسيحيون هذه المدينة

٥٨٢٥ وبسرعة استقروا أيضا

- ٤٣٣٤ -

وارتفع لواؤهم المسيحي فوق السور
لواء رتشارد ملك انكلترا

وعندما بدأ صلاح النين يفهم
أن المدينة هكذا سقطت

ناح السلطان في كرب قائلا : واسفاه ٥٨٣٠
ذهبت الآن جائزة الله !

وركبوا مبتعدين بوجوه شاحبة

كل الذين كان مايزال بإمكانهم ان يركبوا هاربين
عند ذلك الملك رتشارد ذلك الفارس النبيل

عندما رأى السلطان يهرب
صاح به « ابق هنا وقاتل » (٥٨٣٥)

واسوف اثبت لك ان عقيدتك خطأ
وكذلك كل الخشدة المسلم »

وركب الملك رتشارد خلفهم مسرعا

من هذا كان السلطان مشدوها
وكان يعرف غابة أمامه هناك

فهرب بسرعة اليها

واقترب الملك رتشارد من الغابة المظلمة

لكن عرف انه لا يستطيع أن يعمل هناك

لا يستطيع أن يركب في تلك الأرض الخشنة
هكذا استدار بجوانه (٥٨٤٥)

واقف في حينه ملكا مسلما

فأخرج بلطته من حلقته

وضربه بعنف فوق خونته

وشقه حتى صدره (٥٨٥٠)

وضرب آخر فوق الدرع

واسقط راسه فوق الأرض

وهكذا قتل ستة ملوك مسلمين

أن أقول الحق في كل هذه الأشياء

هكذا قرأت في كتاب الاعمال (٥٨٥٥)

أكثر بكثير من ستين ألف حصان

عدوا تائهين بسروج خالية

في دم براق ارتفع حتى ما فوق حوافرهم

هاموا شاربين في كل جانب

حيث لم يكن هناك مسـ لـمـون ليركبـوا هـ

الخيول (٥٨٦٠)

واحتدمت المعركة حتى حل الليل ،

لكنهم عندما قتلوا هكذا بشكل مباشر

العدو الذي أمكنهم أن يدركوه

بدأ المسيحيون يظهرن كثيرا من البهجة

وركعوا وتغنوا بمحبتهم له

وعلى كلا الجانبين كان مقاتلون أقوياء قتلى

ولكن العديد من الرجال المسيحيين الرئيسين

الذين رقدوا أمواتا فوق أرض الميدان

سلموا هكذا لربهم العزيز أرواحهم (٥٨٧٠)

ثلاثمائة مسيحي عبروا باب الموت

ولكن أعداد المسلمين هناك كانت أكبر

ستون ألفا ماتوا في هذا القتال

وهكذا أظهر الرب أن المسيحيين على حق

وركب المسيحيون الى المدينة (٥٨٧٥)

ووجدوا كثيرا من الكدوز فيها باقية

ووجدوا مايكفي دون عناء

لحم وشراب ومؤن

وعند الفجر عندما استيقظ رتشارد

وهـ الذي لا يـمـكن لأحد أن يعـارضه في

أفعاله (٥٨٨٠)

جاء المسلمون الى حضرته

ورجوا أن يتخذوا الاسم المسيحي

- ٤٣٣٦ -

- وقبلوا أن يحملوا الصليب
وكان هناك أربعين ألفا
(٥٨٨٥) وأقاموا كنائس بالقاذون المسيحي
وقرروا أن يتخلوا عن الله
والذين لم يقبلوا بالصليب
ألقى بهم رتشارد في الخندق
وجمع كل الكدور العظيمة
(٥٨٩٠) التي في المدينة بفخر كبير
والايرل والبارون والفارس والخادم
الملك أعطى لكل منهم ثروات كبيرة
وأقاموا هناك أربع عشرة ليلة
واستجمعوا في أحد الايام قوتهم
(٥٨٩٥) وبدأوا يركبون في اتجاه بيت المقدس
وتكلم الملك فيليب بافتخار
أيها الملك رتشارد أرجوك أن تصفي الي
ان بيت المقدس تلك المدينة الغنية
مع انك ربحتها ، ستكون لي
قال رتشارد : بالرب والقديس أوغسطين
مع أن الرب سيضع روعي في الجحيم
من كل ما أربحه لن ، نصف قدم
تنال مني من أي أرض
وأحدك على أن تفهم ذلك !
(٥٩٠٥) ثم قال الملك ، « اذا كنت تريدها
اذهب وخذها برحالك ! »
رتشارد قال أكثر من ذلك : « ان عرضي هنا ،
ولن أقترب من هذه المدينة »
وكالقوس انحنى الملك رتشارد ،
(٥٩١٠) وبفلورين (٢) الى المدينة أرسل
اشارة الى الملك فيليب
أن يسوع قد مجد في هذه الرحلة

- ٤٣٣٧ -

- ومن الغضب وقع ملك فرنسا مريضا
والم يستطع العلق أن يشفيه من برديته
وخشي أنه لن يشفى أبدا (٥٩١٥)
مالم يذهب ليقيم في فرنسا
وأفهم المستشارون هذا الملك
وقالوا إنه الشيء المناسب
استعدت سفنه عندئذ للرحيل
وعبر البحر يوم عيد جميع القديسين (٥٩٢٠)
وقال رتشارد: بعداء
قد ارتكب شرا عظيما
أن يعود الى الوطن من أجل مرضه
وأن يعبر البحر من هذه الأرض
قبل أن ينتهي كل عمل الرب (٥٩٢٥)
الذي بدأه إما بالحياة أو بالموت
لم يمكث ملك فرنسا هناك
بل رحل في جومهمين
وبعد أن ذهب أقسم
أنه يحمل لرتشارد كراهية أبدية (٥٩٣٠)
وذهب الملك رتشارد بكل حشوده
الى يافا على ساحل البحر الدافئ ،
وكان سرادق الملك جميلا ونظيفا
وقد أقيم في حديقة هناك
وانتشر بقية اللوردات على مقربة منه (٥٩٣٥)
مع كل سرادقاتهم بفرشها
وقام الملك رتشارد ورجاله جميعا
بإعانة بناء سور المدينة
ولم يبن المسلمون أبدا مثل هذا
السور القوي الطويل حسن البناء (٥٩٤٠)
وكانت القلعة هناك قوية وحصينة
ولامثيل آخر لها في كل أنحاء العالم

- ٤٣٣٨ -

- ويمكن أن يأتي إليها من جانب البحر
كل أنماط السلع في وفرة عظيمة
(٥٩٤٥) وشكل حرسا من الفرسان النبلاء
الاقوياء بالتسليح والاقوياء في القتال
وكان هناك كثير من الرجال ليركبوا حولها
ليجعلوها آمنة بلا شك
وسكن الملك رتشارد هناك بفخر
(٥٩٥٠) حتى أصبحت هذه المدينة آمنة
ومن هناك ذهبوا الى مدينة كالوين
ووجدوا كل أسوارها مهدمة
وأحرق بتلك المدينة المدمرة بؤس كثير
وحمل لهم رتشارد شفقة كبيرة ،
(٥٩٥٥) وجمع هناك أعيان المدينة
وأمرهم بإعادة بناء السور
وتعهد هو ببناء نصفه
برجاله خاصة الاقوياء المهرة
ووافق الأعيان هناك ، كلهم
ولم يبن المسلمون أبدا مثل هذا
(٥٩٤٠) السور القوي الطويل حسن البناء
وكانت القلعة هناك قوية وحصينة
ولا مثيل آخر لها في كل أنحاء العالم
ويمكن أن يأتي إليها من جانب البحر
كل أنماط السلع في وفرة عظيمة
(٥٩٤٥) وشكل حرسا من الفرسان النبلاء
الاقوياء بالتسليح والاقوياء في القتال
وكان هناك كثير من الرجال ليركبوا حولها
ليجعلوها آمنة بلا شك
وسكن الملك ريتشارد هناك بفخر
(٥٩٥٠) حتى أصبحت هذه المدينة آمنة

- ٤٣٣٩ -

ومن هناك ذهبوا الى مدينة كالوين
ووجدوا كل أسوارها متهدمة
وأحاق بتلك المدينة المدمرة بؤس كثير
وحمل لهم ريتشارد شفقة كبيرة
(٥٩٥٥) وجمع هناك كل أعيان المدينة
وأوهم باعادة بناء السور
وتعهد هو ببناء نصفه
برجاله خاصة الأقوياء المهرة
ووافق الأعيان - هناك كلهم
على تنفيذ رغبته (٥٩٦٠)
إلا دوق النمسا
وكانت فكرته أن يخدع الملك
وبدأ الملك ريتشارد عمله الشاق
حول الأسوار دون توقف !
(٥٩٦٥)
الأب والابن والعم والأخ
فخلطوا الملاط ورصفوا الأحجار
وعمل كل واحد منهم بكل قوته
وكل ملك أو حاكم هناك
حمل الأحجار في الجو شديد الحرارة والرطوبة
(٥٩٧٠)

إلا الدوق الملىء بالغرور
فلم يكن ليساعد ، بل بقي جازبا
وتصادف أن قابل الملك ريتشارد هذا الدوق
وبلطف توقف هذا الدوق ليحيية
وهناك وجه اليه ريتشارد مطالبا
(٥٩٧٥) في أن يزيل رايته من على السور
فأجاب الدوق بهذه الطريقة
لم يكن أبي نجارا
ومع أن أسوارك بدأت تهتز

- ٤٣٤٠ -

(٥٩٨٠) إني لن اساعدهم أبدا في اصلاحها
وعند هذا بدأ غضب الملك رتشارد يتأجج
وحملق مغضبا بالدوق
ثم ركل الدوق في صدره المتعجرف
واندفع بسرعة تجاه الدوق
فسقط الدوق عن مقعده (٥٩٨٥)

ورقد الدوق على الأرض منبطحا
« تبا لك أيها الشيطان الجبان الكريه !
أرجو أن تعاقب بشدة في الجحيم !
اذهب بسرعة من هذا الحشد الباسل
لأنك ملعون من روح القدس ! (٥٩٩٠)
وبالجانب الدامي من يسوع الجميل
أعتبرك خائنا هنا معنا
خلال أيام العمل الثلاثة التالية
سأقيم حظر عليك

(٥٩٩٥) أيها الخائن ، أننا نعمل ليل نهار
في الحرب ، في اليقظة وفي القتال
بينما تعيش أنت هنا كنهم كرية
وترقد في سرادقك

تشرب نبيذك الطيب القوي
وتنام مرتاحا طوال الليل (٦٠٠٠)
لسوف أدمر رايتك التافهة الحفيرة

ولأرمين بها في النهر الكريه !
(٦٠٠٥) وقد شعر في قلبه بكثير من الكراهية
وأقسم أنه سوف يرد له الإهانة
وأقسم بيسوع في ثالوثه
انه ما أن يرى رتشارد في وقت ما
سينزل به هناك انتقاما

الذي عنه ————— الآن فصاعدا ————— وف يتكلم
العالم (٦٠١٠)

- ٤٣٤١ -

وحمل حقه عميقا في قلبه
ليلق في الجحيم وليغرق مخلدا
من خلال خيانتة وغدره
ومن خلال مكر الجاسوس
الحق بالملك رتشارد العار
(٦٠١٥)
مما جعل كل انكلترا تلهب

في الايات : ٦٠١٦ - ٦٧٢٢ بعد أن رحل دوق النمسا مع قواته
بدأ رتشارد والصلبييون الباقيون السير نحو بيت المقدس وقد خططوا
للاستيلاء على المدن الإسلامية على طول الطريق لتجنيدهم
وحاصر رتشارد مدينة دارون (داروم) واستولى عليها وفيما هو
مرتاح هناك ومعه رجاله وقبل أن يستمروا وفق خططهم للاستيلاء
على بيت المقدس ، تلقى رتشارد خبرا يفيد أن أخاه الأمير جون قد
اغتصب عرش انكلترا ، وأنه كان يخطط لكي يتوج ملكا في عيد
الفصح ، وسخر رتشارد من الفكرة وتابع حملته العسكرية .

وبعد ذلك بوقت قصير نقل جاسوس خبر اقتراب قافلة غنية
بشكل خيالي بما تحمله من الذهب والجواهر والمؤن الى صلاح
الدين ، وهاجمها رتشارد واستولى على هذه الغنيمة واهتاج صلاح
الدين غضبا لهذه الخسارة الكبيرة وقرر مهاجمة يافا لأنه اعتقد أن
رتشارد كان في عكا ولن يكون في يافا للدفاع عنها ، وبافتتاح بوابات
المدينة ، أجبر صلاح الدين المسيحيين على اللجوء الى
البرج ، ولكنه على الرغم من محاولته بكل قوته لم يستطع الاستيلاء
عليه ، وفي ذلك الاثناء هرب رسول من المدينة المحاصرة وأسرع
ليروي للملك رتشارد الخبر في عكا ، وصعد الملك الانكليزي على
الفور الى سفنيته لينجد رجاله .

والآن انصتوا لسماع قصتي الصادقة
مع أنني لاأحلف لكم بأي يمين
لن اقتبس أخبار أعمال خيالية
(٦٧٢٥)

- ٤٣٤٢ -

لبارتدوب أو ابيو ميدون
أو عن الاسكندر أو عن شارلمان
ولاعن آرثر ولاسير غاوين
ولاعن السير لوندسيلاوت سيد البحيرة
(٦٧٣٠) ولاعن بيفيس ولاغي ولاالسير ريك
ولاأو ليفر ولااوكتافيان
ولاعن هيكتور ، الرجل القوي
ولاعن جاسوس الهرقلي
ولاعن انياس ولاأخيل
(٦٧٣٥) أقسم أبدا ، اني كما أقول
أنه في زمن يومهم الشجاع
لم يفعل أي منهم شيئا باسلا
ونجح هكذا في معركة قوية
كما فعل الملك رتشارد دون اخفاق
(٦٧٤٠) في يافا في سايغة قوية من السلاسل
ببطلته وسيفه القوي
ليغفر لروحه من قبل ربنا !
وحدث قبل اكتمال منتصف الليل
أن القمر والنجوم ظهرت كلها مكتملة البهاء
(٦٧٤٥) وجاء الملك رتشارد الى المدينة
ومعه شوانية ، كلها أو بعضها
وحدثوا وتشوفوا نحو القلعة القوية
فلم يسمعوا صوت مزمار ولاناي
وجروا السفن قريبا من اليابسة
(٦٧٥٠) ليروا اذا كان بإمكانهم الفهم
ولكنهم هناك لم يستطيعوا رؤية أية فرسان شجعان
أو يسمعوا صوت مغن جوال
أو يروا أي حياة في القلعة هناك
ثم تزايدت في حينه دقة الملك رتشارد التامة
(٦٧٥٥) وقال : « وأسفاه » أني ولدت

- ٤٣٤٣ -

- إن رجالي الشجعان الطيبين كلهم بادسون !
فقد قتل روبرت ليستر
الذي كان معلمي الكيس
ولم يكن أحد هنا جديرا بهذا الفارس
(٦٧٦٠) وروبرت نورنهام ، الذي كان لامعا جدا
والسير برترام والسير بيبارد
الذي قاتل بشدة في المعركة
والبارونات الآخرون بجاذبه
وهم أفضل كل جيوشي على سعتها
(٦٧٦٥) وقد قتلوا أو جرحوا جروحا مؤلمة
كيف يمكن لي أن أعيش أطول بناء عليه ؟
لو أنني هنا في وقت أبكر
ربما أمكنني انقاذهم من هذه الجريمة !
حتى أرد على صلاح الدين
(٦٧٧٠) في الحقيقة اني لن أحصل على سروري
وهكذا تفجع الملك رتشارد هناك
حتى بدا الفجر عاليا في الجو
وجاء خفير الى الشرافات فوق السور
وبنايه أرسل أغنية
(٦٧٧٥) ونفخ فقط بضع نفخات واضحة
حتى جلب لهم بهجة كثيرة
ونظر من مكانه العالي الى اسفل
نحو اسطول رتشارد في ذلك المجال البحري
وعرف السفن الصغيرة والكبيرة هناك
(٦٧٨٠) ثم نفخ نغمة مريحة
وصاح بصوت مرتفع هكذا : « أيها المسلمون
جاء ملكنا المسيحي الينا !
وعندما سمع المسيحيون هذه الصيحة ،
ارتفعت أرواحهم المعنوية عندئذ عاليا
(٦٧٨٥) الايرل والبارون والتابع والفارس

- ٤٣٤٤ -

- وتسابقوا رأسا الى المتاريس
ورأوا الملك رتشارد سيدهم الشجاع
وحيوه بكلمة لطيفة
« مرحبا ياسيدي ، باسم الرب العزيز !
ذهب الآن ، كرينا والعار كله »
(٦٧٩٠) ولم يكن قد عرف أبدا مثل هذه التحية
وكان حبهم العميق له بابيا
وصاح : « الى السلاح ، واستعدوا الآن جيدا »
ودفع هكذا بأولئك الذين كانوا معه
(٦٧٩٥) « فليس لنا من الحياة سوى واحدة
سنبيعها غالية وكل من اللحم والعظم
ولانه من أجل المطالبة بترائنا
سوف نقتل الشياطين في هياجهم الشرير !
والذي يخاف هنا هذا الخطر الكريه
(٦٨٠٠) سوف لا يرى أبدا وجه ربنا العزيز !
وسأخذ ببلطتي بيدي
تلك التي صنعت في انكلترا الجميلة
وسوف ترى هذا اليوم عملا جيدا
وستكون لعنة على كثير من المسلمين
فلم أعد أخشى ذروعهم
(٦٨٠٥) وسوف أثابر فوقهم
من خلال بركة الرب في الثالوث
وسوف يرى كل الناس الحق هذا اليوم »
وكان هو أول من قفز الى الأرض
(٦٨١٠) وقتل اثني عشر في كومة واحدة
وصرخ عاليا بصوت قوي واضح
أين هم المسلمون ، فليتباهوا هنا
من الذين طالبوا بهذه المدينة النبيلة ؟
انهم سوف يروضون ببلطتي العريضة
(٦٨١٥) وهذا قسم حلفت ان أفعله

- ٤٣٤٥ -

- وشرب طاس نخب من الوسيل أيضا !
وراهن على مثل هذا القتال الهائج
وبأن سيقتل كل المسلمين الذين تحت بصره
وهرب المسلمون من كراهية رتشارد
(٦٨٢٠) ومن فوق تسابقوا خارجين عبر البوابة
وفي قلوبهم شعروا بمثل هذا المصير
وهم يتسابقون نحو البوابة في وجوم
وهربوا من المدينة من فوق الاسوار
وقفزوا الى الاسفل من كل جانب
(٦٨٢٥) وكسر بعضهم سوقهم وبعضهم أعناقهم
بينما كانوا يهربون مبتعنين دون توقف
وكان كل واحد يصيح بهذه الطريق
كما سوف تسمع حالا فيما بعد
"Malcan stran noir abru
Lon Fermaoir toir me moru"
وهذا يعني بالانكليزية واضحة
(٦٨٣٠) « اذا لقينا سوف نقتل »
على يد هذا الشيطان الانكليزي هذا اليوم
فلتهرب بسرعة بعيدا عن طريقه
(٦٨٣٥) وهرب المسلمون خارجين من المدينة
ولم يتركوا في خوفهم واحدا حيا
بل اربعمائة أو ربما خمسمائة
من الذين قتلهم رتشارد عندما وصل
ووضع حراسه عند كل بوابة
(٦٨٤٠) وأمر بأن تجهر الخيول دون انتظار
وقفز فوق جواده فاقل
وقد تسليح جيدا بالحديد والصلب
وسلح الناس بأسلحة قوية
بالدروع التي جلبها معه
(٦٨٤٥) والعديد ممن خرجوا من حجر القلعة

- ٤٣٤٦ -

- عمل على أن يتسلحوا بشكل مكتمل جدا
وركب الملك رتشارد خارجا من البوابة
والتقى في الخارج بملكين مسلمين
مع ستين ألف فارس مسلم
(٦٨٥٠) مع ألوية عريضة ودروع لامعة
وضرب رتشارد فوق خونة احدهم
ونحو السرج اندشق هذا الملك طوليا
وضرب الآخر فوق القلنسوة
وبلل سيفه بدم مسلم
(٦٨٥٥) وداويته وباروناته الشجعان
حاربوا بضراوة كما يفعل سبع هائج
وقتلوا المسلمين في هذا الهجوم
حيث لم يشعروا برحمة نحوهم
ورأى المسلمون أن لا عون وراءهم
(٦٨٦٠) فهربوا بعيدا في اضطراب كثيب
الى حشد صلاح الدين الكبير
على بعد خمسة عشر ميلا تماما فوق الساحل
ثلاثون ألفا على الأقل
في ذلك اليوم تناقصت قوة المسلمين
(٦٨٦٥) حيث أن دروعهم ذابت كالشمع
أمام بلطة الملك رتشارد القوية
وكان العديد من المسلمين وهم يرتجفون
يستسلمون لملكنا الذليل
أخذ من أجل الفدية عشرات عديدة
(٦٨٧٠) وقتل ألف رجل أو أكثر
وطارد المسلمين الهاربين بعيدا
حتى وقت المساء
وركب رتشارد حتى حل الظلام
وحيث أنه ضرب العديد هناك
(٦٨٧٥) لم يعد أحد يستطيع هكذا حسابهم

كل الموتى أو مقدارهم
ركب الملك رتشارد خارجا من المدينة
ونصب هناك سرادقة
وفي تلك الليلة بقلبة اللطيف
(٦٨٨٠) أراح البارونات لدورهم الشجاع
والآن سوف تسمعون كيف جرت الامور في الغد
كان يوما للأسى لدى المسلمين
المعركة العظمى كما فهمت
التي لم يكن لها مثيل قط في أي أرض
(٦٨٨٥) وإذا كنت ستسمع عن هذه المعركة
اسمع الآن واعط أننا !
بينما جلس رتشارد لوجبة المساء
وأخبر باروناته أنهم يجب أن يشعروا بالشجاعة
ورفهم بكثير من الذبيذ الجيد
(٦٨٩٠) جاء مبعوثان بخطة كريهة
ووقفا أمام مقعد الملك رتشارد
بلحى رمائية طويلة وخداع
ودخلا راكبين على بغلتين قويتين
وكانت عبااتهم من الحرير والذهب مع دبابيس تزيينية
(٦٨٩٥) وكل منهما يمسك بيد الآخر
وقالا : أيها الملك رتشارد افهم الآن
ان سيدنا صلاح الدين ، ملكنا الذليل
ارسلنا اليك متسائلا :
إذا كنت فارسا مجازفا جدا
(٦٩٠٠) لتبقى هنا كل هذه الليلة
حتى الغد عندما يظهر ضوء الفجر في الجر
وعندها ستتخلى عنك السعادة
لأنه من أجل فرسانك الشجعان وباروناتك
لن يعطيك زرين سميكين
(٦٩٠٥) وسوف يأخذك بقوة اليدين

- ٤٣٤٨ -

لأن ليه رجال من أراض كثيرة
من مصر ومن تركيا البعيدة
ومن اليمن ومن شبه جزيرة العرب
ومن بلبيس والذوبة
(٦٩١٠) وفرسان شجعان جسورين للدفاع عنه
من مصر ومن سورية
ومن الهند وكبدوكيا

ومن فارس ومن خراسان
ومن ناپلس ومن القاهرة
ماتتا فارس دون وهن
انضموا الى خمسمائة من عند السلطان
والارض المحيطة تحمل بالكاد
الناس الذين جاؤوا الى هنا اذا جرؤت
وبناء على نصيحتنا ارجع واقم على مقربة من قلعة يافا
القوية (٦٩٢٠)

فهناك يمكن ان تكون في امان
حتى تبعث في طلب تعزيزاتك
واذا رأيت أنه ليس في امكانك أن تصمد
عد مرة اخرى الى بلادك
(٦٩٢٥) وهكذا يمكنك ان تهرب من هذه الافعال
عد الى ارضك بالبحر
وفي غضبه امسك ريدشارد برغيف
وبيديه مزق قشرته عنه
وقال لذلك المسلم :

(٦٩٣٠) « ليعطيك الرب ضربة مشؤومة !
انت وسيدك صلاح الدين
وليشذقك الشيطان بحبل !
على نصيحتك وانباذك
وليجلب الرب لك نهاية كئيبة !

- ٤٣٤٩ -

- (٦٩٣٥) والان اذهب وقل لصلاح الدين
اني على الرغم من ارادة ربه
ساقيم هنا كل الوقت
مع انه سيأتي هنا صباحا
ارجو ان تخبره اني في الغداة سوف
(٦٩٤٠) اخمر له شرابا من الاسى الدموي
واذا جاء ذلك الكلب الي
ستكون بلطتي القوية هي عقابه المحزن
واخبر سيدك اني اتحداه
هو وكل صحبتة اللعينة !
(٦٩٤٥) اذهب الان بسرعة واخبره هكذا
ان عليه اللعنة من يسوع العزيز!
وذهب الرسولان الى صلاح الدين
واخبراه بكل ماجرى حيث كانا
فدهش الامير ثم بدأ يقول :
(٦٩٥٠) ان الملك رتشارد ليس رجلا ارضيا :
فهو اما شيطان او قديس
فقوته كما أرى لاتضعف أبدا
وعلى الفور بدأ يعطى أوامره
(٦٩٥٥) ركب تلك الليلة تجاه حرس رتشارد
ليأسر ملكنا الطيب رتشارد
واخذ هذا من ملكنا قليلا من الاهتمام
ونام كل الليل هناك
حتى تخلى الليل عن مكانه للفجر
(٦٩٦٠) عندئذ سمع صرخة حادة تلفت الانتباه
اذ جاء ملك من السماء برغبة من الرب
وقال له بنصيحة جريئة :
« قم واركب جوادك فافل
وعد مرة اخرى الى قلعة يا فا !
(٦٩٦٥) لقد استرحت فترة كافية !

- ٤٣٥٠ -

ستجد طريقك وعرا !
قبل ان تصل الى تلك المدينة
سوف تهاجم انت وبطانتك
وبعد المعركة اوقف هذه الحرب الصليبية
واعقد صلحك مع السلطان (٦٩٧٠)
ابرم هدنة ودع جماعة باروناك
يتابعون سيرهم لاداء حجهم
الى الناصرة وبيت لحم
والى الجبلية وبيت المقدس
ثم دعهم يسافرون بعدئذ نحو اوطانهم (٦٩٧٥)
وعد بعدهم مع رجال بحريتك
لان لك اعداء كما اعرف
هنا وفي ارض موطنك
« قم » قال الملاك ، « وبادر بكل سرعة !
لم يكن لك ابدا حاجة أعظم ! »
وعندما سمع رتشارد قول الملاك
قفز فوق فافل حصانه الجيد
وصاح بصوت مرتفع ، « ربي العزيز
الذي استدفرتنا جميعا من اجل يسوع الحبيب ! »
ونفخ بوقه وصاح « لانتظروا ! » (٦٩٨٥)
بيد انه تقريبا بدأ متأخرا جدا
لان صلاح الدين وكل حرسه
كاذوا بين يافا والملاك رتشارد
وهناك جاء من الظلام
ليتغلب على الملاك رتشارد (٦٩٩٠)
وسبب هذا لريتشارد الما شديدا
لانه لم يعد بإمكانه ان يرتد الى حشوده :
ولكنه مضى قدما فوق حصانه فافل :
وامسك برمحه جيدا وباحكام
وبذاك قتل وهو على حصانه القوي (٦٩٩٥)

- ٤٣٥١ -

ثلاثة ملوك سمر من قوات السلطان
وكان حصانه قويا وسلاحه جيدا ،
ولم يصمد امامه حصان ولا انسان
وضرب بقوة على رؤوسهم
حتى انهم سقطوا على الارض ميتين كالحجارة
(٧٠٠٠) وكل من رأى هدوءه
سيحتفظ دائما بذكراه
وهاجموه بكثافة البراغيث
كما يفعل سرب نحل الخلية الغاضب
وكذسهم عن ظهور خيولهم الى الارض
(٧٠٠٥) كما يفعل الدب في الغنم
وبدا الرجال الانكليز والفرنسيون الركوب ملتصقين على ان يكونوا
بجانبه ،
وعلى المسلمين تسابقوا بلا توان
بسيوف مكشوفة ورماح قوية
(٧٠١٠) وانزلوا الضربات بكل قوتهم
وقتلوا المسلمين مباشرة
ولكن هذه الوفيات كانت ذات عون ضئيل
لان اعداد كبيرة جدا من المسلمين اصطفوا هناك
وكان الذبح في هذه المعركة
(٧٠١٥) لايمكن ان يرى مثله في اي ليلة اخرى
وكان هناك مستنقع خارج اسوار يافا
بعرض ميل واحد اجمالا
وعلى الرغم من كثرة المسلمين فان سيدنا ريتشارد
دفع بثلاثة الاف منهم الى المستنقع
(٧٠٢٠) وهناك استطاع المسلمون ان يروا رجالهم
كالبجع يقعون في شرك المستنقع
واولئك الذين تحرروا خارجين
اجبرهم ريتشارد غاضبا على الرجوع
(٧٠٢٥) فمنهم من غرق ومنهم من قتل

وفقد السلطان من مملكته
ستين ألف رجل وحصان
كما قيل في مصدري الفردي
وركب الملك رتشارد حصانه مرة أخرى
ليساعد رجاله بالقوة والعزم (٧٠٣٠)
فمرة هو هنا ومرة هو هناك
ليرشد رجاله بسيفه المشرع اللامع
ولم يحدث قبلا ، كما سمعت يقال
ان قمع رجل واحد مثل هذه الكثرة من المسلمين
وفي وسط الخطر هناك (٧٠٣٥)
رأى الملك رتشارد في يأسه
عمه السير هنري الشمباني
يسقط من على فرسه على أرض السهل
وهاجمه المسلمون وهو راقد هناك
ليقتلوه وهو في يأسه العميق (٧٠٤٠)
وكان سيقابل في ذلك اليوم وجه ربنا
مالم يأت الملك رتشارد بصوت مثل الرعد
« يا ربّي العزيز ان هذا الفعل لن يسرك !
اذك هذا اليوم يجب ان تقي عمي (٧٠٤٥)
من هؤلاء المسلمين الكريهين في الميدان »
وصاح : « يا فرساني يقع على عاتقكم الان »
ان تجعلوا هؤلاء المسلمين الفاسدين مكروبين
وسوف اقود بنفسي هذه المعركة
اذا عض رأس فاسي المسلمين (٧٠٥٠)
راقب الرجال هناك عزمه وقوته
كيف هدر دم المسلم والمخ
فوق هذا الميدان الذي كان اخضر ، في ذلك اليوم
وبعث بالمسلمين على طريق الشيطان
بالضربات التي اشتراها المسلمون (٧٠٥٥)
ويمكن للمرء ، ان يرى اين قاتل رتشارد

- ٤٣٥٣ -

وجاء فرسان الداوية ليساعدوه في تحطيمه
وبدا هناك صدام قوي :
فكالوا ضربات قوية وجيدة
حتى سال الوادي بالدماء (٧٠٦٠)
وكان لونغسباي فارسا صنيديا
ولدى ازدياده غضبا ، بدأ في القتال
وكان فولك دويلي يقاتل ايضا
وكذلك توماس مولتون بشدة
وحيث ركب هؤلاء الصليبيون انفسهم
شقوا بالذبح ممرا عريضا
حيث يمكن لاربع عربات كبيرة ان تسير متجاورة
وجمعوا عددا كبيرا جدا من المسلمين
ومات على كلا الجانبين العديد من المقاتلين
الاقوياء الجسورين ، ولم يعد من مزيد للركوب (٧٠٧٠)
واخيرا وبألم شديد
اذقذ الملك ريتشارد ايرل شامبين
وساعده على العودة الى ظهر حصانه
الذي كان قريبا منه ليأتي حاجته ،
وجعله يعدو بجانبه (٧٠٧٥)
وان لا يبتعد عنه قدما واحدا
وجاء مبعوث بخد متورد
وسأل عما اذا كان ريتشارد هناك ليتحدث اليه
وقال : ياسيدي العزيز ، من اجل الاحسان
عد على الفور الى مدينة يافا ! (٧٠٨٠)
ان كلا من الجبل والسهل قد غطيا :
الملك الاسكندر والملك شارلمان
لم يواجها ابدا مثل هؤلاء الاعداء ، يامولاي
كما ان المدينة محاصرة الان
وقد اشعلت الابواب كلها بالنار
وتراجع رجالنا من الحرارة

- ٤٣٥٤ -

ولا احد يستطيع الركوب داخلا او خارجا
سيدي لقد اصبحوا في شك كبير حولكم
لانه ربما لن يمكنك الركوب الى المدينة
لان عددا كبيرا جدا من الاعداء باقون في الحقول ! ٧٠٩٠
ويجب ان احذر بلا توقف او انقطاع
من ان حملتك كلها ستكون في خطر كبير
والبطيريك في ايديهم

وجون دي نسل ميت على الارض
ووليم الارسوري والسير جيرارد
وبرترام برانيز ، اللومباردي الطيب
كل هؤلاء قتلوا وعيد اخرون !
وشعر الملك ريتشارد بقلبه يزداد الما
وصاح يجب ان ندسابق الى يافا
كل رجل باسلحته في المكان ! (٧١٠٠)

واحتشد الوف من المسلمين امامه
بسيوف عريضة ورماح قوية :
وبصوارم وأعمدة قوية
ودفعوا الملك ريتشارد بينهم وحولهم
فقتلوا فافل من تحته (٧١٠٥)

وعندها توجهم ريتشارد وغضب
وسحب بلطته القوية بيده
وقتل بالحال ذلك المسلم نفسه
الذي قتل جواده الذليل :
وعليه فقد حياته في الواقع (٧١١٠)

فحارب على قدميه في كل جانب
ومات العديد على يديه هناك
كل ما امكن لبلطته القوية ان تضربه
وقتل خيولا ورجالا مباشرة
بعضهم من امامه وبعضهم من خلفه (٧١١٥)

الف واكثر كما وجدت في كتابي
قتلوا هناك وهو على قدميه
ولم يعاونه احد ، وهو يلقى بهذه الضربات
وبدا ابنا صلاح الدين في الركوب
وركب عشرة الاف مسلم بجانبهما : (٧١٢٠)
وصاح احدهما بصوت عال للملك ريتشارد
« استسلم الان ، ايها اللص والجبان الكريه !
والا سأقتلك في هذا المكان !
وصاح ريتشارد انت تكذب ، بنعمة الرب !
وببلطته ضربه فعلا ، (٧١٢٥)
فشق ذلك الفارس المسلم الى نصفين
وسقط نصف جسده على الارض
وكان النصف الاخر مايرال في حزام السرج
وقال ريتشارد : « مذك أنا آمن
وركب الآخر ليستولي على حياة ريتشارد
(٧١٣٠) وفوق جواده وباندفاع مخيف
معتقدا انه سيسحق رأس الملك ريتشارد
واصابه بجرح من خلال درعه السميك
وسبب هذا للملك ريتشارد كثيرا من الالم بات عليه تحمله
ففوق سنان الرمح سم كرية (٧١٣٥)
واعطاه الملك ضربة قوية جدا
وسقط ذلك الرجل وحصانه قتيلين على الارض
فقال له « ارقد هنا ايها الكلب الكافر !
لن تتمكن ابدا من نقل الاخبار الى صلاح الدين
انك سببت لي فقدان حياتي ! » (٧١٤٠)
وركب خمسة امراء من المسلمين نحو ريتشارد
ومع كل حشدهم ابدوا كراهيتهم
واحاطوا بملكنا الذليل
واعتقدوا انهم جلبوا له موته
(٧١٤٥) والملك ريتشارد في قليل من الوقت

- ٤٣٥٦ -

- جازى الامراء الخمسة على جريمتهم
ومئات عبيدة اكثر بجادبهم
من حشود المسلمين الذين ماتوا حوله
واخيرا مع انه كان متأخرا
(٧١٥٠) حارب الملك ريتشارد نحو بوابة يافا ؛
وعندها شعر رجالنا المسيحيون بالامان
وانهم امام الاعداء يمكن ان يصمدوا طويلا
واحضر ايرل ليستمّر ، وسيرروبارد
ملكنا ريتشارد جواده ليارد
(٧١٥٥) وركب ريتشارد بقفزة قوية
وطارد المسلمين كما تطارد الذئب الغنم
طاردهم ريتشارد حتى جن الليل
وكل من لحق به ضربه
وكان هناك قتلى من المسلمين
(٧١٦٠) الف الف من الرجال المسلمين
وفي تلك الليلة والحق اقول ريتشارد
قفل عائدا الى يافا شاعرا بالسرور
وشكر الحبيب يسوع ، ملك المجد
وامه على هذا النصر ؛
(٧١٦٥) حيث منذ بدء الخليفة
لم يربح مثل هذه الحرب المجيدة ابدا
وعند الفجر ارسل روبرت سابويل
والسير وليم ويترول
وهيوبرت وروبرت تورنهام
(٧١٧٠) وولتر جيفورد ويوحنا مقدم الاسبتارية
ورجاهم ان يقولوا لصلاح الدين
« انه ضد خمسة وعشرين رجلا
يمكنه ان يقاتل في ارض الميدان
ليحمي حق مولانا العزيز
(٧١٧٥) فاذا ربح ، فانه عندئذ يأخذ الارض

- ٤٣٥٧ -

لتبقى الى الابد في ايدي المسيحيين
واذا امكن للمسلمين ان يقتلوه
تحكم الارض بطريقة السلطان
واذا لم يوافق السلطان
قولوا : « ثلاث سنوات ، وثلاثة شهور وثلاثة ايام ٧١٨٠
اطلب هدية من السلطان
لأسافر إلى الوطن وأعود مرة أخرى
وبدا الرسل يركبون
وطلبوا من السلطان ان يقرر
هو لم يكن ليقتل ريتشارد : (٧١٨٥)
فقط خمسة وعشرون ضد قوة ريتشارد
قادما وعند الفجر إذا ركب ريتشارد
يذبحي ان تبدأ هذه الهدنة بينهما
هكذا اخبر الرسل
واخبروا ملك الصليبيين (٧١٩٠)
وعند الفجر ركب السلطان في المقدمة
ليعد الهدنة مع الملك ريتشارد :
بعد انقضاء ثلاث سنوات من عودتهم الى بيارهم
من عكا كل من سيقدم الى هناك
ثم بعد ذلك لكل السنوات الثلاثة ٧١٩٥
الرجال المسيحيون من بعيد وقريب
يتخذون طريقهم الى بيت المقدس
الى الضريح وإلى بيت لحم
والى جبل الزيتون والى الناصرة
والى عمواس بنفس تقي (٧٢٠٠)
ولا احد على طريق الحج
سيعاني من الازى او الضرر الحزين
ملكنا ريتشارد قوي اليد
انعطف عائدا باتجاه بلاده الى انكلترا
وحكم ملكنا الشجاع هنا (٧٢٠٥)

- ٤٣٥٨ -

ليس اكثر من عشر سنوآت ماجدة قصيرة
ثم بطريق الخيانة اطلق عليه سهم
في قلعة غيلارد من خلال مؤامرة شريرة
هكذا انتهى رتشارد ، اشجع ملوكنا
(٧٢١٠)
ليمنحنا الرب جميعا نهاية طيبة
ولتستقر روحه هادئة وصادقة
وارواحنا كذلك عندما تأتي الى هناك آمين

المحتوي

- ٣ - توطئة
- ٧ - نشيد رولاند
- ٩ - مدخل الشعر
- ٣٦ - الصورة الاقطاعية
- ٣٨ - التابعة الاقطاعية
- ٣٩ - العلاقات والامارات
- ٣٩ - الفروسية
- ٤١ - احكام المعركة
- ٥٠ - نشيد رولاند (النص)
- ١٨٩ - ملحمة رتشارد قلب الاسد